جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية
المعهد العالي للدعوة الاسلامية
الدراسات العليا
قسم الحسبة

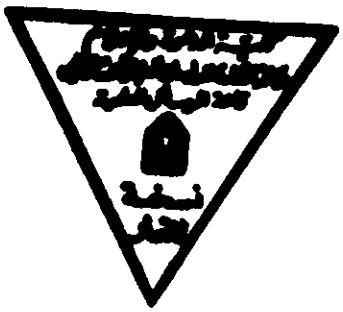

الدعوة والداعية
في ضوء سورة الفرقان

بحث مقدم من الطالب

محمد بن سعيد بن رشيد البارودي

لنيل درجة الماجستير في الدعوة الاسلامية

إشراف

الدكتور محمد صالح محيي الدين
الاستاذ المساعد بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الدعوة عماد الدين ، وألزم بها عباده المتقين . فقال سبحانه وتعالى " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " .

والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير ، الداعي إلى الله باذنه والسراج المنير ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبع هداهم إلى يوم الدين وبعد :

فإن القرآن الكريم خاتم الرسالات الإلهية ، والكتب السماوية ، أنزله الله سبحانه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رحمةً للبشرية ،إنقاذها من ظلمات الجاهلية إلى نور الايمان . ومن جور الأديان والحكام إلى عدل الإسلام .

ولقد اقتضت سنته عز وجل أن يكون مسار البشرية بين ارتقاءٍ وانحدارٍ ، ومدٍ وجزر ، وأنه كلما اعترى البشرية انحرافٌ أو ارتكاسٌ في عقيدتها وأخلاقياتها ، تلقفتها العناية الإلهية وأمدتها بقبسٍ من السماء ، يصحح مسارها ، ويتركها على محجةٍ بيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

والقرآن الكريم ، بتأييده بالسنة والاجتهاد هو القبس والنور الإلهي الذي يستطيع أن ينتشل الإنسانية المنكودة المتردية مما حل بها من نزاعٍ وانحلالٍ ،وتخلفٍ وضلال ، ذلك دأب القرآن الكريم وعمل منهجه التربوي في تقويم النفوس أفراداً وجماعات . ولا يزال صالحاً للعمل والتطبيق ، قادراً على أن يبلغ بالبشرية من هدايةٍ وأمنٍ واستقرارٍ ورخاءٍ ، ما بلغ بها من قبل . ما وجد دعاةٌ مؤمنين مخلصين ينهضون بأعباء الدعوة ، غير هيابين ولا وجلين .

وإن من رحمة الله عز وجل بخلقه أن رسم لهم سبيل الدعوة إليه . فقال عز وجل " قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين " وأوضح لهم منهجها في كتابه الكريم فقال تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " وبين لهم قِوامَها فقال تعالى " ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالكٌ إلا وجهه له الحكم وإليه تُرجعون " .

وإنني وأنا بصدد بيان منهاج القرآن الكريم في سورة من سوره - لمقومات الدعوة . وصفات الداعية ، لأرجو الله العلي القدير بضراعة العبد الضعيف ، أن يجعل فيما أكتب منارة هدى للسائرين على درب الدعوة إلى الله . كما أرجو أن يكون خالصاً لوجهه الكريم .

١ - أهمية الموضوع وسبب اختياره :

لقد فكرت كثيرا في اختيار موضوع يناسب هذا العصر الذى فشت فيه الجاهلية الدينية من جديد ، وضعف فيه الوازع الأخلاقي . فاستقر رأيي بعد تأمل وتدبر على أن يكون عنوان رسالتي للماجستير هو " الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان " وقد دفعني لاختياره عدة أسباب من أهمها :

أولا : أن الأمة الإسلامية الآن - في يقيني - لا يمكن إصلاحها والنهوض بها وعودتها إلى أصالتها الدينية والخلقية إلا بالمبدأ والطريقة التي صلح بها أول أمرها وهو المنهج الإلهي الذي رسمه عز وجل في السور المكية من تنزيله . مصداقاً لقوله صلوات الله وسلامه عليه " لا يُصْلِحُ آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها " فلابد من اعتماد الكتاب والسنة منهجاً للدعاة والمدعوين ، كما أنه لابد من اعتماد طريقته صلى الله عليه وسلم المبينة في سيرته العطرة للتنفيذ العملي لهذا المنهج الموجود في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : إنَّ القرآن المكي في معظمه يدور حول قضايا أساسية ثلاث هي :

- توحيد الله بربوبيته وألوهيته وعبوديته .
- الإيمان باليوم الآخر .
- الإيمان برسالة محمدٍ صلى الله عليه وسلم .

وقد أقامت سورة الفرقان في الحديث عن هذه الكليات لأنها أصل الدين وعماده . وفي اعتقادي أنه لا صلاح لهذه البشرية ، ولا راحة لها ، ولا طمأنينة لوجودها ، ولا نقاء لحياتها من الشرور والآثام إلا بالإيمان بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً .

ثالثا : أنه لا بد للوصول بالناس إلى الاقتناع بهذه الحقائق الثلاث والإيمان بها إيماناً جازماً من وجود دعاةٍ مخلصين ، نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله متفانين في سبيله ، يحمل هذه المقومات الحياتية وتلقينها للناس وإقناعهم بأنها السبيل الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار والحرية في الدنيا والنجاة في الآخرة .

رابعا : إن سورة الفرقان علاوة على اشتمالها على هذه المقومات الحياتية فإنها تشير بوضوحٍ وتفصيلٍ إلى صفات الدعاة ، وكيف يجب أن يسيروا في الدعوة إلى الله . " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقراً ومقاما . . . " الخ الآيات .

هذه أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع .

٢ - مكان هذه الدراسة من الدراسات السابقة :

ومن الحق أن أقول إن كثيرا ممن كتب في الدعوة كانت كتابته تتعلق ببعض جوانب الموضوع . وبعضهم الآخر أفرد أبحاثاً خاصة تتعلق بوسائل الدعوة وأصولها ، والمشكلات التي يعاني منها الداعية ، وكيف ندعو الناس . . . الخ . أما أن تكون هذه الكليات الثلاث باعتبارها مصدر دعوة موضوعاً لدراسة أحدهم فإني لم أجد فيما وصل إلى علمي دراسة " حديثة " وافية تبحث في هذا المجال فتعطيه حقه من العناية والرعاية والاهتمام ، وتفرده برسالة مستقلة تبرز معالمه ، وتوضح قواعده ، وتجمع شتاته .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن استقرائي مجال البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الدعوة والدعاة انتهى بي إلى أن أحداً من الباحثين لم يتصد لسورة الفرقان بمفردها مستنبطاً منها عناصر الدعوة الإسلامية ومكونات الداعي المسلم . وفضلاً عن هذا فإن كتب التفسير سواء ما كان منها بالمأثور أو بالرأي أو الدراسة الموضوعية لا تسير على طريقة واحدة في الترتيب والتأليف ، والمناقشة والتحليل والاستنتاج . فما يقدمه مفسر قد يؤخره غيره ، وما يراه هذا يهمل يراه ذاك ، وما أسهب فيه مفسر أجمله آخر ، وما ذكره بعضهم غفل عنه بعضهم الآخر ، وهكذا .

ولن أكون مبالغاً إذا قلت إنني بذلت جهداً شاقاً في تخطيط هذه الدراسة وجمع شتات مادتها ، وتحقيق آرائها ، وتخريج أحاديثها ، غير أنه لا يبلغ بي الزهو بجهدي القليل المتواضع أن أدعي أنني أحطت بالموضوع الذي عرضت له من جميع جوانبه ، فإن موضوعي يتعلق بسورة من القرآن الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يظهر علمه إلا بنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز القول فيه بالهوى لقوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم " وقوله صلى الله عليه وسلم " من قال في القرآن بغير علم

فليتبوأ مقعده من النـــــار " (١)

على إني لم أخرج في جملة ما كتبت عن أقوال السلف الصالح ، أو من شهد لهم بالصلاح ، وما أنا إلا إنسان جامع لما صح عنهم من أقوال وآراء ، مع قليل من التنسيق والربط ، وما تجود به القريحة من فقير، ربما كان موجوداً في بطون الكتب ولم أطلع عليه ، وحسبي أني بذلت جهدي في تجنب الخطأ . فإن أصبت فبتوفيق ومنّة من الله سبحانه ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان .

٣ - مشـــاكل البحـــث :

في الواقع إنني لم أجد صعوبة كبيرة في جمع مادة الرسالة من بطون أمهات الكتب القديمة والحديثة ، ولكن الصعوبة التي واجهتني أثناء الكتابة هي ندرة الأدلة القرآنية نظراً لقلة الآيات التي اشتملت عليها السورة ، في كل جزئية من جزئيات البحث ، الأمر الذي حملني على أن استعين بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكتب السير والمغازي ، فكنت أنقّب فيها الساعات الطوال أبحث عن دليل لجزئية معينة .

ويزيد من هذه الصعوبة أنني قصرت البحث على سورة الفرقان . لذلك كنت أتحرج كثيراً في الاستدلال بآيات خارجة عن السورة ، وإن سمحت لقلمي بذلك فإنما كنت أضعه في الهامش ، عدا النزر القليل الشديد الصلة بالموضوع .

---

(١) سنن الترمذي : كتاب التفسير ، قال المناوي عنه " قال أحمد وغيره ضعيف . وردوا تصحيح الترمذي له " فيض القدير ٦ / ١٩٠ ويعضده ما رواه أبو داود في كتاب العلم والنسائي في الفضائل .

٤ - منهج البحث :

وقد تألف هذا البحث من تمهيد وبابين وخاتمة .

بينت في التمهيد أهمية سورة الفرقان ، واشتمالها على أهم المقومات الاساسية للدعوة والداعية .

ودرست في الباب الأول موضوع الدعوة كما جاءت في هذه السورة وقد قسمته إلى أربعة فصول . بحثت في الفصل الأول الدعوة إلى الايمان بوجود الله في مبحثين :

- المبحث الأول وجود الله : وفيه بينت أثر الفطرة السليمة في الاستدلال على وجود الله بما في الكون من ظواهر كونية ، ثم فندت أقوال الملحدين والطبيعيين معتمداً أساساً على ما جاء في سورة الفرقان من أدلة الحدوث ، والوجوب ، والافتقار ، والنظام ، واستحالة القول بالمصادفة ، مدعماً ذلك بالأمثلة والشواهد وفقاً لأحدث النظريات والكشوف العلمية الحديثة .

- وتناولت في المبحث الثاني الاستدلال على الألوهية بما في السورة من ظواهر كونية ، دعانا سبحانه وتعالى إلى التفكر والنظر فيها واستقرائها واستنباط الأدلة منها .

وبحثت في الفصل الثاني : الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل في أربعة مباحث :

- تناولت في المبحث الأول وحدانية الله تعالى وفيه بينت أنها دعوة جميع الرسل ومضمون الرسالات السماوية . وفندت أقوال القائلين بتعدد الآلهة بدليل التمانع ، ودليل الضر والنفع .

- وتناولت في المبحث الثاني تنزيه الله عن الولد والشريك . وبينت أن ادعاء البنوة مقتبس من الوثنيات السابقة وليس من أصل النصرانية ولا اليهودية ، وبينت أن التوالد قانون إلهي لامتداد الحياة . والله حي باق لا يفنى ، قادر لا يحتاج ، وأسهبت في

بيان حقيقة الشرك ، وأنه يؤدى إلى إفساد الفطرة ، ويشل التفكير ، ويقطع الصلة بين العبد وربه ، ثم عقبت على ذلك ببيان الحال التي يؤول إليها أمر المشركين يوم الحساب والجزاء . مدعماً ذلك بالآيات والأحاديث الصحيحة .

- وتناولت في المبحث الثالث : خصائص الألوهية التي أشارت إليها السورة وهي :

خاصية الخلق وأن الله سبحانه خلق كل شيء فقدره تقديرا .

وخاصية الملك : وبينت أن المتفرد في الخلق هو نفسه المتفرد في الملك . وأن الإنسان مستخلف في هذه الأرض ، وإن سيادته عليها ليست مطلقة بل محددة طبقاً لمبدأ القوامة والاستخلاف .

وخاصية النفع والضر : وفيها بينت أنه لا يقع شيء في هذا الوجود ضراً كان أو نفعاً إلا بمشيئته تعالى .

وأخيراً خاصية الإحياء والإماته والحشر والنشر : وفيها بينت أن البشرية بمجموعها تظل أعجز من بث الحياة في خلية واحدة أو إماتة خلية واحدة على وجه الحقيقة ، وأن الموت ليس نهاية المطاف بل هو حلقة في سلسلة من حلقات .

- وتناولت في المبحث الرابع والأخير أثر القصة في الدلالة على وحدانية الله تعالى ، وبينت فيه أن المشاهد القصصية في السورة ، سائرة كلها في خدمة العقيدة . وهي فوق ذلك وسيلة للدعوة وطريق للتأثير والارشاد .

وبحثت في الفصل الثالث الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر في ثلاثه مباحث :

- تناولت في المبحث الأول منه تقرير الإيمان باليوم الآخر ، وبينت فيه أن مجيء اليوم الآخر أمر أجمعت الرسالات السماوية على تأكيده وإتيانه ، وأن الإيمان به جزء من العقيدة الإسلامية وركن من أركانها .

- وتناولت في المبحث الثاني : الصبر على الإبتلاء ،وبينت فيه أنه مع كونه ضـــــرورةً دنيويةً وأخرويةً فهو خصوصيةٌ إنسانيةٌ ، وهو واجبٌ بإجماع الأمة .
- وتناولت في المبحث الثالث الخوف من الله ،وبينت فيه أن الخوف على مقامين خوفٌ من الله وهو خوف العارفين وخوفٌ من عذابه وهو خوف عموم المؤمنين.
- وتناولت في المبحث الرابع الفطنة ونفاذ البصيرة وبينت فيه أن هذه الصفة فطرة أكثر منها اكتسابا .

ودرست في الفصل الثالث الصفات السلوكية للداعية في ستة مباحث :

- تناولت في المبحث الأول التواضع ،وبينت فيه أن الدعاة هم أحوج الناس الى خلق التواضع.
- وفي المبحث الثاني الترفع عن اللغو وبينت فيه أن من معانيه الحلم وسعة الصدر ، وضبط النفس .
- وفي المبحث الثالث القصد والإعتدال وبينت فيه أن القصد والاعتدال هو القوام وهي حالةٌ وسطٌ بين الإسراف الذي هو التبذير والتقتير الذي هو نوع من التضييق والشح .
- وفي المبحث الرابع اجتناب الموبقات التي هي سبب هلاك الفرد والأمة .
- وفي المبحث الخامس المبادرة إلى التوبة وبينت فيه أنها واجبة بنص القرآن والسنة المشرفة.
- وتناولت في المبحث السادس القدوة الحسنة التي يجب توافرها في عموم المؤمنين فضلا عن الدعاة العاملين .

أما الخاتمة فقد أوضحت فيها النتائج التي توصلت إليها أثناء البحث .

وفي الختام أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور محمد صالح محي الدين الذي أشرف على هذه الرسالة ، على توجيهاته ومتابعته التامة ، وعنايته ، وتشجيعه ، وحسن توجيهاته مما كان له أكبر الأثر في نفسي ، فهو لم يألُ جهداً ، ولم يدخر وسعاً في مساعدتي على إخراج هذه الرسالة بالمظهر اللائق وما يظهر فيها من نقص فهو بسبب تقصيري عن الوفاء بكل توجيهاته - فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى مدير المعهد العالي في شخص مديره السابق الدكتور عبد الله بن عبد الله الزايد . ومديره بالإنابة فضيلة الشيخ سعود بن محمد البشر ، ومديره الحالي فضيلة الشيخ صالح بن سعود العلي على ما أولوني من عناية فائقه يسرت لي سبل الدراسة والبحث .

والله من وراء القصد فهو أكرم مسؤول وأعظم مأمول

تمهيد : " أهمية سورة الفرقان " :

سورة الفرقان مكية . أي من القرآن المكي الذي ظل يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاماً . إلا الآيات ٦٨ - ٧٠ فمدنية ، وآياتها سبع وسبعون نزلت بعد سورة يس .(١) وتسميتها وترتيبها توقيفي .(٢) والفرقان إسم من أسماء القرآن الكريم . سمي بذلك لأن الكتب المتقدمه كانت تنزل جملةً واحدةً . والقرآن نزل مُنَجَّماً مفرقاً ، مفصلاً آياتٍ بعد آيات ، وأحكاماً بعد أحكام ، وسوراً بعد سور ، وهذا يدل على مبلغ اعتناء المُنْزِلِ بمن أُنْزِلَ عليه .(٣) ويقال إنه سمي بذلك لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد والحلال والحرام .(٤)

والسورة كغيرها من القرآن المكي تعني بأمور العقيدة وأصول الإيمان ، وتعالج شبهات المشركين حول وجود الله ووحدانيته ، والرسالة ، والبعث ، والجزاء ، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزته الخالدة .(٥)

ومحور هذه السورة فيما ظهر لي من دراستها قضايا عقدية ثلاثة هي :

١ - وجود الله ووحدانيته .

٢ - الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

٣ - ثم الإيمان باليوم الآخر .

---

(١) انظر ابن جزى : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٣/ ٧٤ والألوسي : روح المعاني ١٨/ ٢٣٠ « بدون تاريخ »

(٢) انظر سليمان بن عمر العجيلي المشهور بالجمل : الفتوحات الإلهية تفسير الجلالين ٣/ ٢٤٣ .

(٣) انظر ابن كثير : التفسير ٣/ ٣٠٨ والالوسي : روح المعاني ١٨/ ٢٣١ .

(٤) المصدر السابق نفسها الصفحه .

(٥) انظر صديق حسن خان : فتح البيان ٦/ ٤١٤ طبع ١٩٦٥م . الناشر مطبعة العاصمة في القاهره

طبعة ثانية / ١٣٩٣هـ

ويمكن أن أقول بصفةٍ عامة إن السور المكية الكريمة لا تكاد تتجاوز هذه القضـــايا الثلاثة إلى شيء مما يقوم عليها من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن استقرت هذه القضايا استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصبة المختارة من صحابته صلى الله عليـــه وسلم التي قدر لها أن يقوم أمر هذا الدين عليها ، وتؤسس أول دولة تحكم بشريعة الله ، ويتحقق الأمن والاستقرار للبشرية على يديها .

وفي ظني أن من واجبات الدعاة إلى الله الوقوف طويلا أمام هذه الظاهـــــرة الكبيرة التي تهـدت في سورة الفرقان ، ظاهرة بناء العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة وهم يهيئون أنفسهم لخوض معركةٍ ضخمةٍ ضد عتاة الشرك والجاهلية . ومعنى ذلك أن على أصحاب الدعوات أن يقوموا بالبناء الحركي للجماعة المسلمة من خلال البناء العقـــدى في نفوس الجماعة .

وعلى هذا فإن سورة الفرقان تعد نموذجاً للقرآن المكي ، تُمثل طبيعته ومنهجـه في الدعوة إلى الله مع احتفاظها بشخصيتها ورونقها ، ومحورها وطريقة عرضهـــا . - ففي مجال العقيدة تعرض السورة حقائق الألوهية واليوم الآخر من خلال النظـــر والتأمل في مجال الكون والحياة ، وتفسر للإنسان سر وجوده ، ووجود هذا الكون مـــن حوله .(١)

وفي مجال تقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، تتصدى للرد على مشركي قريش وتفند أقوالهم ، وتسفه أحلامهم ،(٢) وهي فوق ذلك إيناسٌ وتسريةٌ وتطمينٌ وتقويةٌ لرســـوله صلى الله عليه وسلم وهو يواجه أئمة الشرك والضلال .(٣)

---

(١) الآيات ٤٥ - ٤٩ .
(٢) الآيات ٤ - ١٠ .
(٣) الآيات ٤١ - ٤٤ .

وفي نهاية الجدل تعرض السورة مصارع المكذبين من لدن نوح إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.[١] ثم تعرض النهاية التعسة التي يؤول إليها حال المشركين في سلسلة من مشاهد يوم القيامة، وما فيها من أحوال تقشعر لها الأبدان.[٢] ثم تعقب السورة على ذلك ببيان هيئة عباد الرحمن وكأنما تتمخض عنهم معركة الجهاد الشاقة المريرة مع البشرية الجاحدة الضالة المعاندة.

ثم تنتهي السورة بتصوير هوان البشرية على الله لولا دعاء تلك القلوب المؤمنة والتجاؤها إلى الله سبحانه، وتؤكد جزاءهم في الآخرة.[٣] "قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما".[٤]

---

(١) الآيات ٣٥ - ٤٠.
(٢) انظر قوله تعالى "الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا" سورة الفرقان آية ٣٤. طبعة/٤ـ١٣٩٧هـ
(٣) انظر سيد قطب، الظلال ٥/٢٥٤٧، والدكتور البهيي تفسير سورة الفرقان ص ٤٢.
(٤) سورة الفرقان آية ٧٧.

الباب الأول

الدعوة في ضوء سورة الفرقان

ويتضمن :-

الفصل الأول : الدعوة إلى الإيمان بوجود الله عز وجل .

الفصل الثاني : الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله عز وجل .

الفصل الثالث: الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الرابع : تقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

الفصل الأول

الدعوة إلى الإيمان بوجود الله عز وجـــل

وفيـه مبحثـــان :

المبحث الأول - الدعوة إلى وجود الله عز وجـل .

المبحث الثاني - الاستدلال على الألوهية بالظواهر الكونية .

المبحث الأول - وجود الله تعالى :

ورد في الأثر أن أعرابيا سُئِلَ كيف يستدل على وجود الله تعالى .....؟ فقال "البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ، أفلا تدلان على العليم القدير ...!!" [1]

هذا الأعرابي بفطرته السليمة استطاع أن يستدل ببعض الظواهر الكونية البدائية المحيطة به على وجود الله ، المسبب لهذه الظواهر . وهذه الفكرة - فكرة السببية - قامت في عقول معظم الفلاسفه والمفكرين منذ القدم وربطوا بين السبب والمسبب ، وبين الأثر والمؤثر ، وخرجوا بفكرة المسبب والمؤثر لهذا الكون وهو واجب الوجود ، وهو الله خالق هذا الكون جل وعلا .

ولقد نبه الله سبحانه وتعالى في التنزيل كثيراً إلى النظر والتفكر في هذه الظواهر الكونية ، للإستدلال على وجوده تعالى .[2] نظراً إلى أن امكاناتنا الحسية ، ومداركنا الفكرية قاصرة عن إدراك كثير من الحقائق المحيطة بنا بله إدراك الموجد لها ، وفي السورة التي نحن بصددها ،إشارات واضحة إلى مثل هذه الظواهر الكونية ، تأمل قوله تعالى " تبارك الذى جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا "[3] وقال أيضا :

---

(١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكه : العقيده الاسلاميه ص ١٤٣ طبعة ثانيه عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، الناشر : دار القلم بدمشق ، وعمر سليمان الاشقر : كتاب العقيده في الله : بحث الفطره . الناشر : مكتبة الفلاح - الكويت و ..... والجاحظ : البيان والتبين ١/٣٠٨ وما بعدها تحقيق عبد السلام هارون طبعة ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م .

(٢) إلى هذا يتوجه قوله تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ... " سورة فصلت آيه ٥٣ .

(٣) سورة الفرقان آية ٦١ - ٦٢ .

" ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ، وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا . وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهورا لنحي به بلدةً ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيرا . ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا "[1] وقوله عز وجل " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجورا "[2]

هذه الظواهر الكونية بمجموعها أثر من آثار نعمة الله على البشرية الجاحدة ، وكل منهما شاهدٌ على وجود الله الرب الخالق المتصرف ، وعلى وجود الله الإله المتفضل عليها بالنعم في معيشتها وامتداد حياتها ، فالله سبحانه الذى تزايد وتكاثر خيره هو الذى جعل في السماء منازل للسيارات ترتادها الشمس فتتأثر الأرض حرارة وبرودة ، والليل والنهار طولا وقصرا ، وجعل فيها الشمس التى تعطينا الدفء والنور والحرارة ، وجعل فيها قمراً يغمر نوره نور الكواكب فلا يظهر معه إلا القليل ، يختلف ظهوره على مدار الشهر[3] ، يبدأ هلالا ثم يتم بدرا ثم يعود محاقا كالعرجون القديم ، حتى يختفي ويظهر من جديد . نبتغي بذلك فضلاً من الله ونعلم عدد الشهور والسنين والحساب .[4]

---

(١) سورة الفرقان الآيات : ٤٥ - ٥٠ .

(٢) سورة النمل الآية : ٥٣ - ٥٤ .

(٣) تأمل قوله تعالى " وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب " سورة الاسراء آية : ١٢ وقد اكتشف العلماء الفلكيون أن القمر تابع للارض ويدور معها من الغرب إلى الشرق . وأن له دورتين ، دوره حول نفسه ودوره حول الارض يتمهما معا في مدة شهر قمرى ٢٩ يوما وثماني ساعات ، يتجه بوجهه دائما نحو الارض . انظر نديم الجسر : قصة الايمان ص ٣٢٨ ، ط ٣ ، ٥/ المكتب الاسلامي .

(٤) يقول الفلكيون " القمر يستمد نوره وحرارته من الشمس ولكون سطح القمر ليس كسطح المرآة فقد رته العاكسة ضعيفة جداً " شوقي أبو خليل : الانسان بين العلم والدين ص ٩٩ الناشر مطبعة الانشاء بدمشق . وانظر نديم الجسر : قصة الايمان ص ٣٢٨ طبعة / ٣ .

فقد أبدع سبحانه وتعالى هذه الموجودات بشكل يوافق لوجود الإنسان ، ولو طرأ أى اختلاف على هذا الإبداع لاختلف نظام الكون وتعطلت معه الحياة ، هذه الموافقة لا يمكن أن تتم بطريقة المصادفة التي سنشرحها في حينها ، بل عن قصد وإرادة[١] .

كذلك فإن التفكير في هذا الكون العجيب الرحب المنظم يُفضي بالمرء إلى إيمانٍ عميقٍ لا يتزعزع بأن لهذا الكون خالقاً مُبْدِعاً ، وأن هذا الفضاء الفسيح يبدو بسيطاً هيناً أمام عظمة الخالق سبحانه ، يؤيد ذلك قوله تعالى " وسع كرسيه السموات والأرض[٢] " وقد أورد الإمام ابن جرير الطبري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " ما الكرسي في العرش إلا كحلقةٍ من حديدٍ ألقيت بين ظهري فلاةٍ من الأرض " .[٣]

فإذا كان هذا الكون الفسيح بما فيه من سمواتٍ وأراضٍ يسعه كرسي الرحمن عز وجل وأن هذا الكرسي مع عظمته لا يعدو أن يكون بالنسبة إلى عرش الرحمن عز وجل غير حلقةٍ من حديد ألقيت في أرض بيداء ، فإن هذا التصور لعظمة الكون بله عظمة الخالق يبدو مستحيلا أمام كلال العقل البشرى وعجزه ومحدوديته . . . ! !

هذا الإنسان الذى غزا الفضاء بعقله وجسمه يبقى عاجزا عن إدراك ذاته ، فكيف بإدراك هذا الكون .

---

(١) انظر نديم الجسر : قصة الايمان ص ١٠٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(٣) جامع البيان ، ٣٩٩/٥ تحقيق محمود شاكر ط/ دار المعارف بمصر بدون تاريخ

يقول شوقي أبو خليل " إن جميع من درس الفلك وهذا الكون دراسة حقة واطلع على خفاياه دون مكابرة توصل إلى الإيمان الحق من حيث يدري أو لا يدري "[١] ويستشهد بقول الدكتور جون كليفلاند فيقول " إن الكون المادي يسوده النظام ، وليس الفوضى ، وتحكمه القوانين وليس المصادفة أو التخبط "[٢] ولولا هذا التناسق العجيب ، والنظام الدقيق الذي يسود الكون لاصطدمت هذه الأجرام ولفسدت السموات والأرض ، وأصبحتا هباءً منثورا .

وهذا ما يسمى بدليل " النظام أو الاتقان "[٣] . والآن لنفند أقوال المنكرين والجاحدين لوجود الله سبحانه .

١ - القول بأن الكون خالق لنفسه :

فإنه من السذاجة بحيث لا يستحق أن يكون موضع نظر ، لأن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل " والمشاهد أن جميع ما حولنا من أشياء كانت معدومة ثم وجدت ، فعدمها ينفي وجودها ووجودها ينفي امتناعها ، وما كان قابلا للوجود والعدم ، يمتنع وجوده من نفسه "[٤] وإلى هذا يشير قوله تعالى " أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون "[٥] إذ كل مُحْدَثٍ لابد له من مُحْدِثٌ ، وحدوث

---

(١) الإنسان بين العلم والدين ص ٨ . وأرى أن في قول شوقي ابو خليل السابق نقصا حيث أنه لم يبين ما هو الايمان الحق الذي توصل اليه ، والمتبادر إلى الذهن هو " وجود الله " وربما سقط منه سهوا .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر نديم الجسر قصة الايمان ص ١٠٧ وعبد الرحمن حبنكه ، العقيدة الاسلامية ص ١٤٦ وما بعدها .

(٤) علي بن علي بن أبي العز الحنفي : شرح الطحاويه ص ٥٦ - ٥٧ ط/ كلية الشريعة بالرياض طبع ١٣٩٦ هـ .

(٥) سورة الطور آية ٣٥ .

هذا الكون أكدته الرسالات السماوية[١] وأقرت حدوثه الكشوف العلمية حسب نظرية " ضابط التغير " التي سنشرحها بعد قليل ، فلنبحث إذن عن وجوب وجود المُحْدِث سبحانه وتعالى . والعلم بإثبات المُحْدِث ووجوب وجوده أمرٌ ضروريٌ وفطريٌ . إذ لا معنى للإيمان بالمخلوق ورفض وجود الخالق ، وهذا ما يسمى " بدليل الوجوب "[٢] وكما لم يثبت أن الكون خالقٌ لنفسه ، أُويدع أحدٌ غير الله أنه خالقه كذلك لم يثبت أن الكون أزليٌ ، وقد أثبتت الكشوف العلمية ومنها " القانون الثاني للحرارة الديناميكية . أو قانون الطاقة المتاحة " أو " ضابط التغير " Law of entropy " أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزلياً ، فهو يصف لنا " أن الحرارة تنتقل من وجود حراري إلى عدم حراري والعكس غير ممكن "[٣] " وبناءً على هذا الكشف العلمي الهام فإن عدم كفاءة عمل الكون يزداد يوماً بعد يوم ، ولابد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات وحينذاك لا تبقى أية طاقة مقيدة للحياة ، وتنتهي مع هذه النتيجة الحياة "[٤] ويتابع العالم الأمريكي الاستاذ " ادوار لوثركيل " تحقيقه فيقول " وانطلاقا من هذه الحقيقة وحيث أن الحياة قائمة يثبت لدينا قطعاً أن الكون ليس بأزلي إذ لو كان أزلياً لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمنٍ بعيد . ولَمَا بقي في الكون بصيصٌ من الحياة "[٥] وهكذا

---

(١) قال تعالى " أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين " سورة فصلت ٩/٢١ . (اكتفينا بالإشارة الى القرآن على اعتبار أن جميع الرسالات السماوية تعترف بأن هذا الكون مخلوق وأن الله هو الخالق . وإلا لبطل إسمها رسالة سماويه . ومن جهة أخرى فإن الكتب السابقه محرفة لا يجوز الإستدلال بها .

(٢) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ٧٤ ط/٧ - ١٣٩٧هـ وديم الجسر : قصة الإيمان ص ٢٢٩ وعبد الرحمن حبنكه : العقيده الاسلاميه ص ١٢٧ وما بعدها .

(٣) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ٧٤ ط/٧ - / المختار الاسلامي ود . السامرائي : نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٣٠ طبعة/١ - ١٣٩٨هـ .

(٤) انظر المصدرين السابقين نفس الصفحات .

(٥) المصدرين السابقين نفس الصفحات وكذلك شوقي أبو خليل : الإنسان بين العلم والدين ص ٨ .

هي بنسبه ١ إلى بليون بليون .

والغرض من هذا المثال البسيط بيان أن المصادفة في مجال الأعداد الكبرى تصبح مستحيلة بداهة لأن قانون المصادفه يقول : " أن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص بنسب معكوسة مع عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة "[1] فكلما قل عدد الاشياء المتزاحمه ازداد حظ المصادفه من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة من النجاح " .

فإذا كان التزاحم بين شيئين متكافئين يكون حظ المصادفة بنسبة واحد ضد اثنين ... واذا تضخمت النسبة العددية تضخما هائلا ، يصبح حظ المصادفة في حكم العدم بل المستحيل ... أما في موضوع الكون فإن القضية من التعقيد لا تستطيع أن تحيط بها عقولنا مما يجعل المصادفة مستحيلة التصور في حد ذاتها بله الوقوع فيها .[2] ومثال على هذا التعقيد نقول :

إن جزيء البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية ، وأخطر ما في هذه العملية هو الطريقة التي تختلط بها هذه السلاسل بعضها مع بعض . ولو طرأ عليها أي خلل لأصبحت سماً قاتلاً ، بدل أن تُصبح موجدةً للحياة .[3] فإذا كانت المصادفة محالاً في محيط " الجزيء " فما بالك في محيط هذا الكون الضخم ، ويطيب لي أن أختم هذه الفكرة الساذجة بما يقوله " جورج ايرل ديفيس " لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه ،

---

(١) انظر سعيد حوى : الله جل جلاله ص ٣٤ ط/ ٢ آ- ن/ دار القلم . ونديم الجسر قصة الايمان ص ٢٩٣ .وعبد الرحمن حبنكه : العقيدة الاسلامية ص ١٤٨ .

(٢) انظر المصدرين السابقين ص ٣٨ و ص ٢٩٣ .

(٣) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ١٠٢ .

فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق ، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإلٰه .. وهكذا ننتهي إلى التسليم بوجود الإلٰه ، ولكن إلٰهنا هذا سيكون إلٰهاً غيبياً ومادياً في آنٍ واحد !! إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإلٰه " الغيبي " الذي خلق العالم المادي ... وحاكمه ومدبره بدلاً من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات "[1].

ولهذا يتبين مدى سخافة فكرة مجيء الكون بالمصادفة وبطلانها ، وإن الكون يتبع في تنظيمه قوانين هي من الدقة بحيث لا يمكن حمله على المصادفة ، ولا يمكن تفسيره إلا على أن للكون إلٰهاً غيبياً هو خالق هذا الكون المادي [2].

٣ - أما القول بأن الألوهية من الأمور الغيبية ، وأن الغيبية لا مكان لها في الأنظمة العلمية: فإننا نقول إن أشياء كثيرة نلمس لها أثراً في حياتنا ولا نجد لها كياناً ملموساً، مثل القوة المغناطيسية والكهرباء والموجات اللاكترونية ، والعقل والذاكرة والذكاء والروح كلها نجد لها أثراً وفاعلية ولا نجد لها حقيقة مادية . وقد أشار القرآن الكريم إلى الناحية الغيبية واعتدها ركناً من أركان الإيمان [3]. واعتبر من أصر على الرؤية المباشرة ضالاً ولن يتمكن من معرفة الحقيقة . لأن الله سبحانه يشترط لمعرفة الحقيقة الإيمان بالغيب ، بقوله تعالى " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب "[4] ومنذ ثلاثة آلاف سنه طالب اليهود نبيهم موسى عليه السلام وقالوا " أرنا الله جهرة "[5] فأخذتهم الصاعقة

---

(١) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ١٠٨ .
(٢) انظر د . فاضل السامرائي : نبوة محمد من الشك الى اليقين ص ٣٥ .
(٣) وإلى ذلك يشير قوله تعالى " ليعلم الله من يخافه بالغيب " المائدة ٩٤ . وقوله " إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير " الملك آية ١٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٣ .
(٥) إلى ذلك يتوجه قوله تعالى " فقالوا أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقه بظلمهم " النساء ١٥٣ .

بظلمهم وهم ينظرون . وفي العصر الحديث أعيدت المطالبة باسم العلم وزعموا أنه لا وجود للأشياء غير المرئية . وحين اكتشفت المجاهر وتمكنت من مشاهدة أصغر الأجسام البعيدة ولم تُشاهد الحقائق الدينية ، زعموا أنه لا وجود لهذه الحقائق .[١] لكن الإكتشافات الحديثة أبطلت هذه المزاعم وأثبتت أن الأشياء التي لا نتمكن من مشاهدتها أكثر بكثير من الأشياء التي تشاهدها حتى الآن .[٢] إن نظرية الثقب الأسود تؤكد أننا لا نشاهد من الاشياء الكثيفة عدا ٣٪ .[٣] ولمعرفة الاشياء التي لا نشاهدها . اعتمد العلماء " الاستنباط " من وسائل المعرفه إلى جانب التجربة والملاحظة وبهذا اعترف العلماء حديثا أنه لابد من الإيمان بالغيب بمشاهدة ظواهر الكون .[٤] هذا المنطق - عدم الإيمان إلا بما يقع عليه الحس أو لا وجود للأشياء غير المرئية - لا يمكن تفسيره إلا باتباع الهوى والأبوق من الألوهية ذاتها - وإلا بماذا نعلل الكشوف الفلكيه التي تترى ولقد أثبتت هذه الكشوف الفلكية الحديثة أن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها ، منها ما هو أكبر بقليل من الأرض ، وأكثرها كبير جدا " .[٥]

ونستطيع أن نرى بالعين المجردة خمسه آلاف من النجوم ، وأقوى تلسكوب في العالم في الولايات المتحدة الأمريكية يستطيع أن يشاهد بلايين من النجوم لا يتصادم بعضها مع بعض .[ ] ويقدرون عدد النجوم في المجرة التي نحن من عالمها بثلاثين بليون .[٦]

---

(١) انظر وحيد الدين خان : الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ص ١٤ وما بعدها سلسلة نحو وعي اسلامي . ط/ ١ - ٥/ المختار الاسلامي .
(٢) انظر المصدر السابق ص ١٣ .
(٣) نظرية الثقب الأسود Black Hole Theory " تؤكد أننا لا نشاهد من الاجسام الكثيفه ما عدا ٣٪ أما الاجزاء السبعه والتسعون الباقيه فلن نستطيع مشاهدتها ابدا . المصدر السابق ص ١٥ .
(٤) انظر المصدر السابق ص ١٣ .
(٥) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص ٧٥ .
(٦) انظر المصدر السابق ص ٧٦ ونديم الجسر : قصة الايمان ص ٣٠٦ .

وأقرب حركة منا هي حركة القمر التي تبعد عنا (٢٤٠ر٠٠٠) ميل. وتبعد عن الشمس (٩٣ر٠٠٠ر٠٠٠) ميل وأبعد الكواكب السيارة (بلوتو) الذى يدور في دائرة قدرها (٧ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠) ميلا حول الشمس. وهذه الشمس ومعها آلاف النجوم والكواكب تشكل النظام الشمسي ، تدور بسرعة (٦٠٠ر٠٠٠) ميل في الساعة[1]. وهناك آلاف من الأنظمة غير النظام الشمسي يتكون منها ما يُعْرَف بالمجرات . والمجرة التي يقع فيها نظامنا الشمسي تدور حول محورها بحيث تكمل دورة واحدة في (٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠) سنه ضوئيه[2]. ويقدر علماء الفلك أن هذا الكون يتألف من عوالم من المجرات التي رأوا منها حتى الآن بآلات التصوير / ٥٠٠ / الف سديم .وفي كل آلاف ملايين الشموس والتي تبعد عن بعضها آلاف بلايين الكيلومترات[3]. ويرى علماء الفلك أن مجرات النجوم يتداخل بعضها في بعض ، فتدخل سيارات مجرة بسيارات مجرة أخرى ، ثم تخرج منها بسياراتها جميعاً دون أن يحدث أي تصادم بين سيارات المجرتين[4]. وهذا ما يؤيد قوله تعالى " وكل في فلك يسبحون " وقوله أيضا " والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون[5] "

هذه بعض أسرار الكون المذهلة التي لا يلبث العقل أن يحكم باستحالة أن يكون هذا النظام قائما بذاته ،أو وجد صدفة أو أن الأمور الغيبية لا وجود لها في الأنظمة العلمية . بل يُطَامِن ويُقر أن هذا الكون بما فيه من سموات وأراض يسعه كرسي الرحمن عز وجل . ولا يؤوده حفظه وهو العلي العظيم[6].

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٧٧ ،ونديم الجسر : قصة الايمان ص ٣٠٥ .
(٢) انظر المصدر السابق ص ٧٧ وما بعدها ، والسنه الضوئية عباره عن ٦ بليون ميل تقريبا .
(٣) انظر وحيد الدين خان . الاسلام يتحدى ص ٧٨ . وكذلك أنظر شوقي أبو خليل الانسان بين العلم والدين ص ٢٠ وما بعدها . لكل ما أوردته في الصفحة السابقة أيضا . ونديم الجسر : قصة الايمان ص ٣٠٦ .
(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٩ .
(٥) سورة يس آية ٤٠ ، وسورة الذاريات آية ٤٧ .
(٦) إلى هذا يتوجه قوله تعالى " وسع كرسيه السموات والأرض . ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم " سورة البقرة آية ٢٥٥ .

المبحث الثاني - الاستدلال على الألوهية بالظواهر الكونية :

الظواهر الكونية التي وردت في سورة الفرقان هي[1] :

الظاهرة الأولى : " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا " .

الظاهرة الثانية : " وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا "

الظاهرة الثالثة : " وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته " .

الظاهرة الرابعة : " وأنزلنا من السماء ماءً طهورا . لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيرا " .

الظاهرة الخامسة : " وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج . وجعل بينهما برزخا وحجراً محجورا " .

الظاهرة السادسة : " وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباوصهرا وكان ربك قديرا" .

الظاهرة السابعة : " تبارك الذى جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا " .

الظاهرة الثامنة : " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا"[1]

---

(١) الآيات : ٤٥ - ٤٩/ للظواهر الأربعة الأولى .
والآيات : ٥٣ - ٥٤ للظاهرتين الخامسة والسادسة .
والآيات : ٦١ - ٦٢ للظاهرتين السابعة والثامنة .

إثر بيان جهالة المعرضين عن وحدانية الله تعالى وضلالهم ، يعرض سبحانه وتعالى هذه الظواهر الكونية للاستدلال على وجوده ووحدانيته سبحانه مع ما فيها من عظيم الإنعام على البشرية الضالة المنحرفة .[1] وقبل شرح هذه الظواهر أجد أنه لا مندوحة لي من شرح " طريقة الإستدلال العلمي " التي انتهى إليها العلم الحديث .

لقد شاع فيما مضى مقولة " أن الدين هو الإيمان بأشياء غيبية لا تقع تحت حواسنا ، وأنه مبني على قياس واستقراء . وأن سبيل العلم هو الإيمان " بالملاحظة العلمية " القائمة على التجربة والمشاهدة " هذه المقولة أصبحت الآن باطلة متهافته لأنها لا تقوم على أسس علمية .[2] ولأن العلم لا ينفي وجود أشياء لم تشاهد ولم تجرب . كما لا ينفي قياس أشياء لم تشاهد على أشياء شوهدت وأجريت عليها التجارب فالتجربة لم تعد حقيقة علمية لمجرد أنها شوهدت ، والقياس ليس باطلاً لمجرد أنه قياس .[3] فالماء سائل يُرى بالعين المجردة مباشرة ولكن الحقيقة أن كل " جزيء " من الماء مكون من ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأكسجين ، وهذه الحقيقة لا يمكن مشاهدتها بأقوى المجاهر العلمية . كما أنه من السهولة واليسر مشاهدة آثار القوة المغناطيسية أو القوة الجاذبية بالعين المجردة . إلا أنه من المستحيل مشاهدة هذه القوة بأقوى المجاهر العلمية .[4] وهكذا تجد أن التجربة والمشاهدة ليستا وسيلتي العلم القطعيتين . وأن العلم لا ينحصر في الأمور التي شوهدت بالتجربة المباشرة .[5]

طبعة/٢ - الناشر دار الكتب العلمية بطهران

(١) انظر الامام الرازى : تفسير الرازى ٢٤ / ٨٧ والالوسي : روح المعاني ١٩ / ٢٥ .
(٢) انظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ط/ ١٣٩٧هـ ص ٦ ترجمة ظفر الاسلام خان .
(٣) المصدر السابق ص ٦٠ .
(٤) انظر وحيد الدين خان ، الاسلام يتحدى ص ٦٢ .
(٥) المصدر السابق ص ٦١ .

يقول البروفسور أ.ى . ماندير " إن الحقائق التي نتعرفها مباشرة تسمى الحقائق المحسوسه Petcieved Facts ، بيد أن الحقائق التي توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر في " الحقائق المحسوسة " فهناك حقائق أخرى كثيرة لم نتعرف عليها مباشرة ، ولكننا عثرنا عليها على كل حال ، ووسيلتنا في هذا السبيل هي " الاستنباط " أو التعليل وكلاهما طريق فكري " .(١)

فكما أن الله وحقائق الدين لا يمكن الاستدلال إليها والتعرف على حقيقتها مباشرة وإنما يُستدل إليها بقرائن وظواهر تستلزم الإيمان بالله وبحقائق الدين . كذلك العلم إنما هو استنباط حقائق غير معروفة بواسطة حقائق معروفة .(٢)

إذاً فالوسائل التي يتم بها التعرف على حقائق الدين هي نفسها الوسائل التي يستقي منها العلم . مع العلم أن تفسير الدين لكثير من المظاهر الطبيعية والحقائق الكونية لم يتغير ولم يتبدل ؛ في حين أن معظم النظريات التي صاغها الإنسان منذ قرن أو أكثر أو أقل قد طرأ عليها التبديل والتحوير ، وأصبحت موضع شك .(٣) ومثال ذلك " نظرية النشوء والارتقاء " .(٤)

أصدرت الكنيسة المسيحية في كيرالا جنوبي الهند كتيبا بعنوان :

Naturl and science speak about God

الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله

---

(١) المصدر السابق ص ٦٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٧٠ .
(٤) " يعتقد محرر دائرة المعارف البريطانيه عام ١٩٥٨ أن هذه النظرية قد حظيت بموافقة عامه بين العلماء والمثقفين بعد داروين . ومع ذلك فإن هذه النظرية لم يجربها أحد ولم يلاحظها أحد ، وهي كما يقول " لل " وسيلة منطقية لتفسير مظاهر الخلق ، وليست بملاحظة واقعية . . . " الإسلام يتحدى ص ٦٦ .

جاء فيه " أن أكبر دليل على وجود الله هو مخلوقه " .[١]

هذه الحقيقة نادى بها القرآن ولا يزال ينادي بها منذ أربعة عشر قرناً[٢] . فإذا آمنا بوجود الكون فلابد أن نؤمن بالذي أوجد هذا الكون وإلى الآن لم يدع أحد غير الله أنه خلق هذا الكون أو أوجده .

ومن المعلوم أن دعوة القرآن في أساسها وجوهرها كثيراً ما تتجه إلى العقل والفكر . لإثبات ما تدعو إليه ، إذ أن ما ندعوا إليه كثيراً ما يتعلق بمبادئ وحقائق لا سبيل للوصول إليها والتمسك بها إلا عن طريق الاستنباط ، كوجود الله سبحانه ووحدانيته ، واليوم الآخر ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وأن هذا الكون لا يعقل أن يكون عبثاً يؤول إلى الفناء ، أو أثراً من آثار المصادفة العمياء .[٣]

فإذا تأملنا هذه الظواهر الكونية وأمعنا النظر فيها نجدها تأتي في معرض التنبيه ولفت النظر إلى حقيقة هذا الكون . وروعة الإبداع الإلهي في خلقه وتنظيمه ، وانسياقه في خضوع ونظام لتدبير إله واحد يعنو له العالم كله بالدينونة والخضوع[٤] . تأمل قوله تعالى : تبارك الذى جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً[٥] " .

وسنتعرف الآن الى الظواهر الكونية بشيء من التفصيل :

---

(١) المصدر السابق ص ٧١ .

(٢) يشير الى ذلك قوله تعالى " قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين " فصلت ٩ .

(٣) انظر د . محمد سعيد رمضان البوطي : منهج تربوى فريد ط/ ٢ ، ن مكتبة الفارابي ص ٦٦ .

(٤) انظر د . محمد سعيد رمضان البوطي : منهج تربوى فريد ص ٢٥ .

(٥) سورة الفرقان آية ٦١ .

الظاهرة الأولى : وهي ظاهرة الظل

فظاهرة الظل الوارق اللطيف ، توحي بالراحة والسكن والأمان ، وأن يد الله الخفية تبسطه في رفق وتقبضه في لطف ، وقد اختلفت الأقوال في تعريف الظل فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير مد الظل قال: " ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس "[1] أما العلامه النيسابوري فيقول : " إن ملخص الأقوال في الظل اثنان الأول أن الظل أمر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة . والثاني أنه سبحانه وتعالى لما خلق السماء والأرض ألقت السماء ظلها على الأرض ممدوداً منبسطاً "[2]. ويقول سيد قطب " الظل هو ما تلقيه الأجرام من الظلمة الحقيقة حين تُحجَب أشعة الشمس في النهار "[3]. من هذه التعاريف يتبين أن حركة الظل في انقباضها وانبساطها تتبع حركة الأرض وموقعها من الشمس ، لكون الشمس دليلاً على حركة الظل[4]، وكان يمكن لله سبحانه ألا يجعل للظل حركة ، فيفوت على الإنسان منفعتهُ منه وهي الوقاية من الحر أثناء مده والتمتع بنور الشمس ودفئها أثناء انقباضه ، والإنسان بحاجة إلى الأمرين معاً انقباض الظل وانبساطه "[5].

وللأستاذ محمد قطب رأى مغاير في حركة الظل إنه يرى " أن حركة الظل ليست وليدة الاسباب الظاهرة التي تجعل تحركه أمراً حتميا حسب " قوانين الطبيعة " بل يرى أن الله هو الذى يمده ويحركه ، ولو شاء الله أن يجعله ساكناً لسكن ، ولما استطاعت قوة في الوجود أن تحركه "[6].

---

(١) صحيح البخارى . كتاب التفسير ٦/ ١٤ ، وتفسير الرازى ٢٤/ ٨٨ ، والالوسي ، روح المعاني ١٩/ ٢٥ .
(٢) هامش جامع البيان ١٩/ ١٧ .
(٣) الظلال ٥/ ٢٥٦٩ .
(٤) انظر تفسير الرازى ٢٤/ ٨٧ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٠ ، والنيسابورى ، هامش جامع البيان ١٩/ ١٧ ، والالوسي ، روح المعاني ١٩/ ٢٥ ود . البهي التفسير الموضوعي ص ٣٢ .
(٥) انظر د . محمد البهي ، التفسير الموضوعي ص ٣٢ .
(٦) محمد قطب دراسات قرآنيه ص ٤٢ الناشر دار الشروق « بدون تاريخ »

هذا الرأى مع وجاهته وموافقته للتعبير القرآني الظاهر إلا أنه يشكل خروجا على أقوال أئمة المفسرين التي أوردناها سابقا والتي تتوافق مع الأسباب الظاهرة لوجود الشمس وحركة الأرض ، وتتناقض مع ظاهر التعبير القرآني . وإني لأميل إلى ما ذهب إليه الاستاذ محمد قطب لوضوح النص القرآني في ذلك . وأن الله خلق الشمس لمنافع كثيرة منها الدلالة على هذا الظل ، ومعرفة قيمته ، وأن التغير والتبدل هو أساس العمل في هذا الكون المتغير المتبدل .

والظاهرة الثانية : هي ظاهرة تقسيم الزمن إلى ليل ونهار :

يقول الله عز وجل " وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشورا " [1] . نحن الآن في الحقيقة لسنا مع ظاهرة الليل والنهار المتعاقبين بشكل رتيب على ملايين البشر ، بل نحن الآن أمام ظاهرة " الجعل " مع الذى جعل لنا الليل لباساً ، ولو شاء لجعله سرمداً إلى يوم القيامه . . . ! ! لكن بفضله ومنته سبحانه وتعالى جعله لباساً ساقراً ، وجنه يُجتنى به . [2] ومع الذى جعل النوم راحة تستريح به أبداننا وتهدأ به جوارحنا ، ولو شاء الله لجعله موتا لأن النوم أخو الموت ، ولقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام من نومه يقول " الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور " [3] وأيضا مع الذى جعل " النهار نشورا " أي يقظة وحياة وفترة للنشاط والسعي طلبا للرزق ولو شاء لجعله مظلماً ، فلا حياة ولا نشور بل موت وثبور .

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٧ .
(٢) انظر الألوسي : روح المعاني ١٩ / ٢٩ .
(٣) صحيح البخارى : كتاب الدعوات ٧ / ١٤٧ ومسلم بشرح النووى : كتاب الدعوات ١٧ / ٣٥ وغيرهما . متفق عليه .
(٤) انظر الامام الفخر الرازى : التفسير الكبير ٢٤ / ٨٩ ود . البهي : التفسير الموضوعي لسورة الفرقان ص ٣٢ .

فصورة الليل والنهار والنوم ، لم تتغير ولكن نحن الذين تغيرنا حين زال عن حسنا التبلد وعن قلبنا الران ، فأرجعنا كل شيء إلى موجده وهو الله سبحانه الذى يستحق كل مظاهر العبادة والشكر .

والظاهرة الثالثة : التى عنتها الآية " وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته " ظاهرة الرياح اللواقح :

وهى : الصبا والجنوب والشمال[1] وهي رياح الرحمة التى تأتي مبشرات بالأمطار التي هي قوام حياة الإنسان والحيوان والنبات . ولو شاء الله لجعلها ريحا صرصرا عاتيا فيها عذاب عظيم لا تأتي على شيء إلا جعلته كالصريم[2] . هذه الريح يتساوى أمامها من حيث الرهبة والرغبة المؤمن والكافر فلا أمل لمؤمن ولا نجاة لكافر إلا من الله سبحانه[3] . وقد أورد الامام الفخر الرازى عن كعب أنه قال : " لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر الأرض "[4] . هذه التغيرات في طبيعة الرياح وحركتها تدل على أن هذه الأحوال لم تحصل إلا بتدبير إله خالق ذي سلطان يستحق منا كل شكر وتأليه[5] .

---

(١) الصبا : ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ٤/٣٥١ ، والشمال ريح مهبها بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر ٣/٤٠٢ . والجنوب ريح مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ٤/٣٥١ ، البحر المحيط .

(٢) انظر الألوسي : روح المعاني ١٩/٢٩ ، والمراغي : التفسير ١٩/٢٤ ، وجاء في التفسير الكبير للرازى عن ابن عمر أن الرياح ثمان . أربعة منها عذاب وهو القاصف والعاصف والصرصر والعقيم ، وأربعة منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات ، كما أورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور ، والجنوب من ريح الجنه " ١٤/١٤١ وروح المعاني ٨/١٤٥ ، الحديث رواه البخارى فى كتاب بدأ الخلق ومسلم في كتاب الاستسقاء . متفق عليه . وقد وقع إشكال فقد نقل العلامه محمود الألوسي عن الرماني قوله " جمعت رياح الرحمه لأنها ثلاثة لواقح ، الجنوب والصبا والدبور ، واعتبر الدبور من رياح الرحمة وهذا خطأ لأن الرماني نفسه يعتبر الدبور ريح العذاب حيث يقول" وافردت ريح العذاب لأنها لا تلقح وهي الدبور" روح المعاني ١٩/٢٩ ثم تابعت ما يقوله العلامه محمود الألوسي بهذا الخصوص فوجدته يعتبر الرياح " الجنوب والصبا والشمال " رياح الرحمه وأما الدبور فهي ريح العذاب . وذكر أن الثلاثة الأولى تلقح السحاب الماطر وتجمعه فلذا كانت رحمه " انظر روح المعانى ٢١/٥١ ثم يقول" إن مجىء الجمع في آيات الرحمه والواحد في قصص العذاب ، إلا أنه قد تفرد الريح حيث لا عذاب كما في قوله " وجرين بهم بريح طيبه " وقوله " لسليمان الريح " .

(٣) يشير إلى ذلك قوله تعالى " هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين" يونس آية ٢٢ .

(٤) الامام الرازى تفسير الرازى ١٤/١٤٢ والألوسي روح المعاني ٨/١٤٥ .

(٥) انظر المصدر السابق ١٤/١٤٢ .

والظاهرة الرابعة : ظاهرة الأمطار : " وأنزلنا من السماء ماء طهورا " (١)

هذه الظاهرة التي عليها مدار الحياة جعله سبحانه وتعالى في هذه الآية مصدر حياة للنبات ومصدر سقيا لكثير من الأنعام والإنسان " لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا " (٢) وقد خص بذلك أهل البوادى الذين يعيشون بالخيام لأن أهل القرى والأمصار يقيمون بقرب الانهار ومنابع المياه فيهم وبما لهم من الأنعام غنية عن سقي السماء ، كما أن سائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا . (٣) ومن جهة ثانيه هذا الماء الذى جعل منه سبحانه كل شيء حي ، فلا حياة لنبات أو حيوان أو إنسان بدون مطر من أنزله ؟ ولو شاء سبحانه لجعله ملحاً أجاجاً - مع نفعه - لا تقوم به حياة الإنسان ولا حيوانات البر ولا نباته . أو لحبسه فلا تبقى على الأرض حياة . وكثيراً ما نشاهد عند احتباس الماء ، إخلاص الدعاء إلى الله عز وجل وطلب الإغاثة . على أن إحياء الأرض الموات وإن كان ظاهرا بوسيطة الماء إنما كان بإحداث من الله سبحانه . وكذلك إحياء الموتى والدليل على ذلك قوله تعالى " كذلك نخرج الموتى " (٤) وقوله أيضا في سورة ق " كذلك الخروج " (٥) على اعتبار أن التشبيه إنما وقع بأصل الإحياء لا باعتبار الوسيطة ، وفي هذا دليل على أن الحشر والنشر والبعث والقيامة حق . (٦) وأن القادر على الإحياء إبتداءً قادرٌ على الإحياء إنتهاءً ، وهذا

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٨ .
(٢) سورة الفرقان آية ٤٩ .
(٣) انظر روح المعاني ١٩ / ٢٩ وقد قدم سبحانه إحياء الارض وسقيا الأنعام على سقيا الإنسان لأنهما سبب لحياة الانسان ، فالتقديم من قبيل تقديم الأسباب على المسببات - أنظر نفس المصدر .
(٤) الآيه " وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت ، فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون " الأعراف آية ٥٧ .
(٥) سورة ق آية ١١ .
(٦) انظر الرازى : تفسير الرازى ١٤ / ١٤٣ ، والألوسي ، روح المعاني ٨ / ١٤٧ .

ما يسمى " بدليل الابداء " .[1] فالقادر على الاحياء ابتداء وانتهاء هو المستحق للعباده ، وأن ما يعبد من دونه أموات غير أحياء ولكن لا يفقهون . غير أنه يشوش على هذا الرأى ما رواه الامام ابن جرير الطبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال " إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى ، أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى " ماء الحيوان " أربعين سنة . فينبتون كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسادهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم تلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم ، فإذا نفخ في الصور الثانية عاشوا ، وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم ، كما يجد النائم حسين يستيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون " ياويلنا من بعثنا من مرقدنا " فناداهم المنادي " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " .[2] هذا الأثر المروي عن أبى هريرة يؤيده ما أخرجه البخارى ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين النفختين أربعون . قالوا : ياأبا هريرة : أربعون يوماً ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنةً قال : أبيت ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً ، وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة "[3] متفق عليه واللفظ لمسلم

---

(١) يشير إلى ذلك قوله تعالى " الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون " الروم ١١ .

(٢) سورة يس الآيه : ٥٢ . والأثر : تفسير الطبرى تحقيق محمود شاكر . نشر دار المعارف بمصر ١٢ / ٤٩٤ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير : سورة الزمر ٦ / ٣٤ ومسلم بشرح النووى : كتاب الفتن ١٨ / ٩١ والحديث متفق عليه .

أما تصريف المطر الوارد بقوله تعالى " ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا "[١] فهو تحويل المطر بين الناس ، وفي البلدان المختلفة والأوقات المتقاربة ، يصيب برحمته من يشاء ، ويحجبه عمن يشاء ، وذلك ليتذكروا نعم الله عليهم ، ويشكروا أياديه الخيرة عندهم ، وإحسانه إليهم فأبى أكثر الناس إلا جحوداً لهذه النعم وكفرانا بخالقها[٢] .

ومما قرره علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر أن ما ينزل سنويا من المطر في العالم لا يتغير مقداره أبداء وعللوا ذلك بأن ما تتسبب فيه الشمس والعوامل الأخرى التي تشارك في سبب وجود ظاهرة المطر ، من الحرارة نسبته ثابته بالنسبة لمجموع الكرة الأرضية ،[٣] فعلى هذا تكون نسبة بخار الماء في الجو سنوياً ثابتة ، ونسبة الأمطار بالتالي لا تتغير بتاتاً في كل عام . وأما ما نراه من كون المطر ينزل في منطقةٍ واحدةٍ بنسبٍ مختلفةٍ خلال سنين ، فهذا لا يؤثر على جوهر القضية ، لأن ما ينقص في مكان على حساب زيادته في مكان آخر .[٤] فإذا نظرنا بعد هذا إلى الأثر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما عام بأمطر من عام "[٥] أدركنا أن علماء عصرنا ما زادوا أن أكدوا مضمون الآية والأثر السابقين ليكونا جزءا من شهادة الواقع على صدق الرسالة والرسول .[٦] وأنه صلى الله عليه وسلم موحى إليه من قبل مبدع هذا الكون المستحق لكل إكبارٍ وتأليه .

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٠ .

(٢) انظر الطبرى جامع البيان ١٩/١٤ والامام الرازى : تفسير الرازى ٢٤/٩٠ ، والألوسي : روح المعاني ١٩/٢٩ ، والمراغي : تفسير المراغي ١٩/٢٤ .

(٣) انظر سعيد حوى : الرسول ١/٤٤ ط/١ / معتوق اخوان بيروت طبع ١٣٩٨هـ .

(٤) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) اخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/٤٠٣ . والبيهقي عن ابن عباس موقوفا وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ٣/٣٦٣ . وذكره الحافظ بن كثير في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود موقوفا ٣/٣٢١ وكذلك أورده الشوكاني في فتح القدير ص ٤٨٢ .

(٦) انظر سعيد حوى : الرسول ١/٤٤ .

المفردات : " الفرات : العذب الزلال . أجاج : شديد الملوحه . البرزخ : الحاجر . حجرا محجورا : أى مانعا من أن يصل أحدهما إلى الآخر " تفسير ابن كثير ٣/٣٢٢ .

والظاهرة الخامسة : هي ظاهرة مرج البحرين

قال تعالى " وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا "[١] . اختلف المفسرون في تحديد معنى كلمة " مرج البحرين " فمنهم من يرى أنها " خلط البحرين فأمرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه وأصل المرج الخلط "[٢] ومنهم من رأى " مرج البحرين أي خلاهما وأرسلهما متجاورين متلاصقين "[٣] ويرى الامام الحافظ ابن كثير " مرج البحرين : خلق البحرين "[٤] هذه الظاهره ؛ ظاهرة مرج البحرين مشاهدة بشكل دائم من قبل بعض الناس ولكننا في ذهول عنها ، وعدم إدراك لها قبل قراءة النص ، ولكن بعد قراءة النص يحصل إثارة للعقل ، وتنبيه إلى الحقيقة المغفلة وراء مرج البحرين العذب والأجاج . والبرزخ الذى يفصل بينهما .. ويثير كوامن القلق والتحذير خوفاً من أن ينفرط النظام ويطغى هذا على هذا ، أو يبغي هذا على هذا . إن الإنسان المدرك ليتساءل من الذى جعل البحرين مختلطين في مرأى العين ، ومنفصلين في الحقيقه أكمل انفصال . وجعل بينهما برزخا من قدرته يمنعهما من التمازج بحيث لا يختلط الماء العذب الفرات بالماء الملح الأجاج ، ولا الملح الأجاج بالعذب الفرات ولا يتغير طعم كل منهما بالآخر أصلاً . فإذا كانت العذوبة والملوحة بسبب طبيعة الأرض أو الماء فالقضيه سواء - ليس فيها مرج ولا برزخ - وإن لم تكن كذلك فلابد من مبدع حكيم يخص كل واحدٍ من الأجسام

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٣ . معاني الكلمات الواردة في هذه الآيه على الصفحة السابقة رقم/٦ .
(٢) انظر ابن جرير الطبرى ، جامع البيان ١٩/١٥ ، والرازى : تفسير الرازى ٢٤/١٠٠ ، والألوسي : روح المعاني ١٩/٣٣ .
(٣) انظر تفسير الرازى ٢٤/١٠٠ ، وهامش جامع البيان ١٩/٣١ ، وروح المعاني ١٩/٣٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ٣/٣٣١ ولم أجد تابعه على ذلك أحد ممن قرأت لهم .

بصفة خاصة .[١] ثم مرةً أخرى مع الله ، مع طبيعة خلق الماء العذب والماء الملح ، فالماء العذب هو هذا الماء السارح بين الناس ينابيع وأنهار وعيون بحسب حاجتهم إليه ، والماء الملح الأجاج هو مياه البحار والمحيطات المعروفة وهي مياه ساكنةٌ خلقها الله سبحانه مالحةً لئلا ينتن الهواء فيفسد الوجود ، وتجوى الأرض[٢] ، لذلك كان هواؤها صحيحاً وبيئتها طيبة[٣] . وعندما سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر أفتوضأ به قال : هو الطهور ماؤه الحل ميتته[٤] " فلو حصل العكس بأن حل محل الماء الأجاج ماء فرات لآسن ماء البحر ولفسد الوجود . روى ابن جرير بسنده عن مجاهد أنه قال " برزخاً حاجزاً لا يراه أحد، لا يختلط العذب في البحر[٥] " وهذا خلاف ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما من أن البرزخ حاجزا من الأرض . وعلق ابن جرير الطبري رحمه الله على ذلك بقوله " ولو كان كذلك لما كان ثمة مرج ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه إليه سبحانه " .[٦]

فالمنع من النماذج إنما تم بقضائه وقدرته سبحانه ، وقد تواتر القول بوجود قنوات ماء عذب في البحار، وبوجود عيون ماء عذب ، ينبع في نواح من البحار يعرفها الملاحون ويشربون منها . ومنهم من يقول أن هذا المرج عند مصب الأنهار ، فلا يطغى ماء البحر مع كثرته على ماء النهر العذب مع قلته .[٧] كالتقاء النيل مع البحر المتوسط عند مدينة " رأس البر بمصر " وظاهرة المرج مع ما قيل فيها تظل أمارة شاهدة على اتقان المبدع لهذا الكون وحكمته يهتدي إليها من يهتدي فيعرف لله حقه ، يؤديه كاملا ،

---

(١) انظر الفخر الرازي : التفسير ٢٤ / ١٠٠ والألوسي : روح المعاني ١٩ / ٣٣ وابن جرير الطبري : جامع البيان ١٩ / ١٥ .

(٢) انظر الحافظ ابن كثير : التفسير ٣ / ٣٢١ " تجوى الأرض : تصبح غير موافقة " القاموس المحيط ٤ / ٣١٤ .

(٣) رواه اصحاب السنن : ابن ماجه في كتاب الطهارة برقم ٣٨٦-٣٨٨

(٤) جامع البيان ١٩ / ١٥ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) انظر الامام الرازي : التفسير ٢٤ / ١٠٠ والحافظ ابن كثير : التفسير ٣ / ٣٢٢ ، والامام المراغي : التفسير ١٩ / ٢٦ والدكتور محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ص ٣٤ .

فيفوز أو يضل عنها من يضل فيحسبها سنة من سنن الطبيعة ، وذلك هو الضـــــلال المبيـــن .

الظاهرة السادسة : ظاهرة خلق الانسان من ماء

إن قصة خلق الإنسان ، ونشأته وتكاثره ، ومصيره ، مبثوث في معظم سور القـــرآن الكريم بين مسهب وموجز ، ترد كلما دعت الحاجة للتنبيه على شيء من دلائل الكـــون أو وقائع الأمم وما حل بها من نكال . وهي في كلها برهان على وجود الخالق عز وجـــل وعلى وحدانيته في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وعلى اليوم الآخر ، وما يتعلـــق به من حساب وعقاب .(١)

لنتأمل قوله تعالى " وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا "(٢)

هذه الآيه على قصرها تحكي قصة خلق الانسان وتكاثره بالنسب والمصاهرة واستمرارية الحياة على هذا الكوكب ، وقدرة الله تتجلى هنا في هذا التكاثر لأنه مصدر قوة وفاعليـــة في استعمار الأرض واستصلاحها ، ولأنه ينطوي على نعمة السكنى والاستقرار والمـــودة والرحمة بين النـــاس .(٣)

---

(١) انظر د . سعيد البوطي : منهج تربوي فريد ص ٢٢ ط/ ٢ د/مكتبة الفارابي دمشق .

(٢) سورة الفرقان آية / ٥٤ .

(٣) وإلى هذا يتوجه قوله تعالى " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنـــوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة " سورة الروم آية ٢١" .

إن تعريف الإنسان بحيقته وأصل نشأته ومصيره ومعرفته الدقيقة لذاته من أهم العوامل المؤدية إلى معرفة الله وألوهيته .

والاعتماد على المناقشة والحوار من أروع الأساليب في الإقناع والتقرير . والمتأمل في هذه الظواهر الكونية التي أتت على ذكرها السورة يجد أنها ابتدأت بإثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر ، ثم تترك للفكر أن يدرك ما يحدث لو فقدت الظاهرة الكونية خاصيتها ، ثم يخلص إلى تقرير ألوهية الله لهذا الكون بما فيه من سماوات وأرضين . وأنه هو الذى خلق من الماء - مني الذكر والانثي - بشراً جعله يتكاثر عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى ، ثم يعقب ذلك ببيان أن قدرته تعالى ليست محددة بقيود أو حدود .(١)

الظاهرة السابعة : وهي ظاهرة البروج المنتشرة في السماء وأثرها في اختلاف مظاهر الحياة .

يقول عز وجل " تبارك الذى جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً "(٢) هذه الظاهرة تجيء إثر نفور الكفار من التوجه بالعبادة والسجود إلى الرحمن ، الذى أبدع هذا الكون فأحسن إبداعه ، ونَظَّمه فأحسن تنظيمه . وقد استهلها سبحانه بتمجيد نفسه وتعظيمها على جميع مخلوقاته . إذ المقام يستدعي هذا التمجيد وهذا التعظيم ، فهو كالرد على نفور الكفرة الجاحدين من السجود للمنعم المتفضل عليهم . ويزيد على ذلك الإدلال عليهم بحقيقة لو تفكروا فيها لعرفوا وجوب السجود والتوجه بالعبادة لهذا المنعم

---

(١) انظر الفصل الثاني ، المبحث الثالث ، خصائص الالوهية ، خاصية الخلق ص ٦ ومابعدها .
(٢) سورة الفرقان آية ٦١ .

المتفضل عليهم بهذه البروج ، والشمس السراج والقمر المنير .[١]

وهذه البروج يظهر أنها منازل السيارات . والشمس في كل شهر تمر ببرج منهـا ، وسميت كذلك لكونها للكواكب كالقصور الرفيعة لساكنيها .[٢] وهذه المنازل الإثنا عشـر جعل الله سبحانه ثلاثة منها ربيعية تحل الشمس فيها في فصل الربيع وهي : " الحمل والثور ، والجوزاء " وتسمى التوأمين . وثلاثة منها صيفية وهي : السرطان ، والأسـد ، والسنبله " وتسمى العذراء . وهذه المنازل الستة شماليه .

وثلاثة منها خريفية وهي : " الميزان ، والعقرب ، والقوس " وتسمى الرامـي .

وثلاثة منها شتوية وهي : " الجدى ، والدلو ، والحوت " وتسمى السمكتين .[٣]

وهذه المنازل الستة جنوبيه . ولحلول الشمس في كل من المنازل الإثنى عشـر يختلف الزمان حرارة وبرودة ، والليل والنهار قصراً وطولاً ، وبذلك تظهر آثار جليلـة من نضج الثمار وإدراك الزروع ، ولعل ذلك هو وجه الدلالة في تمجيد الله نفسـه بالبركه .[٤] فإن في هذا التفاوت والاختلاف بين تلك البروج الخير الكثير ، كما أن الإشارة فـي هذه الظاهرة الكونية التي استهلها سبحانه بتمجيد نفسه وتقديسها إشـارة إلى أنه سبحانه هو مصدر إشعاع العالم ونوره وذلك بأن جعل في السماء - في هـذه البروج العظام الشمس والقمر اللذين هما مصدر النور والدفء لهذا الكون ، كما أنه سبحانه وتعالى مصدر إسعاده وهدايته .[٥]

---

(١) انظر تفسير الرازى ٢٤/١٠٦ .
(٢) انظر ابن جرير : جامع البيان ١٩/١٩ وتفسير الرازى ٢٤/١٠٦ وروح المعـاني ١٩/٤٠ وشوقي أبو خليل : الانسان بين العلم والدين ص ٥١ .
(٣) انظر الألوسي : روح المعاني ١٩/٤٠ وتفسير المراغي ١٩/٣٣ .
(٤) المصدر السابق ١٩/٤٠ .
(٥) انظر د . البهي : التفسير الموضوعي لسورة الفرقان ص ٣٨ .

ورغم أن هذه الظاهرة الكونية مرئية من قبل الجميع إلا أن القليل هم الذين يعرفون أسرار النجوم التي ترشد إلى مسالك السائرين[١] . وأثر القمر المنير على الأرض وما يحدثه فيها من مد وجزر . وأسرار البروج ومواقيتها وما لها علاقه بتفسير الليل والنهار طولا وقصراً على الدوام ، لئلا يحصل للإنسان الملل والسآمة فيما لو كانت على حالة واحدة . لقد كان الإنسان ينظر إلى السماء بعينه المجرده فيهوله ضخامتها ، وبعد صنع المجاهر العلمية زادت ضخامة الكون في حسه ، وظلت تتزايد هذه الضخامة مع كل منظار جديد يكشف عن أغوار السماء ، حتى تحولت هذه الضخامة إلى لغة أرقام[٢] . أضرب لذلك مثلا بنجم يبعد عنا أربعة آلاف سنه ضوئية ويراه المنظار ، والسنة الضوئية يقدرها العلماء بـ ٦ آلاف بليون ميل تقريبا ، ثم جاء المنظار الألكتروني يسجل أبعاداً لا ترى إنما تكتب فقط في لوحة الأرقام . هذه الضخامة للكون ينفتح لها الحس فينطلق يبحث عن الخالق ، ومع هذه الضخامة دقة معجزة لحركة بلايين البلايين من النجوم بحيث لا يلتقي اثنان منهما في هذا الكون العريض الضخم ، ولا يقع بينهما فيهما صدام[٣] . بل كل في فلك يسبحون .

ثم هذه الشمس " السراج " التي جعلها سبحانه وتعالى مصدر النور والدفء ، تبعد عنا مسافة ثابته تكفي لأن تمدنا بهذا النور وهذا الدفء ، ولو تغيرت هذه المسافة بعداً أو قرباً لامتنع معه كل حياة على هذا الكوكب .[٤] من أودع فيها هذا النور وهذا الدفء ؟ والقمر المنير الذي يستمد نوره وحرارته من الشمس ، يحيل ظلام الليل الداكن

---

(١) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) انظر محمد قطب ، دراسات قرآنيه ص ٣٣ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ٣٣ ونديم الجسر : قصة الايمان ص ٣٠٤ .
(٤) انظر أ . كريسي موريسون : العلم يدعو للايمان ص ٥٥ و ص ١٠٧ .

إلى ظلام هادئ خفيف لا ينفر منه الحس بل مصدر جمال وإيحاء ، ماذا يحدث لو اقترب منا أو ابتعد .. ؟ من صيره لنا هكذا لنعلم به عدد السنين والحساب . يبدأ هلالا ، ويكتمل بدرا ثم يعود محاقا . يتغير مع تغير الزمن . ثم من الذى جعله سببا في احداث المد والجزر .. ؟ ثم هذه البروج - القصور العظام - من جعلها منازل للسيارات الكبار . ؟ ترتادها الشمس ، فيختلف الزمان حرارة " وبرودة " ، والليل والنهار قصراً وطولاً وفي نضج الثمار . وإدراك الزروع اختلافاً .

كلها ظواهر كونيه ينفتح لها الحس . ويدركها العقل ، فينطلق يبحث عن الخالق مصدر النور والهداية ، فلا يدركه إلا صاحب إيمان يسعى إلى شكر الله أو من عنده استعداد للايمان ، أما الأخرون الذين لا يستجيبون ، يضلون ويمعنون في الضلال ، لأنهم لا يرون هذا النور حتى يسعوا إلى معرفته والاعتقاد فيه .(١)

هذا الإبداع الرباني في عالم الافلاك يصوره رئيس المجمع العلمي بأمريكا . أ . كريسي موريسون فيقول :

" يبعد القمر عنا مسافة ٢٤٠،٠٠٠ ألف ميل . وهو العامل في حدوث المد والجزر. والمد الذي يحدث بالمحيط قد يرتفع الى ستين قدما في بعض الأماكن . بل إن قشرة الأرض تنحني مرتين نحو الخارج مسافة عدة بوصات . بسبب جاذبية القمر ، ويبدو كل شيء منتظماً لدرجة أننا لا ندرك القوة الهائلة التي ترفع مسافة المحيط كلها عدة أقدام وتحني قشرة الأرض التي تبدو لنا صلبةً للغايه . فلو كان قمرنا يبعد عنا خمسين ألف ميل

---

(١) انظر د . محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ص ٣٨ .

بدلا من المسافة الشاسعة التي يبعد بها عنا فعلاً ، فإن المد كان يبلغ من القـــوة بحيث أن جميع الأراضي التي تحت منسوب الماء كانت تُغْمَر مرتين في اليوم بماء متدفـــق يزيح بقوته الجبال نفسها ... وكانت الكرة الأرضية تتحطم من هذا الاضطراب ... وكان المد الذى في الهواء يحدث أعاصير كل يوم "[1]

هذه الظواهر الكونية التي يتنبه إليها الحس ، أو يكتشفها العلم بعد أن يـــأذن سبحانه باكتشافها لا تزيد على أن تقرر مبدأ التناسق ودقة النظام والتدبير فـــي أجزاء هذا الكون ، ولا يتجاوزها إلى المعجزات الحسيه التي قضى عليها القرآن الكـــريم بمعجزته الأبدية الخالدة ، والذى يعتبر الإيمان عن طريق تلك المعجزات الحســـية تسليماً لا يتساوى مع العقل المُدْرِك .[2] ولما كانت لمن خلقهم آية . كما هو شأن القـرآن الكريم الذى هو عدا كونه معجزة الأجيال يشتمل على أدلة التوحيد العقلية الدائمـــة ، والظواهر الكونية الدالة على وحدانيته تعالى ووجوده .[3]

الظاهرة الثامنة والأخيرة فى هذا البحث هي ظاهرة تعاقب الليل والنهار: قال تعـالى : " وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا "[4] يرى بعـــض أصحاب التأويل أن الله جعل كل واحد منهما خلفا للآخر ، فان فات في أحدهمـــا من عمل لله أدرك قضاءه في الآخر ، أي من فاته عمل في الليل استدركه في النهار ومـــن

---

(١) م كريسي موريسون : العلم يدعو للايمان ص ٥٧ ترجمة محمود صالح الفلكي بتصـــرف قليـــل .

(٢) يشير إلى ذلك قوله تعالى " وفي الارض آيات للموقنين . وفي انفسكم افلا تبصـــرون " الذاريات الآيات ٢١ - ٢٢ .

(٣) انظر د . احمد غلوش : الدعوه الاسلاميه ص ٢٥٦ دار الكتاب المصرى .

(٤) سورة الفرقان آية ٦٢ .

فاته عمل في النهار استدركه في الليل[١] وقد جاء في الحديث الصحيح " أن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل[٢] " وجاء عن الحسن رضي الله عنه " من فاته عمل من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ، ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب "[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال " من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار أو فاته بالنهار أدركه بالليل "[٤]

هذه الظاهرة مع ما فيها من دليل القدرة فيها دليل الوحدانية : فدليل قدرته أنه هو الذى يولج أحدهما في الآخر أو يغشى أحدهما الآخر كما في قوله تعالى " تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل "[٥] ودليل وحدانيته أنه يستحيل فيها عز وجل على خلقه أنه هو الذى قسم لهم الزمان إلى ليل تسكن فيه البشرية وتهدأ ونهار تجتهد فيه وتسعى طلبا للرزق . وجعلهما متعاقبين كل منهما أثر الآخر ، لا يتخلف كثيرا ولا قليلا إلا بمقدار ما يتداخل أحدهما في الآخر .

كذلك يدل على الوحدانية ، وحدة الزمن على هذا الكون ؛ فالعالم مع كثرة اختلافه متوحد في وحدة زمنه ، فالعالم كله في نصف من الكرة الارضية ليل وفي النصف الآخر نهار ، يومه واحد واسبوعه واحد ، فيوم الجمعه مثلا هو يوم جمعه في نصف من الكرة الارضية ، وفي النصف الآخر ليلة الجمعه ، والاسبوع هو سبعة أيام لدى جميع الأمم قاطبة ، والشهر والسنة تبع لهما . فمن الذى جمع هذه الخلائق وجعلها تتوافق وتتوحد في تسمية وحدة زمنها ؟ .

---

(١) انظر ابن جرير : جامع البيان ١٩/١٩ وتفسير ابن كثير ٣/٣٢٣ وتفسير المراغي ١٩/٣٣ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب التوبه ١٧/٧٦ .
(٣) تفسير المراغي ١٩/٣٣ .
(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ٦/١٤ .
(٥) سورة آل عمران ٢٧ .

يقول أ . كريسي موريسون " والإنسان إذ يقترب من الإدراك الكامل للزمن ، يقترب في الوقت نفسه ، من إدراك بعض قوانين الكون الأبدية . ومن معرفة الخالق سبحانه وتعالى "[١] وما لم توجد حياة عقلية أخرى في بعض نواحي الكون . فإن الإنسان ينفرد وحده بمعرفة الزمن ، وسيطرته على الزمن تقترب به من شيء أعظم من المادة . فمن أين تأتي هذه القفزة العظيمة التي يقفزها الإنسان بعيدا عن الفوضى وعن جميع تركيبات المادة ، وعن كل الكائنات الحية الأخرى ؟ إنها لابد أن تأتي من شيء أسمى من المصادفة[٢] إنها تأتي من لدن العليم الخبير ، إن في ذلك عظة لمن أراد أن يتعظ بتعاقب وحدة الزمن ، ويتذكر آلاء الله فيها . فينيب إلى الحق أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في تعاقب الليل والنهار ، ليجني ثمار كل منهما ،[٣] وبذلك تنتفي السآمة والملل ، فإن في تعاقب الليل والنهار شحذ للعزيمة ، وتجديد للهمة إلى غير ذلك من الحكم التي أودعها الله في هذا التعاقب .[٤]

هذه هي الظواهر الكونيه التي أتت السورة على ذكرها ، والتي يدلل بها سبحانه وتعالى على عظمة الإبداع الإلهي لهذا الكون ، وأن يد الله عز وجل تبدو ظاهرة في كل إبداع . كما أن الطريقة التي يتم فيها تكاثر الإنسان والحيوان والتي وفق النبات إليها لتعد بحق أعظم دليل على الإرادة والقصد . ونفي للمصادفة .

---

(١) العلم يدعو الى الايمان ص ١٧٤ مرجق مسبق .
(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) انظر ابن جرير : التفسير ١٩/١٩ ، والمراغي : التفسير ١٩/٣٣ .
(٤) انظر المراغي المصدر السابق نفس الصفحة .

الفصـــل الثـــاني

الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله جل وعلا

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : وحدانية الله تعالى .

المبحث الثاني : تنزيه الله عن الولد والشريك .

المبحث الثالث: خصائص الإله الواحد .

المبحث الرابع : أثر القصة في الدلالة على وحدانية الله تعالى .

المبحث الأول - وحدانية الله تعالى :

إن القول بتعدد الآلهه لا يقل سطحية " وسذاجة " عن القول بعدم وجود الله . وقد اعتبر سبحانه وتعالى القائلين به فاسدي الطوية ، بل دون مرتبة الانسانية ، ويصفهم سبحانه بقوله " إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا "[1] والحقيقة أن الإسلام لم يكن أول دين يدعو إلى وحدانية الله في ألوهيته وربوبيته وإفراده بالعبادة ، بل دعت إليه جميع الرسالات السماوية السابقة للإسلام .[2] كما دعا إليه جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.[3] وهو دعوة الدعاة إلى الله من بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .[4] ولقد وجدت الأديان السماوية كلها من العنت بسبب دعوى الوحدانية ما لا تفي الإسلام ، والقرآن الكريم يقص علينا من ذلك الشيء الكثير . إلا أن التوحيد الذي دعا إليه الاسلام ، كان توحيداً تجريدياً خالصاً ، أبعد في التجريد من كل توحيد قبله . فهو أشد لما وقر في النفوس من التجسيم والتمثيل والتشبيه والتعطيل من كل أديان التوحيد[5] ، ويقول الشيخ أبو المنتهى في شرحه على رسالة في علم التوحيد للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان :

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٤ ، انظر الآية السابقة عليها .

(٢) انظر سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص ١٧١ .

(٣) تأمل قوله تعالى على لسان نوح " ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " الاعراف ٥٩ ، وقوله تعالى على لسان هود " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " الاعراف آية ٦٥ وكذلك على لسان صالح وشعيب عليهما السلام ثم جاء التعميم بقوله تعالى " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا آله إلا أنا فاعبدون " الأنبياء آية ٢٥ .

(٤) إلى ذلك يتوجه قوله تعالى " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني .. " سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٥) انظر المصدر السابق نفس الصفحة . إن من يقرأ الكتاب المقدس يجد فيه كثيرا من التجسيد للذات الالهيه . ونحن لا نستطيع أن نقول أن كل ما جاء في كتبهم محرف . بل نعتبر كل ما ورد فيها من تجسيد حجة عليهم .

" التوحيد هو تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويستحيل في الأوهام والأذهان "[١] فهو ينفي الأوهام في ذات الله كما ينفي الشبيه والشريك في ذاته وصفاته.

هذه العقيدة في وحدانية الله عز وجل إنما تنمو وتترعرع في ضمير الإنسان ووجدانه ، لأنها من الأمور الغيبية التي لا سلطان عليها للحس ، وأقرب شيء إلى ضمير الانسان هو البداهة ، واقرب شيء إلى وجدان الإنسان هو الحس . وما " الإستنباط " المتولد عن تفكير الانسان إلا أحد النافذ الكثيرة للتعرف على وحدانية الله عز وجل "[٢].

والتأمل في بعض الآيات القرآنية يعطينا فكرة عن الطريقة التي أثبت بها سبحانه وتعالى وحدانيته عقلياً - فهو يشرك ضمير الانسان وفكره وحسه في التعرف على وحدانيته ففي قوله تعالى - " وهو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا "[٣]، يُبين سبحانه أن هذه الأرض التي نعيش عليها ونتفيأ ظلالها ونشرب من مائها ونتمتع بخيراتها ما هي إلا صورة من صور خلقه ومظاهر قدرته التي تراها الحواس وتدركها البديهة ، وتتملاها[٤] البصائر . فماذا خلقت الآلهة المزعومة ؟ بل ما هو الشرك الذى لهم في خلق هذه السموات أو في ملكيتها ؟ وهل عندهم كتاب مُنزَّل ينطق بهذه الخرافات ؟ أو أثارة من علم ثابت يؤيد مثل ذلك الزعم السخيف ؟ الذي يشير إليه قوله تعالى " قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين "[٥].

---

(١) مجموع في التوحيد ، مخطوطه برقم ٥٧٦ لدى المكتبة المركزيه لجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية .
(٢) انظر سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ص ١٧١ .
(٣) سورة الفرقان آية ٥٩ .
(٤) " تتملى : تتمتع " القاموس المحيط ٤/ ٣٩١ .
(٥) الاحقاف آية ٤ .

وهكذا يواجه القرآن الكريم خصومه بشهادة الكون ويأخذ عليهم طريق الإدعاء الذى لا يستند إلى حق من القول أو مأثور من العلم ، ويعلمهم منهج البحث الصحيح والاستدلال القويم بآية واحدةٍ من آياته .[1] وذلك لتركيز عقيدة التوحيد في النفوس .

كما يبين سبحانه أن التعدد يُفسد نظام الكون الذي أبدعه بدقة ونظامٍ فائق " وخلق كل شيء فقدره تقديرا "[2] فلو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل إلٰه بما خلق " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض "[3] ، ولما انتظم الوجود ، لتعارض إرادة ومشيئة الآلهة ، أو لذهب كل منهم يطلب قهر الآخر والغلبة عليه ، ولعلا بعضهم على بعض " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا "[4] وحيث أنه لم نر أثراً للتمايز ، ولم نر أثراً للفساد بل المشاهد أن الوجود موحد ومنظم ومنسق ويدار بحكمة ، وأن الذى نظمه ونسقه وأداره بحكمة هو إله واحد لا آله متعددة .

هذا الاستقراء يستند إلى التفكير السليم أن لهذا الكون إلٰها واحدا بيده ملكوت السموات والأرض ، ويديره بحكمة وقصد واعتدال .[5]

وقد رد المتكلمون فكرة تعدد الآلهه بدليل التمانع .[6] وهو أنه اذا أراد أحد الآلهة تحريك جسم وأراد الآخر سكونه ، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين ، وواجب الوجود لا يكون عاجزا ، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد ، وإن حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان الغالب هو الواجب والآخر عاجزاً والعجز في حق الله محال .

---

(١) انظر سيد قطب : الظلال ٦/٣٢٥٢ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢ .
(٣) سورة المؤمنون آية ٩١ .
(٤) سورة الانبياء آية ٢١ .
(٥) انظر الامام الرازى : تفسير الرازى ٢٣/٢١٧ ط/٨٠٢ ، دار الكتب العلميه بطهران ، وابن كثير : التفسير ٣/٢٥٤ والالوسي : روح المعاني ١٨/٥٩ ، ذار احياء التراث العربي بيروت .
(٦) انظر المصدر السابق : ٢٢/١٥٠ " الرازى " .

أو كان عديم الوجود وغير محتاج اليه ، وذلك نقص والنقص لا يجوز بحق الله ، كما أن التعدد نقص في حق الكل ، والوحدانية صفة كمال ، وهذه ملوك الأرض كل منهم يريد أن يسود هذا الكوكب . إذاً فالقول بوجود إلهين يفضي إلى المحال وكل ما أفضى إلى المحال فهو محال .(١)

من هذا يتبين أن الدلالة على وجود الخالق هو وجود هذا الكون ذاته الذى أبدعه بقدرته وحكمته وهو في نفسه الوقت دليل على وحدانيته . ومع هذا يأبى الكافرون إلا أن يتوجهوا بالعبادة إلى آلهة متعددة لا تملك أن تنفع أو تضر نفسها بَلْ أن تنفع أو تضر غيرها ، أو تسهم من قريب أو بعيد بإدارة وتنظيم هذا الكون .

---

(١) انظر الرازى : التفسير ٢٢/ ١٥٠ وابن كثير التفسير ٣/ ٢٥٤ والألوسي روح المعاني ١٨/ ٥٩ وابن أبي العز الحنفي شرح الطحاوية ص ٢٥ .

المبحث الثاني : تنزيه الله عن الولد والشريك

أ - تنزيه الله عن الولد :

قال تعالى : " ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك "[١] حيث أن تنزيه الله سبحانه نفسه عن الولد يدخل في مباحث الدعوة إلى وحدانية الله تعالى[٢]. فقد أفردت له بحثا مستقلا بعد مبحث وجود الله تعالى ، ولنقرر الآن أن هذه الآية وأمثالها مما هو مبثوث في كتاب الله جاءت للرد على اليهود والنصارى الذين زعموا أن عزيراً ابن الله وأن المسيح عليه السلام ابن الله ، كما حكى القرآن الكريم عنهم ذلك في قوله عز وجل " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم "[٣].

---

(١) سورة الفرقان آية ٢ .

(٢) قال العلامه قاضي القضاه علي بن علي بن أبي العز الحنفي في كتابه شرح الطحاويه تحقيق احمد محمد شاكر ص ٣١ " لما كان الشرك في الربوبية معلوم الامتناع عند الناس كلهم باعتبار اثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال ، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقا خلق بعض العالم كما يقول الثنوية والقدرية والفلاسفة الدهريه . فلما كان هذا الشرك في الربوبية موجودا في الناس ، بين القرآن بطلانه كما في قوله تعالى " ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض" المؤمنون ٩٢ . وقال أيضا في ص ٤٤ " اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله " ليس كمثله شيء وهو السميع العليم" فقوله " ليس كمثله شيء " رد على المشبهه المشبهة . وقوله : وهو السميع العليم " رد على النفاة المعطلة . فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق ، فهو المشبه المذموم ، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم " وهذا دليل على أن التنزيه عن الولد يدخل في مبحث التوحيد .

(٣) سورة التوبة آية ٣٠ .

وللرد على أشباههم من الوثنيين الذين أشار الله عز وجل إليهم في قوله تعالى : " يضاهئون[1] قول الذين كفروا من قبل "[2] قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : " الذين كفروا من قبل " أي من قبلهم من الأمم الوثنية كالإغريق والرومان والهنود والفراعنه وغيرهم من الذين كفروا " .[3]

إذاً فهذا الإدعاء مقتبس عن الوثنيات السابقة وليس من أصل النصرانية ولا اليهودية التي جاءت من لدن الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد .

ويبدو أن جيل اليهود الذي كان يقول ذلك أو يعتقده قد انقرض الآن إذ أننا لم نعد نسمع منهم مثل هذا القول أو نعرفه عنهم . أما النصارى فإنهم مازالوا على ما أخبر به القرآن الكريم عنهم . فإن كافة مذاهبهم تقول به وذلك منذ أن حرف بولس رسالة السيد المسيح القائمة على التوحيد كبقية الرسالات السماوية ، ثم أتمت تحريفها المجامع المقدسة .[4]

أما قول العرب : أن الملائكة أناث وأنهم بنات الله ، فقد سجل القرآن الكريم زعمهم هذا في غير سورة الفرقان ، في معرض السخرية والاستهزاء بهم . والإنكار عليهم . فقال تعالى : " ألربك البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة أناثا وهم شاهدون . ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون " .[5]

---

(١) " يضاهئون : يشابهون " القاموس المحيط ٤/٢٨٧ والجلالين ص ٢٥٢ دار مروان دار العربيه -

(٢) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٣) ابن كثير : التفسير القرآن العظيم ٢/٣٤٨ .

(٤) انظر محمد ابو زهره : محاضرات في النصرانيه ص ٨٧، ٨٨، ٥١ ، ط ٥ ، دار الفكر وكذلك د . متولي يوسف شلبي : اضواء على المسيحيه ص ٨٦، ٩٨ . ط ١ الدار الكويتيه ، وسيد قطب ، الظلال ٣/١٦٣٥ وكذلك " الكتاب المقدس : اعمال الرسل . اصحاح التاسع ف ١ - ٢٦ وجاء فيه " وللوقت جعل " شاوول " يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله " شاوول هو بولس الشحشاطي . انظر ابن تيمية الجواب الصحيح ٣/١٤ و ٣/٢٢-٢٣ .

(٥) سورة الصافات الآيه : ١٥٠ - ١٥٣ .

ولقد تولى القرآن الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب من الغلو والتحريف والضلال الذي طرأ عليها . وتصحيح عقائد المشركين من لوثات الوثنية وقرهات الجاهلية وأساطيرها المتهافتة ،[1] من خلال الدعوة إلى توحيده سبحانه وعدم الإشراك به .

فبالنسبة إلى تصحيح عقائد المشركين ، قال تعالى : " ولم يتخذ ولدا "[2] قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآيه " تكذيباً لمن أضاف إليه الولد ... فمن أضاف إليه ولداً فقد كذب وافترى على ربه " .[3]

وقال الإمام الفخر الرازي " بين سبحانه أنه هو المعبود أبدا ولا يصح أن يكون غيره معبودا ووارثا للملك عنه " .[4]

فالذي له ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو خالقهم ورازقهم والجميع ملك له وعبيد ، كيف يكون له ولد منهم ، والولد إنما يكون متولداً من شيئين متماثلين سواء في ذلك النبات والحيوان والإنسان ؟ والله تبارك وتعالى ليس له مثيل أو نظير أو مشارك في العظمة والكبرياء .[5]

فالتوالد إذاً قانون إلهي لامتداد الحياة ، والله سبحانه حي باق لا يفنى قادر لا يحتاج .[6] وقد اكدت هذا المعنى آيات عديدة في كتاب الله . وفندت هذه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٠٨ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢ .
(٣) جامع البيان ١٨/١٣٦ وتفسير ابن كثير ٣/٣٠٨ وتفسير المراغي ١٨/١٤٧ ط/٣ .
(٤) التفسير الكبير ٢٤/٤٦ .
(٥) انظر تفسير ابن كثير ١/١٦٠ .
(٦) انظر سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٤٨ .

الشبهة المتهافتة الآية الواحدة بعد المائة من سورة الأنعام .[١] وآيات في سورة مريم .[٢] وغيرها كثير من آيات الله البينات .

وقد اعتبر سبحانه هذه المقوله شتيمة في حقه ، فقد أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل " .... وأما شتمه فقوله إن لي ولداً . وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني "[٣] وروى ابن مردويه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال " ... وأما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد "[٤] .

وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم "[٥] .

أما بالنسبة لأهل الكتاب : فقد فند سبحانه فكرة البنوة عند النصارى لكونها ألصق بهم من اليهود . فقال عز وجل : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون "[٦] فإذا كانت ولادة عيسى عليه السلام غريبةً بالقياس إلى مألوف البشر ، فأية غرابة فيها عندما تقاس إلى خلق آدم عليه السلام ؟ مثله في ذلك مثل آدم ،

---

(١) قال تعالى " بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم يكن له صاحبه " .

(٢) قال تعالى " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدًّا " إلى قوله " إلا أتي الرحمن عبدا " آية ٨٨- ٩٣ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ٤ / ٧٣ ط / دار الفكر .

(٤) الحافظ ابن حجر : فتح البارى . كتاب التفسير باب قوله " الله الصمد " ٨ / ٧٣٩ ، دار الفكر ، وصحيح البخارى كتاب التفسير ٦ / ٩٥ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ٨ / ١٦٥ وفي روايه " يدعون " ومسلم بشرح النووى ١٧ / ١٤٦ ، ط/ دار الفكر " متفق عليه واللفظ للبخارى .

(٦) سورة آل عمران الآية ٥٩ .

خلقه من تراب ثم نفخ فيه ،[١] وعيسى خلقه من أنثى ونفخ فيها ،[٢] وبقية البشر أجمع خلقهم من ماء ثم نفخ فيهم . قال تعالى " وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا "[٣] فما بال أهل الكتاب يصوغون حول عيسى الأساطير ، ويخلعون عليه الطبيعة اللاهوتية دون آدم ، علما بأن النفخة الإلهية في آدم وعيسى واحدة ، وكذلك في البشر عموما ، وهي الكلمة " كن فيكون " إذن المضمون واحد وهو النفخة الإلهية ، والوسيلة مختلفة ، آدم من تراب ، وعيسى من أنثى والبشر من ماء الذكر والأنثى ، والجميع لآدم وآدم من تراب ، كما ورد في القرآن والأثر[٤] ، إنه الانحراف والهوى والضلال حيث أشربت قلوبهم عقيدة التثليث المعقدة ،[٥] كما أشربت قلوب اليهود عبادة العجل الذهبي[٦] ، بينما تهدو طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الفطرة البشرية ، ودعوته إلى وحدانيته تعالى بالمنطق الفطري البسيط حتى في أعقد القضايا ، وهي تقرير الوحدانية . فإذا هي سهلة ميسورة لا تعقيد فيها ولا تثليث بل إقرار وتوحيد .[٧]

---

(١) تأمل قوله تعالى " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " سورة ص الآية ٧٢ .

(٢) تأمل قوله تعالى " ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا . . " سورة التحريم آية ١٢ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٥٤ .

(٤) قال تعالى " الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين " سورة السجدة آية ٧ . وروى البخاري في صحيحه ١٨٨/٨ من كتاب التوحيد " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما . . . . إلى قوله ثم ينفخ فيه الروح " .

(٥) وقد حكى القرآن عنهم ذلك بقوله " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . . . " المائدة آية ٧٣ .

(٦) وفي ذلك يقول تعالى " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار " الأعراف آية ١٤٨ .

(٧) اقرار : اقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وتوحيد : توحيد الله سبحانه وتعالى .

ب - تنزيه الله عن الشريك :

قال الله تعالى : " ولم يكن له شريك في الملك"[1] قال الإمام ابن جرير الطبرى : هذه الآية " تكذيبا لمن كان يضيف الألوهية إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب "[2] وقال الإمام المراغي " ما كان لله شريك في ملكه وسلطانه يصلح أن يعبد من دون الله "[3] وعلق الإمام الشوكاني قائلا " فيه رد على طوائف المشركين من الوثنية والثنوية وأهل الشرك الخفي "[4]

والشرك هو الكفر ، وأشرك بالله كفر ، فهو مشرك ومشركي "[5] والآيات والأحاديث التي تنهي عن الشرك وتدعو إلى وحدانية الله تعالى كثيرة ومتنوعة.أخرج البخارى بسنده عن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قلنا بلى يارسول الله ، قال: الإشراك بالله "[6]... "الخ الحديث يفهم من ذلك أن الإشراك بالله من أكبر الكبائر فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو مُخَلَّدٌ في النار . وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوع من الشرك يسمى

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٠ .

(٢) جامع البيان ١٨/١٣٦ .

(٣) تفسير المراغي ١٨/١٤٧ .

(٤) فتح القدير ٤/٦١ .

(٥) القاموس المحيط ٣/٣٠٨ .

(٦) صحيح البخارى : كتاب الأدب ٧/٧٠ ، ومسلم بشرح النووى كتاب الايمان باب اكبر الكبائر ٢/٨١ ، متفق عليه .

الشرك الخفي فقال " الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفاة " .[١]

والشرك في حقيقته عبادةٌ لمجموعة من السدنة والكهان ، توارث خلف معبـــودات مجسمةٍ من الأصنام والأوثان ، تُحرِّم على عابديهـا الحلال ، وتحل لهم الحرام ، وهـــي تحرص على أن يظل أتباعها أسرى الجهل والخرافات والشعوذات والألغاز .[٢] وهـــي في مجموعها تستند إلى قاعدة تعدد الآلهة أو تعدد الأرباب ، ومن ثمّ تَدَيُّن العبـادِ للعباد . وبذلك يتم لهذه الطواغيت استعباد الناس بحيلهم ومكايدهم المختلفـــة . فالجهالة عندها أساس الإيمان والكهنة وحدهم يحتكرون المعرفة ويقومون بالوســـاطة بين الناس وبين ما يعبدون .[٣]

وقد صرح القرآن الكريم بحقيقة تصور المشركين الإعتقادي أصدق تصوير ، مـــن خلال الدعوة إلى وحدانية الله وتنزيهه عن الشرك ، فقال عز من قائل " واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشورا "[٤] فالعجب كل العجب من هؤلاء المشركين الذين انحرفوا عن منهج الحق ، وتركوا عبادة الخالق المالك المتصرف في كل شيء في هذا الوجود ، وعبدوا ما لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا إماتة حي ولا إحياء ميتٍ ولا بعثه من قبره . ومثل هذا المسلك لا يسلكه إلا كل آفن الرأي مسلوب العقل .[٥]

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الحكيم الترمذي عن ابن عباس ورمز إلـــى ضعفه . وقال المناوي شارح الجامع الصغير " وقد اخرجه أبو يعلى وابن عدي وابـــن حبان " انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/١٧٢ . ويعضده الحديث المروي عن احمد " فإنه اخفى من دبيب النمـــل" ٤/٤٠٣ .

(٢) انظر محمد شديد : منهج القرآن في التربية ص ١٥٢ ، ط/ دار الأرقم - بيروت .

(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) سورة الفرقان آيه ٣ " والنشور : البعث من القبور " تفسير المراغي ١٨/١٤٩ ، " احياء الميت " القاموس المحيط ٢/١٤٢ .

(٥) انظر تفسير المراغي ١٨/١٤٩ " آفن الرأى : مأفون أي ضعيف الرأى " القامـــوس المحيط ١٩٧ .

والشرك في حد ذاته فسادٌ للفطرة السليمة وانحرافٌ لها عن خط سارها الصحيح [١]. فقد أخرج البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم " أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك [٢] . . . " الخ الحديث ، وليس ثمة ذنب أعظم ولا ظلم أقبح من الإشراك بالله تعالى . يرزقهم ويعافيهم ، ويعظمون من دونه أوثانا جمادات لا تضر ولا تنفع.

والشرك بعد ذلك شللٌ للتفكير ، وحجرٌ على العقل ، وتقييدٌ له ، فلا ينطلق في الأفق الرحب ليفكر وينظر في ملكوت السموات والأرض ، وقد حث القرآن الكريم البشرية على التفكر والنظر والبحث في آلاء الله سبحانه . [٣] تأمل قوله عز وجل " ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا . وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا . وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا " [٤] والآيات التي تحيل إلى التفكر والنظر في ملكوت الله سبحانه ليخلص منها إلى تقرير وحدانيته تعالى والدعوة إليها وتسفيه صنيع المشركين . لا تقتصر على سورة الفرقان وحدها ، ولكنها مبثوثة في كثير من سور القرآن المكي . وقد ظل الفكر الإنساني قرونا طويلة مكبلا بالقيود والأغلال في ظل هذه العقائد والعبادات الضالة المنحرفة - كما لا يخفى على أحد - حتى نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكان ثورةً عنيفةً على الشرك والكهانة

---

(١) انظر محمد شديد ، منهج القرآن في التربيه ص ١٥٢ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التوحيد ٨/٢٠٧ ومسلم بشرح النووى كتاب الايمان ٢/٨٠ متفق عليه .

(٣) انظر محمد شديد منهج القرآن في التربية ص ١٥٢ .

(٤) سورة الفرقان الآيات : ٤٥-٤٩ .

المفردات : ساكنا : ثابتا بحيث لا تذهبه الشمس ، قبضناه : محوناه ، يسيرا : على مهل قليلا قليلا ، السبات : الراحة ، اناسي : جمع انسان اصله أناسين ابدلت النون ياء وأدغمت في الياء ، الرياح بشرا : مبشرات بالرحمه أى بالمطر . انظر : حسين محمد مخلوف ، كلمات القرآن ، ص ٢٢٤ .

والوساطة ، فقضى على جميع مظاهر العبادة لغير الله ، وجعل الصلة مباشرة بين العبد وربه " وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا "[1] وحرر العقول من ربقة الانحراف والوثنية " والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًا وعميانا "[2] وبين أن الذين يستنكفون أن يكونوا عبيدا لله يقعون ضحايا لأحط أنواع العبوديات الأخرى ، فيكونون عبيداً لأهوائهم وشهواتهم ونزواتهم " أرأيت من أتخذ إلٰهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا " .[3]

والسبب في تعظيم جريمة الشرك ، أن المشرك إنسان فاسد الطوية بل هو دون مرتبة الانسانية ، تأمل قوله تعالى وهو يصف المشركين في معرض الاستهزاء والسخرية بهم " إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا "[4] لقد جردهم من انسانيتهم واعتبرهم دون منزلة البهائم في الضلال .

والمشرك بعد ذلك يقطع الصلة بين العبد وربه ، فلا أمل لمشرك في مغفرة ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[5] كما أخرج البخارى ومسلم بسندهما عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ... من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنه . قلت وإن سرق أو زنى .. ؟ قال وإن سرق أو زنى " .[6]

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٨ .
(٢) سورة الفرقان آية ٧٣ .
(٣) سورة الفرقان آية ٤٣ .
(٤) سورة الفرقان آية ٤٤ .
(٥) سورة النساء آية ١١٦ .
(٦) صحيح البخارى كتاب التوحيد ١٩٦/٨ ومسلم بشرح النووى كتاب الزكاه ٧٤/٧ متفق عليه واللفظ للبخارى .

واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم الشرك من الموبقات وأمر أمته باجتنابه وذلك أصرّح في الدلالة على تحريمه ، فقد أخرج البخارى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا يارسول الله ما هن ؟ قال : الشرك بالله ..."[1] الخ الحديث .

أما الحال التي يؤول إليها أمر المشركين يوم الحساب والجزاء فقد صورها عز وجل أصدق تصوير بقوله تعالى " ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ، فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل " وقوله أيضا " والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا "[2] في ذلك اليوم يفضح الله أمر المشركين على رؤوس الأشهاد حيث يجمعهم مع ما كانوا يعبدون من دون الله - ويسأل سبحانه المعبودين عمن أضل أولئكم الوثنيين ؟ أهم كانوا مصدر ضلالهم وغيهم أم هم ضلوا الطريق بكفرهم وعنادهم ؟ . " قالوا : سبحانك : ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا "[3] . ويجيب المعبودون بأن أولئك ما كان لهم أن يتخذوا من دون الله من أولياء ، ويدعون الناس إلى عبادتهم . وأن سبب ضلالهم إنما يعود إلى الترف العريض والمتاع الطويل

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الوصايا ٣/٩٥ ، وصحيح مسلم بشرح النوى كتاب الإيمان ٢/٨٣ . متفق عليه . وقال الحافظ بن حجر ، الموبقات : المهلكات ويراد منها الكبائر . واختلف في تعريفها . وإنى أميل إلى من ضبطها " بكل ذنب قرن به وعيد أو لعن " . وأخرج النسائي والطبراني وصححه الحاكم وابن حبان عن طريق صهيب موسى عن أبي هريره وأبي سعيد قالا : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من عبد يصلي الخمس ويجتنب الكبائر إلا فتحت له أبواب الجنه " فتح البارى كتاب الحدود ١٢/١٨٢ .

(٢) سورة الفرقان آية ١٧ و ٦٨ - ٦٩ .

(٣) سورة الفرقان آية ١٨ .

الموروث عن أبائهم ، ذلك الترف الذى أفاضه الله عليهم حتى ألهاهم وأنساهم ذكر المنعم المتفضل عليهم ، فآلت قلوبهم إلى الجدب والبوار كالأرض البور ، لا حياة فيها ولا زرع ولا ثمار . وأنه سيضاعف لهم العذاب مع الذل والهوان[١] . ثم يتوجه سبحانه إلى أولئك العباد الجهال بالخطاب المخزي المزري " فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً . ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا "[٢] وبذلك حق عليهم العذاب في جهنم فلا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا القدرة على الإنتصار عليهم . ثم يأتي التعقيب الإلهي المنذر بالعذاب الشديد لكل من يظلم نفسه أو يظلم غيره .

وبالإضافة إلى تأكيد الجزاء الأخروى المحيط بالمشركين ، فإن الله يعمد إلى أعمالهم الخيرة في الدنيا فيلغي اعتبارها ويجعلها هباء منثورا .[٣] " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا "[٤] ذلك أن العمل الصالح لا يعتبر إلا إذا كان صادرا عن نفس مؤمنة بالله رباً ومعبودا ، تبتغي بذلك وجه الله[٥] . ففي الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه "[٦] ما يفيد أن الإيمان بالله رباً ومعبوداً ، هو معيار الأمان في دوام العمل الصالح ورعايته من قبل الله عز وجل ، ونفعته العامه .[٧]

---

(١) انظر د . محمد البهي ، تفسير سورة الفرقان ص ١٨ ، ط / مكتبة وهبه .
(٢) سورة الفرقان آية ١٩ .
(٣) انظر الدكتور محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ص ٢١ .
(٤) نفس السورة آية ٢٣ .
(٥) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٦) صحيح مسلم : كتاب الزهد ١٨/١١٥ .
(٧) انظر المصدر السابق ص ٢٢ .

كذلك يحكي سبحانه حسرات المشركين وأقوالهم في ذلك اليوم يوم الجـــــزاء والحساب وإنهم يعلنون الندم بسبب ظلمهم لأنفسهم وظلمهم لغيرهم . وقد يكون هـــذا الظالم أو ظـــالم أوقد يكون عقبه بن معيط أو غيره من الأشقياء ، ويتمنون في قرارة نفوسهم أنهم لو كانوا اتبعوا هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا برسالته[1] ويوم يعض الظـــالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا "[2] ثم يعلقون ندمهم على من صرفهـــم عن الهدى وعدل بهم إلى طريق الضلال من دعاة الشرك والضلال ، ويتمنى كل ظـــالم أنه لو اتبع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به وأقر دعوته . ولم يتخذ الذى اضلـــه وصرفه عن طريق الهدى خليلاً وصديقاً " ليتني لم اتخذ فلانا خليلا " هذا الخليـــل هو الذى أضله عن اتباع القرآن الكريمبعد أن كان متيسراً " لقد أضلني عن الذكر بعـــد إذ جائني . وكان الشيطان للإنسان خذولا[4] ولكن الشيطان أغواه وخذله ، فوقع في الشرك وذهل عن حقيقته وخذله للإنسان عن قصد وإمعان .

وليت البشرية الآن تعي دور الشيطان في افسادها وتعاستهـــا ، وشرورهـــا وآثامها وتؤب إلى ربها المنعم المتفضل عليها ، فتتلقى شرعه بالقبول ، ونبيه محمد صلـــى الله عليه وسلم بالتصديق ، وبذلك تفوز بالدارين ، الدنيا والآخـــرة .

ولكن هيهات لهؤلاء المشركين الماديين الذين لهم أسوأ المنزلة عند ربهـــم أن يعوا هذه الحقيقة . لذلك فإن ما يقابل هذا الاعراض والتعالي والاستكبار عـــن

---

(١) انظر الدكتور محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ص ٢٢ .
(٢) سورة الفرقان آية ٢٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٢ .
(٤) سورة الفرقان آية ٢٨ .

الهدى ، السحب على وجوههم أمام الأشهاد إمعانا في الإهانة والتحقير " الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا " .[1] أخرج البخارى بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه " أن رجلا قال يانبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : أليس الذى امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ، قال قتادة بلى وعزة ربنا " .[2]

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٤ .

(٢) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، ٦/١٤ .

المبحث الثالث ـ "خصائص الإله الواحد" :

تصدى القرآن الكريم وخاصة المكي منه في استفاضةٍ وفي تنوعٍ من الأدلة لا لإثبات وجوده تعالى ، فإن هذه القضية لم تكن في يوم من الأيام هدفاً من أهداف القرآن الكريم . لأن الإيمان بوجود الله مسألة بدهية بل فطرةٌ مركبةٌ في الكيان البشرى ، أودعها الخالق سبحانه ، وشهدت بها مخلوقاته البشرية على نفسها بحكم وجودها وبحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة .[1] قال تعالى " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى : شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين " .[2] بل تصدى لإثبات وحدانيته عز وجل ،[3] من خلال النظر والتفكر والتأمل في آثاره جل شأنه ، ثم إبراز خصائص هذا الإله الأوحد ومميزاته ، مما احتوت عليه سورة الفرقان وغيرها من سور القرآن الكريم . وأهم هذه الخصائص التي أثبتتها سورة الفرقان : خاصية الخلق ، خاصية الملك ، خاصية الضر والنفع خاصية الإحياء والإماته ، ولنبحث الآن كل خاصية من هذه الخواص .

---

(١) انظر د . رؤوف شلبي الدعوة الاسلاميه في عهدها المكى / ٧ طبع ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م الناشر : مجمع البحوث العلمية .

(٢) سورة الأعراف الآيه ١٧٠ .

(٣) الآيات التي حكت لنا إنكار وجوده تعالى قليلة جدا والبعض أرجعها إلى آيتين فقط . والواقع يوجد بضع آيات تحكي ذلك منها :
١) " إن هي إلا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين " الأنعام ٢٩ .
٢) " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر " الجاثية آية ٢٤ .
وعدم اهتمام القرآن بهذه الناحية دلالة على أن وجود الله مسألة بدهية لا تحتاج إلى جدل ومناظره .

أولا - خاصية الخلق :

من السهل على كل باحث متأمل أن يدرك أن آيات الخلق المبثوثة في القرآن الكريم للدلالة على وحدانيته تعالى تختلف من سورةٍ إلى أخرى حسب الموضوعات والأهداف التي تلم بها كل سورة ، فما أجمله سبحانه في سورة الفرقان مثلاً فصله في سورٍ أخرى . وهكذا دواليك . تأمل قوله تعالى " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " .

هذا الاجمال في الخلق يقابله تفصيل في كيفية خلق الانسان والحيوان والسموات والأرض ، ومن المعلوم أنه إذا كان احداث الشيء معجزاً في حد ذاته ، ولا يعرف سره أحد فضلاً عن أن يملك صنعه ، فإن خلق الحياة في الشيء من أعجب عجائب هذا الوجود .(٢) والله سبحانه يقرر أنه وحده أبدع هذا الوجود بقدرته وحكمته وهيأه لما يصلح له .(٣) روى البخارى في صحيحه عن عبد الله(٤) رضي الله عنه أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يامحمد إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجزه .

---

(١) سورة الفرقان آية ٢ .
(٢) انظر سيد قطب " الظلال " ٢/٢٥٣١ .
(٣) انظر الزمخشرى ،الكشاف ٢/٣٩٩ ، ط . ١٣٦٧هـ .
(٤) هكذا ورد في صحيح البخارى وكذلك في فتح البارى ١٣/٣٩٧ إلا إن رواية مسلم عن عبد الله بن مسعود . والذى أعلم أن الروايه إذا اقتصرت على عبد الله فيراد بذلك ابن مسعود .

ثم قرأ " وما قدروا الله حق قدره "[١] فإذا كانت أصابع الرحمن أبدعت هذا الكون ، فإن من هذا الخلق البديع انبثاق الحياة من الموت ، التي ورد ذكرها كثيرا في القرآن الكريم ، في معرض التوجيه إلى حقيقة الألوهية وخصائصها الدالة على وحدة الخالق ، الجدير وحده بالعبادة . والتلقي من شرعه ، فلا يعبد إلا هو ، ولا تتلقى مناهج الحياة وشرائع الحكم إلا من كتابه الكريم[٢] . ومثال على انبثاق الحياة من الموت خلق الإنسان قال سبحانه: " وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرا وكان ربك قديرا "[٣] .

فظاهرة خلق الحياة ظاهرةٌ طبيعيةٌ القصد منها استمرار الحياة على هذا الكوكب لأمدٍ محدود ، وأداء رسالة الله التي تحملها الإنسان ظلما وجهلا، فقد خلق سبحانه من الماء الذي هو ماء الذكر والأنثى بشرا عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى[٤] ، الذكر ممثلا بالنسب والأنثى ممثلا بالصهر[٥] . وبذلك يتم التكاثر الذى هو مصدر قوةٍ وفاعليةٍ على هذه الأرض ، إن لم يحوله الإنسان برعونته وطيشه إلى مصدر طغيان وتدمير . كما هو الملاحظ في عصرنا الحاضر من تسابق الأمم التي تدعي لنفسها الرقي : في ابتكار أحدث وسائل الهلاك والتدمير المرعبة . وما تدمير " ناغازاكي " و " هيروشيما "[٦] عنا ببعيد .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب التوحيد ٨/ ١٧٤ وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب صفة القيامه ١٧/ ١٢٩ . متفق عليه واللفظ للبخارى والآية من سورة الانعام آية ٩١ .

(٢) انظر سيد قطب . الظلال ٣/ ١٧٦١ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٥٤ .

(٤) هذا الماء يراد به النطفه لقوله تعالى " خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب " صلب الرجل وترائب المرأة . وخلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والأنثي . انظر تفسير الرازى ٢٤/ ١٠١ سورة الطارق الآية ٦-٧ .

(٥) شذ عن هذه القاعدة آدم عليه السلام خلقه الله من تراب وحواء خلقها الله من ضلع آدم وعيسى خلقه الله من انثى .

(٦) مدينتان في اليابان " Hiroshima , Nogasaki " القت عليهما الولايات المتحدة الاميركية قنبلتين ذريتين عام ١٩٤٥م . عن اطلس العالم . وخارطة طبعت في Switzerland "

وقدرة الله سبحانه تتبدّى منفردةً أيضا في ظاهرة خلق الإنسان من هذا الماء الدافق الذى يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة[١]، وهو يحمل عناصر الوراثة للجنس كله . ومن ثم لأسرتيهما حسب ما تبدعه يد القدرة الإلهية من خَلْقٍ واتجاهٍ في طريق الحياة. فقد روى البخارى بسنده[٢] عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم يجمع خَلْقَه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له أكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح ... " الخ الحديث.[٣] هذه الأطوار التي يتقلب فيها الجنين وهو في بطن أمه من نطفة إلى علقة إلى مضغة ، لم يعرفها العلم إلا بعد أن أذن الله باكتشاف أقوى المجاهر منذ أمد قريب ، بينما أخبرنا القرآن الكريم ، والرسول الأمين صلى الله عليه وسلم عن هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا[٤].

لنتأمل ما يقوله : أ . كريسي موريسون رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك في كتابه " الإنسان لا يقوم وحده " عن خصائص الوراثه الكامنة في تلك الذريرات الصغيرة المسماة بالحيوينات المنوية : " لكل خلية " ذكر أو أنثى تحتوى على كروموزمات[٥] وجينات " وحدات الوراثه " والكروموزمية تكون النويه المعتمه التي تحتوى الجينه . والجينات هي العامل الرئيسي الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حي أو انسان . والسيتوبلازم[٦] هي : تلك

---

(١) " صلب الرجل : عظام الظهر . ترائب المرأة : عظام الصدر " التفسير الكبير ٣١/١٢٩ .
(٢) انظر د . محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ٣٤ .
(٣) الجامع الصحيح للبخارى . كتاب بدء الخلق ٤/٧٨ .
(٤) تأمل قوله تعالى " ألم يك نطفة من مني يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى " القيامه ٣٧-٣٩ . وقوله تعالى " ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " المؤمنون آية ١٣-١٤ .
(٥) " الكروموزوم Chromosone : هي وحدة الماده العضويه والعامل في نقل الصفات الوراثيه " .
(٦) السيتوبلازم Cytoplasm : هي الماده البروتوبلازميه التى حول نواة الخليه." من كتاب العلم يدعو للايمان . ترجمة محمود صالح الفلكي / ١٣٩ .

التركيبات الكيماوية العجيبة التي تحيط بالإثنين . وتبلغ الجينات من الدقة أنها - وهي المسئولة عن المخلوقات البشرية جميعا التي على سطح الأرض من حيث خصائصها الفردية وأحوالها النفسية وألوانها وأجناسها - لو جمعت كلها ووضعت في مكان واحد لكان حجمها أقل من حجم " الكستبان " أو الكشتبان ..! " وهذه الجينات الميكروسكوبية البالغة الدقة هي المفاتيح المطلقة لخواص جميع البشر والحيوانات والنباتات. والكستبان الذى يسع الصفات الفردية لمليونين من البشر هو بلا ريب مكان صغير الحجم . ومع ذلك فإن هذه هي الحقيقة التي لا جدال فيها " " إن الجنين وهو يخلص في تطوره التدريجي من النطفة " البروتوبلازم " إلى الشبه الجنسي إنما يقص تاريخا مسجلا . قد حفظ وعبر عنه بالتنظيم الذري في الجينات والسوتوبلازم " حتى إن الأم التي غذّت الجنين ليس لها كبير نفوذ ، لأن الجينات هي التي تقرر هل الطفل سيشبه أباه أو أمه إلى أن يقول : "لقد رأينا أن الجينات متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبيه للذرات في خلايا الوراثه بجميع الكائنات الحيه ، وهي تحفظ التصميم ، وسجل السلف والخواص التي لكل شيء حي ، وهي تتحكم تفصيلاً في الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات تماماً كما تقرر الشكل ، والقشر والشعر ، والا جنحه لكل حيوان بما فيه الانسان " .[1]

يتبين من ذلك أن الجنين الذى خلقه سبحانه وتعالى ، وخلص في تطوره من نطفة " بروتوبلازم " إلى الشبه الجنسي أن هذه النطفة إنما تتكون من خلية - ذكر كانت أو أنثى - تحتوى على " كروموزمات " وفي داخلها " الجينات " التي هي العامل الرئيسي

---

(١) أ. كريسي موريسون : العلم يدعو للايمان . ترجمه محمد صالح الفلكي /١٣٩ وما بعدها و /١٤٨ ط/٥/١٩٦٥م ص/ النهضه المصريه .

الحاسم فيما يكون عليه كل كائن حي أو إنسان . وهي المسؤلة عن المخلوقات البشرية التي على سطح الارض . من حيث خصائصها الفردية . وأحوالها النفسيه وألوانها وأجناسها . وأن الأم التي غذّت الجنين منذ حملت به ليس لها كبير نفوذ . لأن الجينات البالغة الدقة هي التي تقرر : هل الطفل سيشبه أباه أو أمه ؟ وليس ثمة دليل على أن هذا الشبه تقرره البيئة السابقة للولاده . والتطور يحتاج إلى فترات طويلة من الزمن حتى يستقر كل تغيير ، ويصل إلى درجة الكمال عندما يقذف فيه الروح . ونحن نعلم أن الخالق عز وجل هو الذى رتب ذلك ونظمه وأمر بكتب سعادته أو شقاوته . وغيره تعالى لن يخلقوا ذبابا ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

كذلك تتبدى قدرة الله في خلق هذا الكون بما فيه من سماوات وأرضين وأفلاك وشموس ونجوم ، وجبال ووهاد ، وينابيع وبحار ، وحيوان ونبات ، كل ذلك مُحدَث من قبل الله عز وجل . لنتأمل قوله تعالى " الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام[1]

---

(١) هذه الأيام الستة غير معلومه واختلف فيها هل هي من أيام الدنيا ... ؟ أم من أيام الله ... ؟ فإن لله يوما كألف سنه ، ويوما خمسين الف سنه . وقد رجح المرحوم سيد قطب أنها من غير أيامنا على اعتبار أن ايامنا هذه تكونت بعد خلق السموات والأرض . انظر الظلال ٣/١٧٦١ .

وتعليقا على ذلك أقول أنه ليس ثمة ما يرجح إلى ما ذهب إليه سيد قطب . فإن هذه الأيام المعروفه لدينا وإن كانت تكونت بعد خلق السموات والأرض فإنه علمه سبحانه قديم . وأنه سبحانه لا يضرب لنا مثلاً بأشياءٍ بعيدةٍ عن أفهامنا وبعيدةٍ عما تدركه عقولنا . هذا من جهه . ومن جهة أخرى فانه سبحانه ليس بحاجة الى هذا الزمن ، القريب من إدراكنا ، لخلق السموات والأرض ، وإنما أراد به أن يعلم البشريه أن التدرج هو اساس العمل في هذا الوجود ، وتفصيل هذه الأيام الستت ورد في سورة حم السجده " قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها " الآيات ٩-١٢ . وفي هذا دلاله على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولا ثم خلق السموات السبع ويؤيد ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة

ثم استوى على العرش[1] الرحمن فاسأل به خبيرا "[2]

هذا الإله الخالق المبدع لهذه السموات والأرضين وما بينهما - الذي ينبغي التوجه إليه في جميع الشعائر التعبديه والأمور الحياتيه . طاعةً وخضوعاً واستسلاماً - لم يخلق هذا الكون طفرةً واحدةً بل خلقه بالتدرج في حدود ستة أيام ربما لِيُعَلِّمَ الإنسان أن التطور والتدرج هو أساس العمل في هذا الوجود .

وهذه الأيام السته التي تم فيها خلق العالم كله ونص عليها القرآن والسنة ، يحتمل أنها قُصِدَ بها التدرج في الخلق لأن الله سبحانه جلت قدرته قادر على أن يخلقهن بكلمة " كن فيكون " .

والإستواء على العرش وإن اختلفت فيه التأويلات فإن الدكتور البهي يرجح أنه قُصِدَ به تدبير الله للوجود ورعايته له بتقدير وحكمه .[3] والذي أراه أن كيفية الاستواء مجهولة والله أعلم .

والمتأمل في الآيه السابقة يجد أن النص لا يحفل كثيراً بتحليل مظاهر الكون بتفصيل ودقه . ولا يتحدث عن نشأته وتطوره وما يعتوره من أحداث بنفس الدقه والأسلوب التي يتحدث بها عن نشأة الإنسان ومصيره . والسبب في ذلك أن تعريف الانسان

= قال : أخذ رسول الله بيدي فقال خلق الله التربه يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعه في آخر الخلق في آخر ساعه من ساعات الجمعه بين العصر إلى الليل " كتاب صفات المنافقين : باب ابتداء الخلق .

(١) ثم استوى : " لا يجوز حمله على الاستيلاء والقدره ، لأن الاستيلاء والقدرة في أوصاف الله لم تزل ولا يصح دخول ثم فيه . والجواب الاستقرار غير جائز لأنه يقتضي التغير الذى هو دليل الحدوث وذلك على الله محال . بل المراد ثم خلق العرش ورفعه وهو مستول" تفسير الرازى ٢٤/١٠٤ .

(٢) سورة الفرقان الآيه : ٥٤ .

(٣) انظر : تفسير سورة الفرقان / ٣٧ .

بحقيقته وأصل نشأته لا يقل عن الظواهر الأخرى - وهو قريب المنال - في بيان قدرة الله على الخلق - كما أن الآية لا تدل على كيفية خلق السموات والأرض ولا على مادتها الأساسيه التي تكونت منها ولا على مصيرها . ولا ندحة لنا من الإستشهاد بالآية التالية لتكتمل الصوره " ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين "[1] من هذا يتبين أن المادة التي خلق الله منها السموات وما بينهما من مجرات وسدم كانت مثل الدخان الذى يتصاعد من بخار الماء[2]. ويقرر العلماء أن هذا الدخان حاوي لأنواع المادة الثلاثة من صلبة وغازية وسائلة .[3]

كذلك نلاحظ أن قصة الخلق وتوجيه النظر إلى الظواهر الكونيه المبثوثه في هذا الوجود ترد كثيرا لتقرير قضية الألوهيه والربوبيه ، والدعوة إلى وحدانيته تعالى .

فأمة العرب لم تكن في جاهليتها تنكر على الله أنه خالق الكون سمائه وأرضه إنسه وجنه ، والمنكرون لوجوده عز وجل شرذمة قليلة يقوم إنكارها على محض المكابرة والعناد .[4] وكثيراً ما يزول هذا العناد وهذه المكابره عند التعرض للشدائد فيعود الإيمان إلى نفوس المعاندين والمكابرين . وقد تكلم عنهم القرآن الكريم بقوله " فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون "[5] ذلك لأن

---

(١) سورة فصلت آية ١١ .
(٢) انظر تفسير الرازى ٢٧ / ١٠٤ وابن كثير : التفسير ٤ / ٩٣ .
(٣) انظر شوقي ابو خليل : الانسان بين العلم والدين ص ٤٤ .
(٤) مثل هذه الشرذمه موجود في كل الأمم وعلى مدار الاعصر . وقد تجاهلهم القرآن الكريم ولم يلتفت إليهم بأكثر من آيتين من كتابه الكريم . انظر هامش المبحث الثالث ، خصائص الاله الواحد ص٦٤ .
(٥) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

الفطرة البشرية لا تستطيع أن تتخلى عن الإعتقاد بوجود إلهٍ خالق ومدبر لهذا الكون إلا في حالات نادرة منحرفة شديدة الإنحراف ولكن العرب مع ذلك يشركون معه آلهة "مُدَّعَاة" يدعون أنهم تقربهم إلى الله زلفى ، وتكون شافعة لهم عنده[1].

وقد حكى القرآن عنهم هذا في غير سورة الفرقان ، في كثير من آي الذكر الحكيم[2]. ولا عجب فالعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . يعتزون بأنهم على دين أبيهم إبراهيم ، غير أنهم لم ينتبهوا إلى ما آلت اليه عقيدتهم من التناقض والانحراف مندفعين وراء التقاليد والعادات الموروثة .[3] روى ابن جرير الطبرى عن المقداد ابن الأسود قال " لقد بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بُعث عليها نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل[4]. " الخ الحديث . لقد جمع العرب بين الاعتراف بالله الخالق والإشراك به بأوثان من صنع أيديهم . فأتى القرآن الكريم يصحح لهم مسار تصورهم ويدعوهم إلى العودة الى الحينفية السمحة دين إبراهيم عليه السلام .[5]

كذلك لم تكن الجاهليات الأخرى من يهودية أو نصرانية أو غيرها تنكر كون الله خالق السموات والأرض . إلا أنها تخلع على هذا الإله الخالق المبدع كثيرا من

---

(١) انظر : سيد قطب ، الظلال ٣/١٢٩٥ .
(٢) تأمل قوله تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله . فأنى يؤفكون " العنكبوت ٦١ ، وقوله تعالى " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله . قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " لقمان ٢٥ " .
" يؤفكون : يصرفون من أفك صرف ". الفيروزابادى : القاموس المحيط ٣/٢٩٢ .
(٣) وهي تقديس الآباء وعبادة الأوثان .
(٤) جامع البيان ١٩/٣٣ .
(٥) انظر : د . رؤوف شلبي ، كتاب الدعوة الاسلامية في عهدها المكي/٥٠ .

صفـــات البشر[١] . وشذّ عن ذلك أصحاب المذاهب والفلسفات المادية الملحدة التي لا تعترف بما وراء المادة ولا تؤمن بغير المحسوس[٢] . ويزعمون أن هذا الكون وجد صدفة أو خالق لنفسه من غير مبدع[٣] ، وهذا إن قال به أحد فإنما هو قول بالهوى يحتاج إلـــى دليل ولا يستند إلى قاعدة علمية . والله سبحانه يقول فيهم " أرأيت من اتخذ إلهه هـواه أفأنت تكون عليه وكيلا "[٤] . إنها الطبيعة الفاسدة المنحرفة لا تؤمن بمبدأ ولا تركن إلـى يقين . بل إن الفطرة السليمة والعلم اليقيني ينفيان ذلك . ويؤكدان خلق الله سبحانه لهذا الكون .

فبالنسبة للفطرة السليمة[٥] يقرر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أن المرء يولـد ووحدانيته الله تعالى كامنة فيه ، أما الإنحراف فانه يكتسب اكتسابا بالتعليم والتعلم .

روى البخارى وسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانـه . وينصرانه ويمجسانه . . . " الخ الحديث متفق عليه .[٦] فالمرء يولد على الإسلام ، والأبوين أو أحدهما . هما اللذان يحرفان عقيدة الطفل ويجعلانه يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيـا أو غير ذلك من العقائد الضالة .

---

(١) النصارى يقولون " إن الله ثالث ثلاثه " المائده / ٧٣ ويقولـون " إن الله هو المسيح ابن مريم " المائده / ١٧ . واليهود يقولون " يد الله مغلوله . غلت أيديهم ولعنـوا بما قالوا " المائدة / ٦٤ ويقولون " إن الله فقير ونحن اغنياء " آل عمران / ١٨١ .
(٢) انظر د . عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الاسلامية / ٢٦ ط / ٣ ، / مؤسسة الأنوار .
(٣) راجع المبحث الأول ص ٨٢٥ والرد على هاتين الشبهتين .
(٤) سورة الفرقان آية ٤٣ .
(٥) انظر اقرار الفطره السويه بوجود الخالق في ص ١٦ من الفصل الأول المبحـــث الأول .
(٦) صحيح البخارى كتاب الجنائز ٢ / ٩٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب القـــدر ١٦ / ٢٠٧ واللفظ لمسلم .

أما بالنسبة إلى العلم اليقيني : فإن الله سبحانه وتعالى يقرر أنه هو خالق هذا الكون " هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا "[١] وأنه ليس ثمة حق من القول أو مأثور من العلم يدعي أو يزعم أنه خلق ذبابا . " قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض "[٢] فما بال هؤلاء يتطاولون على الخالق وهم بعض من خلقه .

ثانيا - خاصية الملك :

قال الله سبحانه " الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا "[٣] .

من هذه الآية الكريمة وكثير غيرها نجد أن الله سبحانه وتعالى اعتنى بتقرير وحدانيته تعالى من خلال إعمال الفكر والنظر في ملكوت الله سبحانه . فحيث أنه هو وحده المالك لهذا الوجود فهو ربه ومصدر رزقه وهو وحده المتصرف به والحاكم والمشرع له ، فالمتفرد بالخلق هو نفسه المتفرد بالملك ، وهو نفسه المنفرد بالعبادة ، فلا معبود بحق سواه .

كما أن هذه الآية الكريمة تحدد المالك الحقيقي لهذا الوجود وما هو دور الإنسان فيه .

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٩ .

(٢) سورة الاحقاف آية ٤ .

(٣) سورة الفرقان آية ٢ .

فالملكية المطلقة هي لله عز وجل . والإنسان مستخلف في الأرض . والذين يأبون الإستسلام لهذه الحقيقة طائعين . سيستسلمون لها مُكرهين . وسنة الله في هذه الحياة تحتم على الإنسان أن يستعمر الأرض ويستغل كل خيراتها لخدمة الإنسان ورفاهية الإنسان . وقد مكن الله له في الأرض . وسخر له كل شيء . ووفر له سبل المعيشة . ولم يتركه هملا، بل أرسل له رسلا تأخذ بيده إلى الأمل ، وتجنبه طريق الغواية والزلل .

واستعمار الإنسان للأرض واستثمار خيراتها . ينبغي أن يتم طبقا لمبدأ الاستخلاف الذى أقره الله عليه في الآية الثلاثين من سورة البقرة .[1] وطبقا لهذا المبدأ، أودع الله سبحانه في الإنسان حب التملك والسيادة .[2] وبذلك تكون مهمة الإنسان محددة بالقوامه والتصرف كالآتي :

١ - أن سيادة الإنسان على الأرض ليست مطلقة بل محددة طبقا لمبدأ القوامة والاستخلاف فهو وكيل أو خليفة لله . وعليه فليس للانسان ملكية استغلال رُ وأن المالك الحقيقي والمتصرف إيجاداً وعدماً هو الله سبحانه[3] .

٢ - أن الإنسان مستأمن فيما يتعلق بهذا الكوكب المسخر له . وفيما يتعلق بخصائصه الشخصية ومُقدراته وممتلكاته . وهذا يجعل مبدأ الملكية للإنسان غير مطلقة . وأن الإنسان قيم على هذه الأرض[4] . وينتج عن هذا المبدأ :

---

(١) " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفه " .

(٢) تأمل قوله تعالى " وإنه لحب الخير لشديد " العاديات آية : ٨ وقوله أيضا " يحبون المال حبا جما " الفجر آية : ٢٠ .

(٣) انظر الاستاذ خورشيد أحمد : قضايا الفكر الاسلامي المعاصر ص ٣١٦ ط/ ٢ عام/ ١٣٩٨هـ / الندوه العالميه . وفي ذلك يقول سبحانه " وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه " الحديد آية ٧ .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

أ) أن التبعة الشخصية تكون أمام الله عن إساءة استعمال الأمانة الموضوعة في عنق الإنسان " وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى " .[١]

ب) أن حريتنا في التصرف محددة حسب إرادة من استخلفنا وهو الله سبحانه وكل تصرف يخرج عن مبدأ الإستخلاف يعتبر تصرفاً باطلا . وتحقيق هذا المبدأ منوط بمن قبل مبدأ الاستخلاف وإقامة ملكية الله في الأرض .

جـ) أن حق التصرف الذى حصل عليه الإنسان بموجب مبدأ الاستخلاف ينبغي أن يستخدم فيما يعود بالخير على الإنسان نفسه وعلى البشرية بشكل عام .[٢] فلا يجوز إساءة استخدامها ولا حتى الإعتداء أو تحطيم حياته الخاصة .

د) على المستأمن أن يقدم حساباً عما استؤمن عليه[٣] ، أي ليس غاية هذه الحياة العيش ثم الموت ، بل عليه أن يجاهد حتى يُحق الحق في الارض ويحقق مبدأ الاستخلاف في استعمار الأرض واستصلاحها ، وائتلاق خيراتها ، فيما يعود عليه بالخير وعلى البشرية بالسعادة . وذلك بمحاربة قوى الفساد التي تعوق نشر الخير والهداية والأمن والاستقرار في العالم .[٤]

من هذا يتبين أن الله له ملك السموات والأرض ملكيةً شاملةً مطلقةً ملكية استعلاء وتكبر، لا يرد عليها قيدٌ ولا شرطٌ ، وليست محددة بحدودٍ ولا قيود وأن الإنسان سيد على هذه الأرض ضمن حدود وقيود ، ولا مد محدود ، وأن سيادته هذه مقابل عبوديته لله .

---

(١) سورة النجم آية ٣٩ .

(٢) إلى هذا يتوجه قوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " سورة النور آية ٥٥ .

(٣) انظر الاستاذ خورشيد احمد : قضايا الفكر الاسلامي المعاصر ص ٣١٦ ط/ ٢ عام ١٣٩٨هـ صادر عن الندوه العالميه للشباب الاسلامي .

(٤) وقد تأيد ذلك بقوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا " سورة النور آية ٥٥ .
وقوله تعالى " ياداوود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله " سورة ص آية ٢٦ .

ومن لا يلتزم بهذه العبودية فإنه يكون قد أقام نفسه مقام الأنعام أو أضل سبيلا .

وأن الإنسان قد وُهِبَ من المدارك والأفهام والقوى الخفيه كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخيرات ، ما يحقق المشيئة الإلهية في عقد الاستخلاف .

وأن دور الإنسان علي هذه الأرض هو دور التبديل والتغيير في أشكالها ، واستخراج كنوزها وثرواتها ، وتفجير طاقاتها واستثمار خيراتها ، وكيفية التعامل والتكيف مع القوى المرتبطة بها والمؤثرة فيها كالرياح والأمطار ، والشموس ، والكواكب والنجوم والأقمار والنيازك ، وما يرافق ذلك من حرٍ أو قرٍ ، أو تصدعٍ أو زلازلٍ . كل ذلك لا يرقى إلى الإيجاد والعدم التي هي من صفات الله مالك الملك ، رب الإنسانية ومصدر رزقها .(١)

هذه الحقيقة عندما تستقر في ضمير الإنسان تحدد وجهته ومصيره في هذه الحياة وتُخليه من التوجه والاعتماد أو الطلب من غير المالك المهيمن على هذا الوجود . والمتصرف فيه إيجاداً وعدماً بلا شريك ، كما تُخليه من التوجه بالعبادة طاعة وخضوعا واستسلاماً لغير الله ، المالك الأوحد ، الفرد الصمد ، الرزاق ذو القوة المتين ، وذلك لأن عقد الاستخلاف قائم على تلقي الهدى من الله ، والتقيد بمنهجه في الحياة(٢) :إستثمار الارض وإعلاء كلمة الله .

وهو مالك الملك يؤتي ملكه من يشاء وينزعه ممن يشاء ، نزع استرداد واستعلاء ، وكذلك بيده العزة يعز بها من يشاء ويذل من يشاء ، بلا معقب لحكمه ولا مجير عليه ، ولا راد لقضائه .(٣)

---

(١) انظر سيد قطب ،الظلال ١/ ٦٠ وما بعدها .
(٢) انظر سيد قطب ،الظلال ٦/ ٣٦٣١ .
(٣) تأمل قوله تعالى " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " آل عمران : ٢٦ .

إن البشر كثيرا ما ينخدعون فيحسبون أنهم يملكون من هذا الحطام شيئا لمجرد أنهم يجدون أشياء في أيديهم مسخرةً لهم يتصرفون فيها حسب أهوائهم وشهواتهم ، ناسين أو متناسين حق الله فيها " وآتوهم من مال الله الذي آتاكم "[1] وفيما هم لاهون غافلون ، همهم إشباع بطونهم ، وإمتاع أنفسهم[2] . إذ بطائف يطوف على أموالهم وأمنهم ، فيصبحون بلا مأوى ولا أمن ، بل حرمان وخوف ، ومع ذلك لا عبرة ولا عظة ، بل أحرص الناس على حياة .

من هذا يتبين أن الأشياء المادية كلها - والكون من هذه الأشياء - ظل لا يلبث أن يزول مهما طال عليه الزمن ، لأن له بدءاً ، وكل ماله بدء لا محالة له نهايه وكل ما له نهايه لابد أن يكون عارية " مسترجعةً من قبل مالكها الحقيقي وهو الله سبحانه الذى لا يحول ولا يزول ولا تدركه العقول .

إن هذا الغبش الذى يغشو أبصار الجاهلين ، ويفقدهم النظر الصحيح إلى حقائق الأشياء ، فيحسبون أنهم يملكون شيئا من حطام الدنيا تبعاً لتصرفهم أخذاً وعطاءً ولا يخرجون حق الله فيه ، ويبتعدون عن منهج الإستخلاف في الحياة ، سيزولون يوماً ما ، وسيزول هذا الحطام ، يوم ينادي مالك الملك ، أنا الملك أنا الديان أين ملوك الأرض .

أخرج البخارى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) سورة النور آية ٣٣ .

(٢) تأمل قوله تعالى " والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم " سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ١٢ .

" يقبض الله الأرض يوم القيامه ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول أنا الملك أين ملـــــوك الأرض "[1] في ذلك اليوم يوم البعث والجزاء يكون الملك الحق للرحمن ، وللكافر الويـــل والخسران " الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا "[2]، فله السلطان القاهر والإستيلاء العام ، فلا أخذ ولا عطاء شاخصةً أبصارهم وقوفاً انتظارا للجزاء العـــادل ، أما الجنة وأما النار فمن أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، وعمل بمنهج الله في الاستخلاف فإن الجنة هي المأوى ، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى واستعلى فإن الجحـــيم هي المأوى .

إن مجرد إحساس المرء بأن ما في يده ظل زائل وعارية مسترجعة ، وأنه هـــو مآله إلى زوال ، كفيل بأن يطامن من حدة الجشع والطمع ، وحدة الشح والحرص ، والتكالب المسعور على الدنيا ، وإحقاق حق الله فيها . وكفيل أيضا أن يسكب في النفس البشرية القناعة والرضى ، والإجمال في الطلب ، والجود بالموجود ، وأن يفيض على القلب الراحة والطمأنينة في الوجدان والحرمان سواء ، فلا تذهب النفس حسرات على فائت ، ولا يتحرق القلب سعاراً على مرموق .

---

(١) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق ٨/١٦٦ صحيح مسلم كتاب صفة القيامه ١٧/١٣١ متفق عليه .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٦ .

ثالثا - "خاصية النفع والضر" :

قال الله تعالى : " واتخذوا من دونه ألهةً لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ..."[1] الآيه

بعد أن وصف سبحانه نفسه بصفات العزة والجلال لتقرير وحدانيته تعالى أردفها بتقرير حقيقة أنه هو وحده المتصرف في عباده كيف شاء ومتى شاء ، وإنه لا يضع شيء في هذا الوجود ضراً كان أو نفعا إلا بمشيئته تعالى : فبمشيئة الله عز وجل تفعل الأشياء، وتنشىء آثارها ، وتحقق نتائجها .

فهذه النار مثلاً لها خاصية الإحراق ، فاذا شاء أوقف سبحانه هذه الخاصية فتبطل عملية الحرق . كما حصل لإبراهيم عليه السلام عندما قذفه قومه في النار ، فقال سبحانه لها " يانار كوني برداً وسلاما على إبراهيم "[2] فخرج منها معافى بإذن الله تعالى ، وهكذا سائر الأسباب التي جرت العادة أن تقترن بها المسببات ، فكل شيء في هذه الدنيا مؤثر ، مودع فيه خاصية التأثير ، فإذا بطلت هذه الخاصية أو أوقفت بمشيئته تعالى ، زال كل أثر لها وأصبحت عديمة الضر والنفع[3] ، فالأصنام والأوثان لا تملك أن تضر أو تنفع نفسها فضلا عن أن تملك ذلك لغيرها .

---

(١) سورة الفرقان آية ٣ .
(٢) سورة الانبياء آية ٦٩ .
(٣) انظر : سيد قطب الظلال ٥/٢٥٥٠ .

وكذلك حال العباد لا يملكون لأنفسهم على الحقيقة ضراً ولا نفعاً إستقلالا بل المالك الحقيقي إبتداءً وانتهاءً هو الله سبحانه [١]، ومرد هذه الحقيقة الإلهية الكبرى ، معرفة حقيقة إلهية كبرى أخرى هي علم الأمور الغيبية التي استأثر بها الله سبحانه وتعالى وحده . وقديما قال الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد [٢] وهو يرثي نفسه

" وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي "

وعلمنا حتى في الأمور التي مضت واندرست محدود بقدرتنا على التذكر . أما ما نستقبله من الأمور فهو الغيب المجهول المطلق . ورغم اتساع علم الانسان بما يضره وينفعه فانه بالنسبة إلى علم الله سبحانه الذى لا يند عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض قليل [٣].

ولو كانت البشرية تملك طرفا من الغيب لاستكثرت من الخير وأبعدت عنها السوء . ولكنه عمل واجتهاد فيما أحبت أو كرهت ، يحدوها في ذلك أمل في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وخوف من نار أعدت للكافرين الجاحدين المنكرين [٤].

فعمل الإنسان في ما يقدر عليه من الأمور مخير فيه ، وسيلقى جزاء اختياره إن خيراً فخير أو شراً فشر [٥]، وما لم يكن له عون من الله وفتح لبصيرته فإن أول ما يجني عليه ويودى بهلاكه إجتهاده .

---

(١) انظر الآلوسي ، روح المعاني ١٨ / ٢٣٣ .
(٢) شرح المعلقات السبع : للزوزني ص ٥٨ نشر دار الكتب العلميه ، بيروت عام ١٣٩٨هـ.
(٣) تأمل قوله تعالى " عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبين " سورة سبأ آية : ٣ .
(٤) إلى ذلك يتوجه قوله تعالى " ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون " سورة الاعراف آية ١٨٨ .
(٥) يؤيد ذلك قوله تعالى " وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى " سورة النجم آية ٣٩ - ٤٠ .

وأما عمل الانسان فيما لا يقدر عليه من الأمور فهو مسير بمشيئته تعالى . فلا يقوى أن يدفع عنه ضرا ، ولا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعا ، والعاقبة تجيء كما قدر الله في غيبه المكنون (١).

بهذا الإعلان تتم لعقيدة التوحيد كل خصائص التجرد المطلق من الشرك أو اتخاذ الصاحبة أو الولد . كما تتفرد الذات الإلهية بكل خصائص الألوهية . فلا يشاركها في ذلك نبي مرسل أو مَلَكٌ مُقَرَّبٌ . فما شبهة أولئك الكفرة المشركين في اتخاذ آلهة هذا حالها لا تملك دفع ضر عن نفسها بله أن تدفعه عن غيرها ، ويصدون عن عبادة الله الخالق المنعم المتفضل عليهم ، بكل صلف واستكبار وغرور " ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا " (٢) إنه الانحراف المطلق والتنكب عن منهج الحق وركوب مركب لا يركبه إلا كل آفن الرأي مسلوب العقل ، بالغ الزراية .

فما أحوج الجاهلية قديمها وحديثها إلى من يواجهها بطاغوتها وجبروتها وعنادها وإلحادها وزيفها وفسادها ، وإعراضها وكيدها والتوائها وخداعها ، ما أحوج من يقذف في وجهها هذه الحقيقة أن الضر والنفع بيد الله القاهر فوق عباده ، فلا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ، وإن هؤلاء الطواغيت المتجبرين والمتألهين ومن في الأرض جميعا أضعف من الذباب . وهذا الذباب الحقير في ضعفه وزرايته إن يسلبهم شيئا لا يستطيعون أن يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٣).

---

(١) يشير إلى ذلك قوله تعالى " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير " سورة الانعام الآية ١٧ .
(٢) سورة الفرقان آية ٥٥ .
(٣) انظر الآية : ٧٣ من سورة الحج .

لقد كانت البشرية وما تزال -عدا من شذ عنها- تقرر أن الله سبحانه هو خالق السموات والأرض وأن كل ما فيهما مسخر لخدمة الإنسان ولأداء رسالته على هذه الأرض . وأن الله تعالى جعل نواميسها موافق لفطرة الإنسان . فلو اختلفت فطرة الإنسان وتركيبه عن نواميس هذه الأرض لما أستطاع الحياة عليها فضلا عن الانتفاع بها وبما فيها .

فإذا تقرر هذا في ضمير الإنسان وحسه فما الذى يخشاه داعية إلى الله ، وما الذى يرجوه ؟ وليس أحد بكاشف الضر عنه أو مانع الرحمة منه .[1] لا يخشى إلا الله ولا يرجو إلا لقاءه .

هذه هي حقيقة الألوهية المسيطرة على هذا الوجود . وبهذه الحقيقة تستقر النفس البشريه وتطمئن لما يصيبها من خير أو شر ، وهي في طريقها إلى ربها فلا تطير فرحا وهي تواجه السراء ، ولا تهلك جزعاً حين يصيبها الضراء ، فكل مقسوم لأجل معلوم ومرد الأمر كله في النهاية إلى الله .

رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : ياغلام ألا أعلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك . إحفظ الله تجده تجاهك . وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف "[2] فالإنسان حين يدين لله وحده لا يخضع إلا لله ، ولا يسأل أحداً إلا الله ، ولا يعتمد على أحدٍ من خلقه سواه لأنه يعلم أن الضر والنفع بيد الله .

---

(١) تأمل قوله تعالى " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير " الأنعام آية : ١٧ .

(٢) سنن أبي داوود : كتاب السنه برقم /٤٦٩٩ وابن ماجه في المقدمه/ ١٠ عن ابن الديلمي ورواه غيرهم .

ومتى استقرت هذه الحقيقة في ضمير الإنسان وحسه اندفع لإعلاء كلمة الله ، داعياً إلى وحدانيته وإخلاص العبادة إليه ، لا يرده في ذلك هلع ولا يثنيه طمع . وعندما تبدو هذه الآثار في السلوك والتصرفات عبودية لله ، تبدو كذلك في التصورات والمشاعر ، فلا تعود كلمة التوحيد تقال فقط باللسان بل عقيدةً بالجنان .

رابعا - خاصية الإحياء والإماته :

قال تعالى " ولا يملكون موتا ولا حياة " ولا نشورا " .(١)

فبعد أن نزه سبحانه نفسه عن الشريك والولد ، ووصف نفسه بصفات العظمة والكبرياء ، أعقب ذلك بتجريد الآلهة المعبودة من دون الله بغير حق من هذه الصفات الأربعة وهي : الخلق ، والملك ، والضر والنفع ، والإحياء والاماتة ، ومعنى ذلك أن الإلـه الذي يجب أن نتوجه إليه بكل آيات التعظيم ، ومراسم العبادة هو الإلٰه المتصف بصفات التنزيه والكمال الآتية :

أ - كونه سبحانه وتعالى إلٰه واحداً منزهاً عن الشريك والولد ، والضد والند ، لأنه إذا تعددت الآلهة فسدت السموات والأرض ،(٢) ولأصبح إرسال الرسل وإنزال الكتب عبثاً ، وحيث إن العالم - سماواته وأرضه - منظم ومنسق ينتج من ذلك أن الإلٰه واحد لم يتعدد(٣) . ولو قدرنا وجود إلٰهين ، فإن أحد الإلٰهين إما أن يكون كافياً في تدبير العالم أو لا يكون ،

---

(١) سورة الفرقان آية ٣ .

(٢) يشير إلى ذلك قوله تعالى " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون " سورة الأنبياء آية ٢٢ .

(٣) انظر الالوسي : روح المعاني ١٧ / ٢٥ .

فإن كان أحدهما كافياً كان الآخر عديم النفع وغير محتاج إليه . وذلك نقص في حق الله والناقص لا يكون إلهاً .[١]

ب - كونه سبحانه قادراً على الإحياء والإماتة والحشر والنشر والبعث ،[٢] ويتقدير عدم ثبوت ذلك يكون الاشتغال بالطاعات والاحتراز عن المعصيات عبثاً ولغواً . وحيث ثبتت القدرة على الإحياء إبتداءً تثبت القدرة على الإحياء إنتهاءً ، ويكون سبحانه قادراً على الإعادة والحشر والنشر .[٣] وحيث أن الإحياء الأول إنعام عظيم من الله ، وتفضل منه ومنّة ، فإن العبودية لله والتوجه إليه سبحانه إنما هو صورة من صور الشكر على هذه النعم . وفي الأثر " جبلت القلوب على حب من أحسن اليها " .[٤]

والحياة والموت حادثان يقعان في كل لحظة ، وهما من القضايا التي أثارت جدلا طويلا لمعرفة الباعث على كل منهما ، ومع تقدم المخترعات والإنجازات الحديثة . فإن البشرية بمجموعها تظل أعجز من بث الحياة في خلية واحدة أو إماتة خلية واحدة على وجه الحقيقة . والإنسان في ذلك لا يعدو أن يكون وسيلة لتقرير حقيقة أزلية . فالله هو الذى يحي ويميت وإليه النشور .[٥]

---

(١) انظر تفسير الرازى ٢٢/١٥٢ ، راجع المبحث الأول من الفصل الثاني ص٤٧ ومابعدها . وحدانية الله تعالى .

(٢) يشهد لذلك قوله تعالى " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة " لقمان آية ٢٨ .

(٣) يقول تعالى في ذلك : " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " طه آية ٥٥ .

(٤) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم الحديث ٣٥٨٠ عن ابن عدى في الكامل والبيهقي في شعب الايمان وابو نعيم في الحليه ٤٣/١٢١ كلهم عن ابن مسعود . ويقول المناوى " أورده ابن الجوزى في الواهيات وقال لا يصح . وقال الازدى هذا الحديث باطل . وصحح البيهقي وقفه على ابن مسعود . وقال السخاوى هو باطل مرفوعاً وموقوفاً ويروى عن أحمد ويحي أنه ليس له أصل وهو موضوع " فيض القدير ٣/٣٤٥ .

(٥) انظر الامام الرازى : التفسير ٧/٢٣ وابن كثير : التفسير ٣/٣٠٨ والمراغي : التفسير ٣/٢١ .

والإحياء والإماته أمران مشهودان على الدوام في الاستيقاظ من النوم ، وفي إنبات الزرع . وسنأتي على ذلك مفصلا في المبحث الثاني من الفصل الثالث - بيان قدرة الله على الإحياء - ص/٦-١

وظاهرة الحياة والموت ظاهرة عميقة الأثر في حياة البشر ، فالموت حقيقه لا ينجو منها أحد ، ولا يمكن أن تمر دون أن توقظ في حس الإنسان سؤالاً عما وراء هذه الظاهرة، ماذا وراء الموت ، ولماذا يحدث ؟ وهل هو نهاية المطاف ؟ أم أنه حلقة في سلسلة الموت إحداها ؟ .(١)

وحقيقة الحياة كيف تقع ، وهل تحدث تلقائيا ؟ أم لابد لها من موجد ؟ تلك تساؤلات تبعث في الانسان حب البحث عن الخالق المحي المميت ، ونتيجة للبحث يهتدى الإنسان فيعرف الله على حقيقته ربا وإلها ، أو يضل فيتصوره قوة من القوى كالدهر أو الطبيعة ،(٢) فيوغل في الضلال .

ويختلف مفهوم الموت والحياه بين المؤمنين بالإله الأحد الذى يحي ويميت وإليه المعاد ، وبين من لا يؤمن بذلك ولا يدين بدين الاسلام .

فالمؤمن بالله الذى لا إلٰه إلا هو يحي ويميت يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، يطمئن إلى قدر الله ، ويمضي في حمل التكاليف والواجبات دون هلع ولا جزع ، فالقدر كائن والموت والحياة بيد الله ، وكلٌ يعمل لما خلق له(٣) . فالحذر من الموت لا يجدي ، والفزع والهلع لا يزيدان حياةً ولا يمدان أجلاً ولا يردان قضاء ،

---

(١) انظر محمد قطب: دراسات قرآنيه ،ص ٣٦ / دار الشروق .
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) اصل الحديث في صحيح البخارى جاء فيه " اعملوا فكل ميسر لما خلق له " كتاب القدر ٢١٠/٧ .وسلم بشرح النووى : كتاب القدر ١٩٧/٨ واللفظ لمسلم .متفق عليه .

والله واهب الحياة وديعةً ، وهو مستردها متى شاء . وقديماً قال الشاعر قطري ابن الفجاءة[1] مخاطباً نفسه :

فإنك لو سألت بقاء يومٍ ... على الأجل الذي لك لن تطاعِ
فصبراً في مجال الموت صبراً ... فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عزٍ ... فيطوي عن أخي الذل الدراع

عندما تستقر هذه الحقيقة في ضمير المؤمن وحسه ، يصبح أمله متعلقاً في آخرته فيقدم نفسه رخيصةً في سبيل دعوة الله ، وإعلاء كلمته ، لا يرهبه جمع ولا يثنيه طمعٌ ، يمضي قُدُماً لنيل إحدى الحسنيين ، إما العيش سعيداً وإما الموت شهيدا .

أما الذي لا يؤمن بمعاد ولا يوقن بحساب ، فإن مفهوم الحياة لديه إنما هي هذه الحياة ولا حياة بعدها .[2] همه من دنياه إمتاع نفسه وإشباع شهوته ، لذا فإنه يحجم عن الإقدام في ساحات الوغى ، إلا إذا كان في بروجٍ مشيدةٍ ، ويجزع من الموت ، ولا يتمناه أبدا ، وهو أحرص الناس على حياة .

أما الذين تهمهم أنفسهم ، وينغمسون في هذه الحياة الدنيا ، فإن عناصر الإيمان لم تكتمل بعد في نفوسهم ، فهم سبب كل تخاذل وعامل كل هزيمة ، فلا نامت أعين الجبناء . ولو أدرك هؤلاء وهؤلاء أن الإقدام والإحجام لا يؤثران في القدر شيئا ،

---

(١) حنفي عبد الله حنفي ومحمد محرم : النصوص الادبيه للسنه الثانيه بالمعاهد العلميه ط/ ٢ مقررات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه عام/ ١٤٠٠هـ ص ٩٥ .

(٢) إلى ذلك يتوجه قوله تعالى " إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت وما نحن بمبعوثين " سورة الانعام آية /٢٩ .

وإنما العلة الحقيقية في الموت هي استيفاء الأجل وقدر الله ، وناموسه في هذا الكون ، لَمَا أحجم عن الإقدام جبان ولا تخاذل عنه إنسان . لهذا نجد الباريء سبحانه وتعالى يصحح تصور حقيقة الموت وحقيقة الحياة لدى الإنسان ، ويرد الأمر فيهما إليه ، فهو خالق الموت وخالق الحياة لحكمة الابتلاء والاختبار .[1] وعلمه في ذلك قديم . ووجه الابتلاء هو إحسان العمل في هذه الحياة الذى يأتي بعدها الموت والجزاء .[2]

وحيث أن الحياة معبر للآخرة ، فالموت باعث على الزهد فيها ، والعمل للحياة الآخرة ، وبالموت ينقطع عمل الإنسان ، إلا ما كان من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية أو علم ينتفع به .[3]

والموت سنة إلهية قضاها الله على الإنسان ، وإذا كان القياس العقلي أن يرد الموت بعد تقلب الإنسان في أطواره المختلفة من القوة والضعف حتى إذا عظم ضعف الإنسان جاءه الموت ، لكن إرادة الله تعالى جعلت الموت لا يرد على الضعيف فقط ، بل قد يأتي الموت على القوي والشاب بل على الصغير والطفل الرضيع ،[4] والجنين ، وهو بعد ذلك سنةٌ طبيعيةٌ أو نتاج طبيعي للحياة .[5] وقديماً قال الشاعر الجاهلي زهير ابن أبي سلمى المزني[6] :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

---

(١) تأمل قوله تعالى " الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور " الملك/ ٢ .

(٢) أرى أن حكمة الابتلاء هو احسان العمل في هذه الحياة أما وجه الابتلاء فهو وجود الانسان ومعرفته أنه تعالى هو الذى يحيه وهو الذى يميته وهو الذى يعيده واليه المعاد .

(٣) اصله حديث في صحيح مسلم بشرح النووى الوصيه ١١ / ٨٥ " إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقه جاريه أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " .

(٤) يشير إلى ذلك قوله تعالى " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا " سورة آل عمران آية ١٤٥ .

(٥) تأمل قوله تعالى " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " الاعراف ٣٤ .

(٦) شرح المعلقات السبع ص ٥٨ .

كما أخرج البخارى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل[١] . فلا راحة لمؤمن ، إلا بلقاء ربه .

والموت نهاية كل حي فلا ينفرد بالبقاء إلا الله[٢] . وهو ليس نهاية المطاف ، بل حلقة لها ما بعدها من حلقات : نشأة الانسان ، حياته ، فموته ، فنشوره ثم إلى الله المآب ، وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا صار أهل الجنه إلى الجنه وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنه والنار ثم يذبح ثم ينادي منادٍ ياأهل الجنة خلود لا موت وياأهل النار خلود لا موت "[٣] . فليست الحياة بلا غايةٍ ولا هدف ، أرحام تدفع وقبور تبلع ، وبين ذلك لهو وولع ، كلا ! بل كل منا له رسالة وله هدف ثم يوم القيامة يوفى الصابرون أجورهم " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز "[٤] وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الرقان ٧/ ١٧٠ .

(٢) يشهد على ذلك قوله تعالى " كل نفس ذائقه الموت " آل عمران آيه ١٨٥ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الرقاق ٧/ ٢٠٠ " الخلود في حديث أبي هريره " عن مسلم ١٧/ ١٨٤ . متفق عليه .

(٤) سورة آل عمران آية ١٨٥ .

المبحث الرابع : أثر القصة في الدلالة على وحدانية الله تعالى

سيقت القصة في القرآن الكريم لتحقيق أغراض دينيه بحته منها إثبات الوحي والرسالة ، وإثبتات وحدانية الله تعالى ، ومظاهر القدرة الإلهية[1] إلى غير ذلك من الأمور ، ومن تتبع النصوص القرآنية الواردة في السورة - موضوع الرسالة - يلاحظ أنه ليس ثمة سرد لكل وقائع القصة ولا كل ملابساتها ، بل يلاحظ أن ثمة مشاهد قصصية سيقت في السورة لتكون موضع العبرة وموضع التأثير ، فضلا عن دلالتها على تفرد الإله الحق بالألوهيه . وبهذا الأسلوب تنفرد القصة القرآنية بحيوية خاصة أهم سماتها أنها تدع للخيال فرصة أن تملأ الفجوة ما بين المشهد والمشهد .[2] ويلاحظ أن هذه المشاهد القصصية على ايجازها سائرة كلها في خدمة العقيدة - قضية الالوهية والربوبية - وتشير إلى أن جميع الأمم التي تم تدميرها وهلاكها كانت مستحقة لهذا التدمير وهذا الهلاك ، بسبب تكذيبها لرسلها ، وإقامة الحجة عليها بالمعجزات الحسية الخارقة للعاده والدالة على صدق الرسل ، وأنهم مرسلون من قبل الاله الخالق المبدع لهذا الكون ، المستحق أن ينفرد بالعبادة ، وعدم الاشراك به شيئا ، كما نجد أن هدف هذه الصور القصصية يتمثل في التأثير الفعال الذى يحدث في نفوس المدعوين من الهلع والفزع من جراء تكذيب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن يأتي بعده من الدعاة ، وأنه سيحل بهم من الهلاك والتدمير في الدنيا والنكال والوبال في الآخرة ما حل بالمكذبين من الأمم التي سبقتهم .[3]

---

(١) انظر سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص ١١١ .
(٢) انظر محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٢٨ .
(٣) انظر المراغي : التفسير ١٩ / ١٥ .

من هذا يتبين أن القصص في القرآن الكريم - كما له أثر في الدلالة على وحدانيـــة الله عز وجل - وسيلةٌ للدعوة ، وطريقٌ للتأثير والارشاد . وقد صور فضيلة الشيخ منـــاع قطان هذه الفكرة أصدق تصوير بقوله " إن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغـف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر وتسترسل مع سياقها المشاعر ، فلا تمل ولا تكد ، ويرتاد العقل عناصرها ، فيجني من حقولها الأزاهير والثمار "[1] ثم يتابع فضيلتـــه فيقول " والقصة إذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين ، كان حب الاستطـــلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس "[2] وعدا ذلك فإن

ما ورد في سورة الفرقان من صور قصصية لبعض الرسل مع أقوامهم كان تسليةً لنبيـــه صلى الله عليه وسلم ، وتثبيتـــا لقلبه وتطميناً له ، أن الله غالب على أمره ولو كـــره الكافرون ، وعبرةً فيما انتهى إليه أمر أولئك المعارضين من التدمير والتقويض .[3]

فقصة موسى عليه السلام وما انتهي إليه امر فرعون وجنوده من الغرق ونجاة موسى عليـــه السلام ومن آمن معه من بني إسرائيل " ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هـارون وزيرا ، فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ".[4] وقصة نـــوح مع قومه الذين كذبوا الرسل وما آل إليه أمر قومه من الغرق ونجاة نوح عليـه السلام ومـــن معه من المؤمنين في الفلك المشحون " وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلنـــاهم

---

(١) مناع قطان ، مباحث في علوم القرآن ص ٣١١ ط/٤ - / مؤسسة الرساله .
(٢) المصدر السابق ص ٣٠٥ .
(٣) انظر ابن جرير : جامع البيان ١٩/٩ وتفسير الرازى ٢٤/٨٠ وهامش جامع البيـــان ١٩/١٣ وتفسير المراغي ١٩/١٥ وتفسير سورة الفرقان للبهي ص ٢٦ .
(٤) سورة الفرقان الآيات : ٣٥-٣٦ .

للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا أليما "[١] .

وعلى غرارهم قوم عاد وثمود وأصحاب الرس وأمم غيرهم أهلكهم الله بذنوبهم ونجّى رسلهم " وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا . وكلاً ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا "[٢] .

هذه المشاهد القصصية على إيجازها تحكي قصص صراع طويل بين الحق والباطل بين الوحدانية والشرك ، دام في بعضها ألفاً إلا خمسين عاما . وحيث أن المقام هنا مقام تذكير وزجر وعظة لم يورد سبحانه من هذه القصص إلا ما يناسب المقام .[٣] أما قوله سبحانه عن قوم نوح " كذبوا الرسل " ولم يرسل لهم إلا رسولا واحدا هو نوح . فإن في تكذيب الرسول تكذيب لكل الرسل .[٤] على أن هذه القصص بمجموعها إمارات واضحة من الله سبحانه أنه هو الذي أرسل الرسل لهداية البشرية وأنه على نصر رسله لقدير .

أما ما حل بالأقوام من تدمير وهلاك فكان ذلك عبرةً لقومه المشركين ، ومن على شاكلتهم حتى لا يحل بهم من العذاب ما حل بمن قبلهم من الأمم إذا أصروا على بغيهم وعتوهم .[٥]

ثم يعقب عز وجل على هذه القصص بقوله " ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا "[٦] إن مشركي مكة ومن حولها قد أتاحت لهم فرصة التجارة مع الشام أن يمروا بتلك القرية المعروفه من قرى لوط وهي قرية سدوم أن يمروا

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٧ .
(٢) سورة الفرقان الآيات : ٣٨ - ٣٩ .
(٣) انظر ابن جرير : جامع البيان ١٩/٩ وتفسير المرازى ٢٤/٨٠ والنيسابورى : هامش جامع البيان ١٩/١٣ وتفسير المراغي ١٩/١٥ .
(٤) انظر القرطبي : جامع لاحكام القرآن ١٩/٣٠ وهامش جامع البيان ١٩/١٣ ١.
(٥) انظر الامام الرازى : التفسير ٢٤/٨٠ وما بعدها والنيسابورى : هامش جامع البيان ١٩/١٣ والامام المراغي : التفسير ١٩/١٥ وما بعدها ود . البهي : تفسير سورة الفرقان ص ٢٦ وما بعدها .
(٦) سورة الفرقان آية : ٤٠ .

آثار التدمير ومصارع الغابرين كلما مروا عليها أثناء غدوهم ورواحهم ، وكان مقتضى اطلاعهم على آثار التدمير والتخريب الذي أصابها بجعل عاليها سافلها أن يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويقروا بدعوته بدلاً من معارضتهم إياه والإمعان في المعارضة[1] .

ويقرر سبحانه أن السبب في معارضة هؤلاء المشركين أنهم لا يؤمنون بمعاد ولا حساب ولا يوقنون بثواب ولا عقاب. لهذا لم ينظروا إلى آثار عذاب الله نظرة عبرة واتعاظ.[2]

كذلك نلاحظ أن هذا القصص وإن كان للعبرة والعظة ، فإن فيه أيضا تسلية للدعاة وتثبيتاً لأفئدتهم وتطميناً لنفوسهم ، وأنهم ليسوا بذلك بدعا بل كذب غيرهم من الرسل والدعاة كثير ، وإلى هذا يتوجه فيما نحسب قوله تعالى " وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين "[3] .

كذلك تأتي القصة أحيانا للتأسي بمن سلف من الأنبياء والدعاة ، والتيقن من نصر الله وما عليهم إلا أن ينتظروا النصر بعد الصبر . ويلاحظ أن غالب قصص القرآن يشير إلى انتصار الدعاة على مناوئيهم ، وذلك أدعى للنشاط وأبعد عن اليأس والخذلان .[4]

وأحيانا تأتي نهاية القصة على وجه الاستفهام . والاستنكار - وإلى هذا يتوجه قوله تعالى " أفلم يكونوا يرونها .. ؟ بل كانوا لا يرجون نشورا "[5] - لتوقظ أسماع وأفئدة

---

(١) انظر الرازى : التفسير ٢٤/٨٠ .
(٢) انظر جامع البيان ١٩/١١ ، وتفسير الرازى ٢٤/٨٠ ، وهامش جامع البيان ١٩/١٣ وتفسير ابن كثير ٣/٣١٩ ، وتفسير المراغي ١٩/١٥ .
(٣) سورة هود الآية : ١٢٠ .
(٤) انظر احمد غلوش : الدعوة الاسلاميه ص ٢٩٤- ٢٩٥ .
(٥) سورة الفرقان آية ٤٠ .

المخاطبين لأحداث القصة ، وما فيها من وعيد شديد فيعتبروا ويتعظوا ، أو يقعوا ويمضوا في الغواية .[1]

بهذا المنهج الرباني قرر سبحانه وتعالى إفراد الله بالعبادة ، ودعا البشرية إلى الإرتقاء في تفكيرها وتوجيه الشكر إلى المنعم المتفضل عليها . وعدم الارتكاس في حمأة الشرك والوثنية وبذلك ترتفع إلى مرتبة العبودية التي شرفها الله سبحانه بها . وتكون خير أمة أُخرجت للناس . تأمر بأمر الله وتنهى عن محذور الله .

---

(١) انظر د . أحمد غلوش :الدعوة الاسلاميه ص ٢٩٢ .

الفصل الثالث

الدعوة إلى الإيمان باليـــوم الآخـــــــر

وفيـه مبـــاحث :

المبحث الأول : تقرير الايمان باليوم الآخر .

المبحث الثاني : رد شبه الجاحدين لليوم الآخر .

المبحث الثالث: العذاب الشديد لمنكرى البعث .

الفصل الثالث

" الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر "

المبحث الأول - تقرير الإيمان باليوم الآخر :

بعد أن تكلمت السورة عن الأصل الأول ، وجود الله ووحدانيته تعالى ، شرعت تبين الأصل الثاني وهو الإيمان باليوم الآخر ، وبالبعث بعد الموت ، والحشر والنشر ، والحساب ثوابا أو عقابا . والإيمان باليوم الآخر يختلف عن الإيمان بالله سبحانه ، ذلك أن الإيمان بالله سبحانه فطري[1] وعام في بني آدم إلا من شذ من الملاحدة والدهريين ، منحرفي الفطرة السليمة بخلاف الإيمان باليوم الآخر والحشر والنشر ، فإن منكريه كثيرون وفي جميع الملل والنحل عدا الملة الحنيفية السمحة[2] ، لأن الإيمان باليوم الآخر أصل من أصولها ، وأي جحود لأصل من أصولها يعتبر خللا في العقيده يستوجب الكفر . ومن الغرابة أنهم جعلوه من المستحيلات . وعدوه من الأساطير ، حتى قال قائلهم " حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو "[3]

وإن في قول شداد بن أوس وهو يرثي قتلى بدر من المشركين وتهكمه بما أنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليه ما يُبين مدى جحودهم وانكارهم للبعث .

---

(١) انظر المبحث الثالث من الفصل الثاني خصائص الألوهيه ص ٤٧ .

(٢) انظر قاضي القضاة العلامه صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - شرح الطحاويه . تحقيق أحمد محمد شاكر ص ٣٥٩ .

(٣) انظر محمد نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهلية ص ١١٢ ط/ ١ مطبعة السعادة بمصر ١٣٤١هـ ، والالوسي : بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ط/ ٢ ، ١٩٨/٢ تحقيق محمد بهجت الاثرى .

أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام ؟
أتقدر أن ترد الموت عني وتحييني إذا بليت عظامي " .(١)

ومجيء اليوم الآخر أمر أجمعت الرسالات السماوية على تأكيده وإتيانه ، وما خلا نبيّ إلاّ حذر قومه من عذاب يوم عظيم وهو اليوم الآخر ،(٢) فالإيمان به جزء من العقيدة الإسلامية ، وركن من أركانها ، لا تتم إلا به ، ولا يسود الخير والأمن في الدنيا إلا على أساس الإيمان به .(٣)

والإنسان السوى السليم الفطرة يشعر أن هذه الدنيا لها ما بعدها ، فهي ليست مجرد أرحام تدفع وقبور تبلع وبين ذلك لهو وولع ، بل إن مابعدها أمور جسام تروع ، فقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من حوسب يوم القيامة عذب " فقلت أليس قال الله عز وجل " فسوف يحاسب حسابا يسيرا " فقال ليس ذاك الحساب ، إنما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب " .(٤) وقد ذكر القرطبي في تفسيره " أن عدي بن ربيعه قال للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني عن يوم القيامه" متى تكون ؟ وكيف أمرها وما حالها ؟

---

(١) انظر المصدر السابق محمود شكرى الالوسي : بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ١٩٨/٢ .

(٢) ورد مثلا على لسان شعيب قوله تعالى " ويا قوم اعبدوا الله وأرجو اليوم الأخر " العنكبوت : ٣٦ . وورد على لسان ابراهيم " وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر " البقره : ١٢٦ . والآيات فى ذلك كثير .

(٣) وإلى ذلك يتوجه قوله تعالى " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " الأعراف/ ٩٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الجنه ٢٠٨/١٧ والبخارى كتاب العلم ٣٤/١ ، وابو داود والترمذى في التفسير متفق عليه ، ويؤيد ذلك قوله تعالى " يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه . فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول ها أوم اقرءوا كتابيه إلى قوله تعالى : وأما من أوتى كتابه بشماله . فيقول ياليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه " الحاقه الآيات : من ١٨ - ٢٦ .

فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدق يا محمد ولم أومن به ...! أويجمع الله العظام ؟! ، فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعه والأخنس بن شريق " وفيهم نزلت هذه الآيات[1] " أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه[2] ".

فالإيمان باليوم الآخر تستوجبه هذه الحياة الدنيا ، فهو حلقةٌ في سلسلةِ البعث إحداها ولو لم يكن ثمة بعثٍ ولا حسابٍ لأصبحت حياتنا عبثًا ، والله منزه عن العبث[3].

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر وما يتضمنه من بعث وحشر ونشر، وحساب وثواب وعقاب . واعتبره أحد أركان العقيدة الإسلامية ، والإيمان به شرط حتمي للإيمان ، فلا يقبل إيمان امرئ بدونه . كما أفاض القرآن الكريم في وصف اليوم الآخر ، وبيان أحواله وأهواله وما يجرى فيه من أمور تشيب لها الولدان ، من نفخٍ وبعثٍ وحشرٍ وحسابٍ وثوابٍ وعقابٍ ، وجنةٍ أُعدت للمتقين الأبرار ، ونارٍ أعدت للمجرمين الفجار، وقد تعدد في القرآن الكريم أسماء اليوم الآخر فهو يوم القيامه،ويوم الخلود ، ويوم الحساب والعقاب ، ويوم الدين ، ويوم البعث ، والحشر والنشر إلى غير ذلك من الاسماء.

وقد ذكرت سورة الفرقان - موضوع البحث - اليوم الآخر في بضع آيات حسب ما يقتضيه السياق :

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ١٩/٩٢ .

(٢) سورة القيامه آية ٣ - ٤ .

(٣) القرطبي : تفسير الجامع لأحكام القرآن : ١٩/٩٢ ط/١ دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ وإلى ذلك يتوجه قوله تعالى : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون " المؤمنون آية ١١٥ .

١ - في معرض التنديد باتخاذ المشركين آلهة مجردة من كل خصائص الألوهية يقول عز وجل " واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشورا " (١).

٢ - في بيان حقيقة موقف المشركين من وحدانية الله سبحانه وتعالى وموقفهم من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد يبين سبحانه وتعالى أن السبب في شركهم وجحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو أنهم لا يوقنون بالبعث ولا يصدقون بالثواب والعقاب . يقول عز وجل " بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا " (٢).

٣ - في معرض بيان حشر المشركين مع ما يعبدون من دون الله ، وبيان المآل الذي يؤول إليه حالهم ، وهو الهلاك ، يقول عز وجل " ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل " (٣).

٤ - وفي معرض جحود المشركين لليوم الآخر وعدم الخشية من الله يقرر سبحانه أن منشأ هذا الجحود ، هو الاستكبار والتطاول على الله ، وفي ذلك يقول سبحانه " وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا " (٤).

---

(١) سورة الفرقان آية ٣ .
(٢) نفس السورة آية ١١ .
(٣) نفس السورة آية ١٧ .
(٤) نفس السورة آية ٢١ .

٥ - وفي معرض وصف اليوم الآخر ، وما يحصل فيه من تصدع السماء واختلال نظام الكون ، يقول عز وجل " ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزِّل الملائكة تنزيلا . الملك يومئذٍ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيرا " .(١)

٦ - في بيان الصورة التي يحشر عليها المشركون ، والمكان السيء الذي يؤولون إليه في جهنم . يقرر سبحانه " الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شرٌّ مكاناً وأضل سبيلا " .(٢)

٧ - في معرض بيان عدم اعتبار المشركين واتعاظهم وهم يرون مصارع الأقوام الغابرة وما حل بهم من الدمار يقول عز وجل " ولقد أتوا على القرية التي أُمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا " .(٣)

٨ - وفي معرض التنديد بمن يفعل شيئا من المحظورات في هذه الحياة ، يبين سبحانه أنه ليس فقط سيضاعفُ له العذاب المهين، بل الخلود فيه أيضا ، يقول سبحانه " يضاعف له العذاب يوم القيامه ويخلد فيه مهانا " .(٤)

٩ - في معرض بيان النعيم المقيم الذي أعده سبحانه وتعالى لعباده المتقين وحسن وفادتهم ، وطيب نزلهم ، يقول سبحانه " أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيةً وسلاما " .(٥)

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٥ - ٢٦ .
(٢) نفس السورة آية ٣٤ .
(٣) نفس السورة آية ٤٠ .
(٤) نفس السورة آية ٦٩ .
(٥) نفس السورة آية ٧٥ .

وقد جاء ذكر اليوم الآخر في السنة النبوية المشرفه :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج قالوا وما الهرج يارسول الله ؟ قال : القتل القتل "[1] .

٢ - عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال: طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة . قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم . ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم " .[2]

٣ - وعن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تقوم الساعة حتى يَحْسِرَ الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذى أنجو " .[3]

٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن ١٨ / ١٣ .
(٢) صحيح مسلم . كتاب الفتن ١٨ / ٢٨ " بشرح النووى " .
(٣) صحيح مسلم . كتاب الفتن ١٨ / ١٨ " بشرح النووى " ، يحسر : ينكشف " القاموس المحيط ٢ / ٨ .

على فخذه وما قاله " قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " ...[1] الخ الحديث .

٥ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ... ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة "[2] إلى غير ذلك من أحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وقد دعا القرآن الكريم إلى إعمال الفكر والنظر وتدبر آيات الله في هذا الكون . على نطاق واسع شامل ، للتعرف على أصول العقائد الثلاث التي ظل ثلاثة عشر سنة في مكة يدعو الناس إليها ويربي المؤمنين عليها وهي : توحيد الله ربا ومعبودا، والإيمان باليوم الآخر ، وتقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ولعظم هذه الأصول استمرت الدعوة إليها حتى في العهد المدني ، واستمرت التساؤلات : ما هو المصير الذي يؤول إليه الفرد ؟ وما هو مصير الأقوام الذين خلو من قبل ؟ حتى يتحاشى ما أصابهم من سوء ، بل ما هو نهاية هذا العالم ؟ هل إلى العدم والزوال ؟ أم إلى حياة أخرى يلقى فيها المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته ؟ .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الايمان ١/١٥٧ .

(٢) المصدر السابق : كتاب الاماره ١٣/٦٨ .

وحيث أن العقول والأفهام مختلفة في إدراك الحقيقة ، بل قاصرة عن إدراك كثيرٍ من الحقائق ، لذلك لم يكل القرآن الكريم أمر الإيمان بهذه القضايا الثلاث إلى العقل وحده . لأن العقل كثيرا ما يقف عاجزا عن إدراك بعض المسائل العادية . ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا أنه إلى الآن ، لم يعرف بعد كيف تتم عملية التفكير .(١) لذلك لا غرابة أن يخاطب القرآن الكريم الروح والوجدان والعقل لتقرير هذه القضايا ولا يهمل واحدة من هذه المنافذ - الروح والوجدان والعقل - تؤدي إلى الإيمان(٢) بالله .

والقرآن الكريم في معظم دعواته لتقرير الإيمان باليوم الآخر ، لم يجادل العرب المنكرين للبعث بالمنطق الذهني المجرد ، وإنما أثار الوجدان وخاطب الافئدة والجَنَان ، ليكون ذلك أدعى للإيمان .

ولدى استقراء شبهات المنكرين لليوم الآخر في سورة الفرقان نجد أن هذه الشبهات تكاد تكون واحدة ، في جميع الأقوام والأمصار والأزمان ، وكلها تنصب على أن عقيدة اليوم الآخر كذب وأساطير الأولين . وأن هذه العظام الرميم لا يمكن احياءها بعد أن رمت وبلت . . ! وقد دحض سبحانه هذه الشبه بالأدلة العقلية والوجدانيه ، وذلك بأن يعرض صور الجاحدين وهم في النار بتصوير دقيق بارع ينفذ إلى القلب حتى لكأن الكفار يعيشون ساعتهم في عالم الآخرة ، وفي هذا التصوير البارع أعظم زاجر لهؤلاء الذين هم في غيهم سادرون،(٣) وعن الآخرة معرضون . لنتأمل قوله تعالى :

---

(١) انظر محمد قطب : دراسات قرآنيه ص ٧٠ وانظر الفصل الثالث تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ص ١ وما بعدها .

(٢) انظر المصدر السابق . نفس الصفحة .

(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

" بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا . إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا "[1] ما هذا المصير الأسود المظلم المعد لأولئك المكذبين باليوم الآخر بحيث أنهم يسمعون تغيظ النار وزفيرها ، حنقاً عليهم وغيظاً منهم ، ويزداد روعهم أنهم إذا ألقوا فيها وأيديهم مشدودة إلى أعناقهم أو مقرنين مع شياطينهم نادوا بالثبور وعظائم الأمور . وليس ثمة أشدّ من الموت إلا ما يطلب معه الموت .

هذه الصورة المفزعة المخيفة التي ترسمها الآيات لمن كذب بالساعة لا تدخل في جدل ذهني جاف مع أولئك المنكرين ، لليوم الآخر ، لأنه حقيقة واقعة لا جدال فيها ، بل تقتحم عليهم أفكارهم ، وتعرض صورهم في السعير ، هذه الطريقة في مواجهة المكذبين بالساعة والمنكرين للبعث وعرض صورهم عليهم في نار جهنم لها تأثير وجداني كبير تأخذ بمجامع قلوبهم فيقتنعون اقتناعا وجدانيا بحقيقة البعث والجزاء[2]، إذ ليس ثم سبيل آخر لدحض مثل هذه الشبه القائمة على التعنت غير سبيل الاقناع العقلي والوجداني .[3]

لنتدبر قوله تعالى : " قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولا "[4]. ازاء المصير المزري المهين لأولئك المنكرين للبعث يعرض سبحانه مصير المتقين الذين يؤمنون

---

(١) سورة الفرقان الآيات ١١ - ١٣ .
(٢) انظر محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٧٣ .
(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٤) سورة الفرقان آية ١٥-١٦ .

بالله ربا ومعبودا . وباليوم الآخر جزاء ومصيرا .

هذه الطريقة في عرض صور المشركين وهم محشورون على وجوههم إلى جهنم ، وعرض صور للمؤمنين وهم في روضة يُحبرون ، إنما هو عرض للحقائق وبيان للمصير فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فقد أعد سبحانه جهنم للكافرين نزلا ، كما أعد الجنه للمتقين نزلا .

هذا المنهج الرباني في عرض مآل الكافرين والمتقين له تأثير كبير على الوجدان والعقل ، فالإنسان في مثل هذه الأحوال ، يجرى مقارنه خفيه بينه وبين الأثر المتوقع لكلا الإتجاهين ، متأثراً بعوامل الخوف والرجاء ، فإن كان خيرا تمنى المزيد منه وإن كان شرا تمنى أن يكون بمنجاةٍ منه ، ومن هنا يدخل التأثير في قلوب المعاندين والمكابرين حين يرون أمثالهم يعذبون في نار الجحيم ، ويرون المؤمنين يرفلون في النعيم . فينسون في غمرة التأثير إنكارهم للبعث ، فتلين قلوبهم وتخضع للتسليم[1] ، أو يمعنون في الضلال البهيم .

---

(١) انظر محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٧٤ .

المبحث الثاني : رَدُّ شُبَهْ الجاحدين لليوم الآخر ببيان قدرة الله على الإحياء :

تكاد تكون شبه الجاحدين لليوم الآخر واحدة في جميع الاقوام والأمصار والأزمان . وكلها تنصب على أن البعث كذب وأساطير الأولين ، وأن هذه العظام الرميم لا يمكن إحياءها بعد أن أرمّتْ وبَلِيَتْ ، وأن إعادة الحياة إليها أمر مستغرب . وقد أوردت هذه الشبه في مبحث تقرير الإيمان باليوم الآخر .

فلا غرابة أن يُبيّن القرآن الكريم اليوم الآخر بياناً لا يوجد في شيء من الكتب السماوية السابقة عليه ، للرد على هذه الشبه ، وبيان تفاهتها وتناقضها مع السنن الكونية لهذه الحياة .[1] لهذا ظنّ بعض المتفلسفين ونحوهم ، أنه لم يُفصح بمعاد الأبدان إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك جعلوا هذا الإفصاح حجةً لهم وقالوا عنه أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري .[2] وهذا كذب فإن معاد الأبدان وبعثها قضية معروفة عند الأنبياء من لدن آدم عليه السلام ، إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . والقرآن الكريم شاهد على ذلك .

فحين أُهبط آدم قال له تعالى " ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين "[3] . وجاء على لسان نوح قوله تعالى " والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا "[4] وجاء على لسان إبراهيم قوله تعالى " والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين "[5] . وجاء على لسان مؤمن آل فرعون قوله تعالى " ويا قوم إني أخاف

---

(١) انظر العلامه صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز : شرح الطحاويه ص ٣٥٩ ، تحقيق أحمد شاكر طبعه ١٣٩٦ جامعة الامام محمد بن سعود .

(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) سورة البقرة آية ٣٦ .

(٤) سورة نوح آية ١٧ - ١٨ .

(٥) سورة الشعراء آية ٨٢ .

عليكم يوم التناد "[١] ، وأخبر سبحانه عن أهل النار فقال لهم على لسان خزنتها " ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين "[٢] ، وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم بأن الرسل أنذرتهم يوم البعث والحشر والنشر . وجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه . إلى هذا الحد من الغرابة كانوا يتلقون حكاية اليوم الآخر ، والبعث والجزاء والحساب . فكيف جاد لهم القرآن الكريم في هذا الشأن العجيب ؟ لقد عرض عليهم صور الخلق الظاهرة والخفية ، وبسط لهم نشأة الحياة في الأرض عامة وفي الإنسان خاصة ليروا أن الذي بدأ الخلق يستطيع أن يعيده كما بدأه أول مرة "[٣] أفعيينا بالخلق الأول ؟ بل هم في لبس من خلق جديد "[٤] . بهذه الطريقة التصويرية الفذة أخذ القرآن يعرض عليهم مشاهد مألوفة محسوسة من واقع هذا الكون وهذا الإنسان ، يدركها شعورهم ووجدانهم .

أ - ففي الإستدلال بخلق الإنسان إبتداءً ، يوجه سبحانه وتعالى النظر إلى إثبات قدرته على الإحياء بعد الإماته ، التي ينكرونها بما يشاهدونه في أنفسهم من بدء خلقهم أطوارا في بطون أمهاتهم بعد أن كانوا عدما ، ثم تقلبهم في أطوار الحياة من ضعف إلى قوة ومن قوة إلى ضعف ، إلى حين توافيهم منيتهم .

---

(١) سورة غافر آية ٣٢ .
(٢) سورة الزمر آية ٧١ .
(٣) انظر التصوير الفني ص ١٧٥ ، وهذا ما يسمى بدليل الإبداء .
(٤) سورة ق آية ١٥ .

فالذى بدأ هذا الخلق من طور إلى طور بعد أن كانوا عدماً قادر على إعادته وإحيائه ، بل هو أهون عليه " وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه "[1] فقد أحتج سبحانه بالإبداء على الإعادة ، وبالنشأة الأولى على النشأة الآخرة وهذا ما يسمى بدليل الإبداء والإعادة . " قل يحييها الذى أنشأها أول مرة "[2] وهذا ممكن عقلا لأن من قدر على هذه ، قدر على هذه ، ولو عجز سبحانه عن النشأة الآخرة لكان عن الأولى أعجز ، ولما استلزم الخلق قدرة الخالق على المخلوق[3] وفي تقدير الناس أن بدء الخلق أصعب من إعادته ، فما لهم يرون الإعادة عسيرة على الله ، وهي في طبيعتها أهون وأيسر ، لأن البدء إيجاد من العدم ، والإعادة ايجاد من الإبادة . وهو بالنسبه إلى قدرة الله واحد ، لا شيء أيسر ولا شيء أصعب وإنما أمره لشيء " كن فيكون "[4].

وإن في الهدي النبوى صلوات الله وسلامه عليه ما يؤيد ذلك ، فقد أخرج البخارى في بدء الخلق بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال : " وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني "

---

(١) الروم آية ٢٧ .
(٢) سورة يس آية ٧٩ .
(٣) انظر شرح الطحاويه ص ٣٦٢ .
(٤) سورة يس آية ٨٢ .
(٥) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق ٤ / ٧٣ .

ب - كذلك يعرض سبحانه دلائل البعث من أطوار الحياة في جنين الإنسان والحيوان وحياة النبات مسجلا وجه التشابه بين أبناء الحياة . وإلى هذا يتوجه قوله تعالى " ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقه لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " .[1] فالإنسان ابن الارض ابن التربة الميتة ، ليس في جسمه عنصر إلا له نظير في أمه الارض ، عدا عنصر النفخة الإلهية التي ميزته عن عناصر التربة التي تكوّن منها ، ثم تكون من نطفة ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة . هذه النقلة الضخمة من عناصر التراب الأوليه إلى الخلايا المنويه الحية ، تضمر في طياتها السر الأعظم سر الحياة .[2] التي لا يعلمها إلا الله ، ثم سر تحول النطفة إلى علقة والعلقة إلى مضغة والمضغة إلى انسان .

فما هو سر تلك النطفة ؟! إنها ماء الحياة ماء الرجل يقذفه في فرج المرأة فيأتي حيوان واحد من الحيوانات المنوية الذى يلقح البويضة من ماء المرأة فتعلق في جدار رحم المرأة بقدرته تعالى " وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا "[3] هذه النطفة التي لا ترى بالعين المجردة يكمن فيها جميع خصائص الإنسان وصفاته الجسدية والعقلية والعصبية والنفسية ، وما له من ميول ونزعات

---

(١) سورة الحج آية / ٥ .
(٢) انظر سيد قطب ، الظلال ٤ / ٢٤٠٩ .
(٣) سورة الفرقان آية ٥٤ .

وطباع واتجاهات واستعدادات ، تتحول بزمن محدود إلى مخلوق بشري معقـــــد ، مروراً بقدرته تعالى على وفاته التي هي نهاية كل حي[١] .وهي أشبه ما تكون بحيـــــاة النبات عندما يصيب الماء الأرض ، فيبعث فيها الخصب والنماء . والماء في كلا الحالين رسول الحياة " وجعلنا من الماء كل شيء حي[٢] " فحيث يكون تكون الحياة ، ثم تصـــل هذه الحياة إلى مرحلة التفرق والتلاشي ، إلى الموت والفناء ، فإذا كانت هذه هـــي الحقيقة وأنها من السنن المطردة[٣] وأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الله الحق وبيـــن هذا الاطراد والثبات في النشأة والحياة ، وأن الله يحي الموتى ويعيد إليهم الحيـاة ليلاقوا ما يستحقونه من جزاء ، إن خيرا فخير ، وان شرا فشر .

فهذا البعث تقتضيه حكمة الخلق ، وإلا أصبحت الحياة عبثاً والله منزه عـــــن العبث . ولأجل أن يبلغ الإنسان كماله الممكن الذي لم يبلغه في هذه الحياة .

يقول صاحب الظلال رحمه الله في التعقيب على الأطوار التي يمر بها الجنـــين ليبلغ الكمال " إن هذه الأطوار التي يمر بها الجنين ثم يمر بها الطفل .... لتشـــير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكـــن في دار الكمال ، إذ أن الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض فهو يقف ويتراجـــع " لكي لا يعلم بعد علم شيئا "[٤] فلابد من دار أخرى يتم بها تمام الإنسان .

---

(١) انظر : سيد قطب ، الظلال ٤/٢٤٠٩ .
(٢) سورة الانبياء آية ٣٠ .
(٣) " السنن المطردة :المتتابعة ، اطرد الامر : بتع بعضه بعضا " القاموس المحيط ١/٣١٠ .
(٤) سورة الحج آية ٥ .

فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجه ، فهي تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعاده . وهي تدل على البعث لأن الإراده المدبره تكمل تطوير الإنسان في الدار الأخره "[١] ثم يتابع صاحب الظلال فيقول :

" وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعاده ، ونواميس الحياة والبعث ، ونواميس الحساب والجزاء ، وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر الذى ليس في وجوده جدال"[٢] ولا في الإعادة بعد الإبادة محال .

جـ - كذلك يعرض سبحانه دلائل البعث من إخراج الحى من الميت وإحياء الأرض بعد موتها . وإلى هذا يتوجه قوله تعالى " يخرج الحيَّ من الميت ، ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون "[٣] ففي كل لحظه يتم هذا التحول ، يخرج حي من ميت ويخرج ميت من حي ، وفي كل لحظه يتحرك برعم من جوف حبة أو نواة أصابها الماء فيفلقها ويخرج إلى وجه الأرض ، وفي كل لحظه تجف نبته أو تموت شجرة بعد أن تستوفي رزقها وأجلها فتتحول إلى هشيم تذروه الرياح . ومن خلال الهشيم والحطام توجد الحبة الجديدة الساكنة المتهيأة للإنبات والحياة .[٤] وفي كل لحظة تدب الحياة في جنين إنسان أو حيوان نشأ من نطفة أو طائر نشأ من بيضة . إنها دورة دائبة عجيبة إذ يرى فيها الإنسان الواعي الحياة والموت يخرج هذا من هذا ويخرج هذا من هذا " وكذلك تخرجون "[٥] .

ووجه المقابلة هنا بين النطفة والحبة والبيضة كل منهم هامد ميت، والإنسان والحيوان والطيور كل منهم حي متحرك .[٦]

---

(١) سيد قطب : الظلال ، ٤/ ٢٤١١ .
(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٣) سورة الروم آية ١٩ .
(٤) انظر المصدر السابق ٥/ ٢٧٦٢ .
(٥) سورة الروم آية ١٩ .
(٦) المصدر السابق نفس الصفحة .

د - كذلك يوجه سبحانه النظر إلى الإستدلال على اليوم الآخر بخلق السموات والأرض ، والرياح والمطر . تأمل قوله تعالى " أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يُحيي الموتى . بلى إنه على كل شيء قدير "[١] يقول في ذلك الشيخ عبد الرحمن حبنكه الميداني " من المعلوم بالبداهة الحسية أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس "[٢] . هذه اللفته الكريمة من الله سبحانه إلى هذا البناء الشامخ الذى رفعه بغير عمد وإلى هذه الأرض المبسوطة التي أوجد فيها من كل شيء زوجين اثنين ولم يعي بخلقهن . يوحي للحس البشري بقدرة الله على الإعادة بعد الإبادة ، وبالإحياء بعد الممات . وأن العجب كل العجب من شك المتشككين ، وجحود المنكرين ، بعد وضوح الأدلة . فالذى أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وعجيب خلقهما ، أقدر على أن يحي عظاما رميت وبلت " أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد "[٣] .

كذلك لنتأمل قوله تعالى " وهو الذى أرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا . لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا . ولقد صرفناه بينهم ليذكروا . فأبى أكثر الناس إلا كفورا "[٤] .

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٣ .
(٢) صراع مع الملاحده ص ٢٠١ ط/١ دمشق دار القلم سنه ١٣٩٤هـ .
(٣) سورة ق آية : ١٥ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٤٧ - ٥٠ .

في هذه الآيات الكريمات نجد سبحانه وتعالى بعد أن أقام الدليل العقلي أنه هو خالق الكون ومرسل الرياح المبشرات بالمطر . ومنزل الماء الطهور ، ومحيي الأرض الجدبة بعد موتها أردفه ببيان أنه قادر على إحياء الموتي وبعثهم من قبورهم ، كما بينا في الأمثلة السابقة ، لكنه سبحانه لا يورد هذه القضايا بشكل منطقي جاف . ولا يحصره في محيط العقل بل يثير معه الوجدان لتكتمل معرفة الله سبحانه عقلياً ووجدانياً .[1]

هـ - كذلك يوجه سبحانه النظر إلى قدرة الله على الإعادة بعد الإبادة بالاستدلال بقضيتين تكررتا كثيراً في حياتنا اليوميه ولكننا في غفلة عنهما وهما :

١- اليقظة بعد النوم .

٢- وانبات الزروع

١ - الاستدلال باليقظه بعد النوم :

يقول عز وجل " وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا "[2] يتبين من قوله تعالى " النوم سباتا " أن النوم ما هو إلا نوع من الموت أو هو أخو الموت ، لأن النائم يشبه الميت الذي فارقت روحه جسده . لأن أجهزة الاستقبال والتلقي والحركة متعطلة لديه لفترة معينة لا يعرف عنها الإنسان النائم شيئا " وهو الذي يتوفاكم بالليل "[3] واليقظة بعد النوم تشبه البعث بعد الموت . ويعتبر النوم موتة صغرى ، تأمل قوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت في منامها .

(١) انظر دراسات قرآنية / ٧٣ .

(٢) سورة الفرقان آية ٤٧ ، " والسبت : الراحه وتأتي بمعنى الدهر وضرب العنق " القاموس المحيط ١٤٨/١ . ويقول الامام الرازى " تفسيره بالموت أولى من تفسيره بالراحه لأن النشور في مقابله بأباه " تفسير الرازى ٨٩/٢٤ .

(٣) سورة الانعام آية ١٠ .

فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "[١] فالله سبحانه يعتبر النوم موت،وأن الله سبحانه يتوفى الأنفس وفاة ظاهرية عند النوم ووفاة كلية عند الموت . فيمسك الذي قضى عليها الموت ولا يردها إلى البدن . ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى عند اليقظة ."[٢] فالموت كذلك ما هو إلا مرحلة يغيب فيها الإنسان عن الوعي وتتعطل حركته وتتوقف اجزاؤه ويتحول إلى جثة هامدة . وهذه الفترة برزخيه لأن الله يبعثه مرة أخرى ويعيد إلى جسده الحياة للعرض والحساب وهذه فترة النشور ."[٣] وفي ذلك يقول الإمام الفخر الرازى " النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني ، إذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه في جميع الأعضاء وهو الحياة . فنقول إنه في وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت .

وأما في وقت النوم فانه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن ، فيثبت أن الموت والنوم من جنس واحد إلا أن الموت إنقطاع تام كامل والنوم إنقطاع ناقص من بعض الوجوه "[٤] فالذي يستطيع أن يرفع جوهر النفس عن ظاهر البدن أو سائره يستطيع أن يوقع جوهر النفس على ظاهر البدن أو سائره ، ويحصل بذلك اليقظة بعد السبات والحياة بعد الموت ."[٥] فإذا ثبت هذا ظهر أن العالم الحكيم المحي المميت دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه :

---

(١) سورة الزمر آية ٤٢ .
(٢) انظر تفسير الرازى ٢٦/٢٨٤ وابن كثير : التفسير ٤/٥٥ ، والألوسي : روح المعاني ٢٤/٧ .
(٣) انظر المصادر السابقه نفس الصفحات .
(٤) الامام الرازى : التفسير ٢٦/٢٨٤ .
(٥) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

أحدها الحياة : وهو وقوع جوهر النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه .

وثانيهما النوم : وهو أن يرتفع جوهر النفس عن ظاهر البدن دون باطنه .

وثالثهما الموت : وهو ارتفاع جوهر النفس عن سائر البدن .(١)

وبهذا يثبت أن هناك قدراً مشتركا بين الموت والنوم هو ارتفاع جوهر النفس عن ظاهر البدن ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره إلا عن العليم الخبير المختص بالإحياء والإماته ، وهذا يقضي أن يتوجه الإنسان بالعبادة إلى الإله الموصوف بهذه القدره لا أن يتوجه بها إلى أوثان وجمادات لا شعور لها ولا حس ولا إدراك ، وان يوقن أن بعد هذه الحياة حياة أبديه سرمديه ، يلقى فيلها المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته .

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله " إن في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس هي التي بها العقل والتمييز . والروح هي التي بها النفس والتحرك . فيتوفيان عند الموت ، وتتوفى النفس وحدها عند النوم "(٢) هذا التفريع المروى عن ابن عباس رضي الله عنهما شبيه بالتفريع السابق الذى أوردناه عن الإمام الفخر الرازى ولا يختلف عنه بشيء إلا من حيث أن الإمام الرازى جعل جوهر النفس واحد يحصل ضوؤه في ظاهر البدن وباطنه . ففي حالة النوم ينقطع جوهر النفس عن ظاهر البدن فقط ، أما ابن عباس فإنه جعل في ابن آدم نفسا وروحا ، وأن الذى يفارقه في حالة النوم النفس فقط . ويعلق على هذه الحقيقة الدكتور رشاد سالم

---

(١) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) الألوسي : روح المعاني ٨/٢٤ .

في كتابه المدخل للثقافة الإسلامية فيقول: " لذلك أراد لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن تتحول هذه الحقيقه الإعتقاديه إلى أمر واقعي عملي تتذكره صباح مساء حتى لا نغفل يوماً واحدا عن مصيرنا ".(١)

وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نقول عند النوم " باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ".(٢)

٢ - الاستدلال بإثبات الزروع :

قال الله تعالى " وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ".(٣)

توجه هذه الآية الكريمة نظر الإنسان إلى أثر نعمة الله المتمثلة في الماء الطاهر النازل من السماء ، الذى أنبت الله به ما أنبت من الزروع والأشجار والثمار، بعد أن كانت الأرض جدبةً ميتةً لا حياة فيها .(٤) فالله سبحانه وتعالى الذى استطاع بقدرته أن يخرج هذه الزروع الحيه من الأراضي الموات الجدبة قادر على إعادة الحياة إلى الأجسام التي ماتت وأرمت .(٥) ولكن الإنسان الكنود(٦) الجاحد في غفلة عنه لأن

---

(١) المدخل للثقافه الاسلاميه ص ٢٠٦ .
(٢) صحيح البخارى كتاب التوحيد ٤/ ٢٧٦ ، وابو داوود في الأدب /٩٨ .
(٣) سورة الفرقان آية ٤٩ .
(٤) انظر تفسير المراغي ٢٦/ ٦٢ .
(٥) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٦) " الكنود : كفران النعمة وبالفتح الكفور " القاموس المحيط ١/ ٣٣٣ .

طبيعة الإلف والعادة تحول بينه وبين التأمل والاعتبار ، فلا عقل يتفكر ولا قلب يتدبر . فالمشاهد أن الأرض تكون هامدة ميتة لا حياة فيها ، فإذا أراد الله إحياءها أرسل لها المطر ، فاهتزت وربت ، فإذا هي حية يانعة تزخر بالنمو وتنبت من كل زوج بهيج ، وإذا الأرض يُغطى سطحها بكل شيء حي . " وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج " .(١)

هذه الظاهرة العجيبة لحركة ذرات التراب الجاف عندما يصيبه الماء فيتحرك حركة اهتزازية ، وهي تتشرب الماء وتنتفخ فتربوا بعد الهمود بالحياة والنبات ، قد سجلها القرآن الكريم قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام .(٢) إنها لذكرى وتبصرة لمن كان له قلب واعي يريد الإنابة إلى الله والإيمان باليوم الآخر والجزاء بعد الحساب . لأن الذي أحيا الأرض يحي الموتى وإنه على كل شيء قدير .(٣) وهذا يُنبي أن انبعاث النبات من الأرض بعد الهمود والإماته فيه دلاله واضحه على ابتعاث حياة الإنسان من الأرض بعد الفناء والابادة ، لأن التعقيب الإلهي الذي جاء في نهاية الآية يشير إلى إحياء الموتى ويتخذ من إحياء الأرض نموذجا ودليلاً .(٤) وإن في الهدي النبوى ما يتوافق مع هذه الحقيقه الإعتقاديه .

يقول الحافظ بن كثير في معرض تفسيره للآيه التاسعه من سورة فاطر " كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطراً يعم الأرض

---

(١) سورة الحج آية : ٥ .
(٢) انظر سيد قطب ، الظلال ٤ / ٢٤١١ .
(٣) سورة فصلت " إن الذي أحياها لمحي الموتى . إنه على كل شيء قدير " آية ٣٩ .
(٤) إلى ذلك يتوجه قوله تعالى " ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت إن الذى أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير " نفس السورة والآية .

جميعا ، وتنبت الأجساد من قبورها كما تنبت الحبة في الأرض "[١] وقد جاء في الصحيح " كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب "[٢] كما ورد عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله كيف يعيد الله الخلق ، وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أما مررت بوادي قومك جدباً ، ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قلت نعم : قال فتلك آية الله في خلقه كذلك يحي الله الموتي "[٣].

وإني لا أعتقد أن ثمة تصويراً أدق من هذا التصوير - اليقظة بعد النوم ، وإنبات الزروع لبيان قدرة الله على الإحياء .

فالذين لا يتوقعون ، لقاء الله ، ولا يدركون أن من مقتضيات هذا الكون أن تكون بعده حياة أبدية يلقى فيها المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته ، ويمرون بهذه الآيات غافلين سادرين ، لن يبلغوا طريق الكمال البشري ولا كمال العبودية التي شرفتهم بها سبحانه ، وبالتالي لن يصلوا إلى الجنه التي أعدها الله لعباده المتقين ، وإنما يقعون عند الحياة الدنيا لا يرفعون رؤوسهم إلى قمة ولا يتطلعون بأبصارهم إلى سماء غافلين عن إدراك آيات الله الكونية التي توقظ القلب ، وتنبه الحس وتحفز إلى التطلع والكمال .[٤]

---

(١) ابن كثير : التفسير ٣/٥٤٨ .
(٢) صحيح البخارى : كتاب التفسير ٣/١٨٢ وصحيح مسلم بشرح النووى متفق عليه وقد سبق تخريجه .
(٣) سنن ابن ماجه بمقدمه / ١٣ ومسند أحمد ٤/١٢ وجامع الاصول ج/١٠ من كتاب القيامه وأحوالها رقم ٧٩٤٣
(٤) انظر سيد قطب : الظلال ٣/١٧٦٧ .

المبحث الثالث : " الوعيد الشديد لمنكري البعث "

يعد أن قرر سبحانه وحدانيته والإيمان باليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء وأقام الأدلة والبراهين على صحة ذلك ، أردفهم بالتهديد والوعيد لمن يكذب ذلك وينكره . وفي ذلك يقول عز وجل " بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا "[(١)] يقول العلامه النيسابوري تعقيبا على هذه الآيه " يجوز أن يراد أن ما تعلقوا به ليس شبهةً عالية في نفس المسألة . بل إنما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة إشتغالاً للاستعداد لها "[(٢)] أي أن تكذيبهم بالساعة وعدم إيمانهم باليوم الآخر كان وراء معارضتهم للقرآن الكريم ولنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أنهم كانوا مستغرقين في الحياة الدنيوية ، والإيمان بها وحدها ، دون أن يكون ثمة إيمانٍ بمصيرٍ آخر بعدها ، لا يوقنون بمعاد ولا يصدقون بثواب أو عقاب .

ويقال أن الإعتداد وإن كان ليس بسبب التكذيب بالساعة خاصة ، بل يشاركه في السببية ارتكابهم الأباطيل في أمر الوحدانية والنبوة إلا أنه لما كانت الساعة هي العلة القريبة لدخولهم السعير أشير إليها ولم يشر إلى سببية شيء آخر .[(٣)]

ويقال إن التكذيب بالساعة صار كالسمة لأولئك المشركين والمكذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمكذبين بالساعة ، والتكذيب أخص صفاتهم القبيحة وأكثر دورانا على ألسنتهم ، إذ من الكفار من يشرك ويكذّب بالرسول ولا يكذّب بالساعة .[(٤)] ومن

---

(١) سورة الفرقان آية ١١ .
(٢) هامش جامع البيان ١٨ / ١٢٧ .
(٣) انظر جامع البيان ١٨ / ١٤٠ وتفسير سورة الفرقان للبهي ص ١٦ .
(٤) انظر روح المعاني ١٨ / ٢٤١ .

المعلوم أن العذاب تارةً يكون حسيا ، وتارة معنوياً ، وتارة حسياً ومعنوياً ، وأن المعنوى يكون في كثيرٍ من الاوقات ومع بعض الأشخاص أشد كثيرا من العذاب الحسي .
والنفس البشرية كما يحدوها [(١)] عامل الخوف والرجاء ، تتأثر حسيا ومعنويا ، فالحسية والمعنوية كلاهما عامل من عوامل النفس البشرية التي تتأثر بهما أشد التأثر . والقرآن الكريم بترغيبه وترهيبه يوقع على العاملين معا الحسي والمعنوى لينفذ منهما إلى جميع منافذ النفس البشرية ، التي قد يكون أحدها طريقا يؤدى إلى الإيمان .[(٢)]

ومثال التهديد الحسي قوله تعالى " بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا . وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا " .[(٣)] فقد رسمت هذه الآية كما هو ظاهر صورة حسيه للعذاب مفزعة ومُرَوِّعة ، فمن شدة هول هذه النار التي أعدها سبحانه لهؤلاء الكفرة المكذبين ، أنها إذا رأتهم[(٤)] من مكان بعيد سمعوا تغيظها وزفيرها حنقاً عليهم وغضبا منهم ، وكما وصف سبحانه حال السعير وهم يعيدون عنها وصفهم وهم يلقون فيها ، في مكان ضيق ، وقد قُرِنَت أيديهم إلى أعناقهم أو قُرنوا مع شياطينهم في الأغلال والأصفاد ، زيادة في شدة الكرب والضيق ، عندئذ يدعون بالويل والثبور على أنفسهم .[(٥)] لأن العذاب أنواع وألوان وأشده ما يُتمنى معه الموت . . ! ! فكلما نضجت جلودهم بُدِّلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب الشديد الأبدى الذى

---

(١) " يحدو من حدا الابل : زجرها وساقها " انظر القاموس المحيط ٤ / ٣١٤ .
(٢) انظر محمد قطب : دراسات قرآنيه ص ٨٠ .
(٣) سورة الفرقان الآيات : ١١ - ١٣ .
(٤) " اسناد الرؤيه حقيقه وكذا التغيظ والزفير فلا حاجة للتأويل " الألوسي : روح المعاني ١٨ / ٢٤١ . نظير ذلك قوله تعالى " يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد " وما ورد في صحيح البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم " اشتكت النار إلى ربها . فقالت : رب أكل بعضي بعضا . فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الحر ، وأشد ما تجدونه من الزمهرير " بدء الخلق ٤ / ٨٩ .
(٥) انظر ابن جرير الطبرى : جامع البيان ١٨ / ١٤٠ ، والامام الرازى : التفسير الكبير ٢٤ / ٥٦ .

لا خلاص منه .[١] وبذلك يكون الله عز وجل قد جمع على أهل النار أنواع البلاء حيث ضم إلى العذاب الشديد الضيق .[٢]

روى ابن جرير الطبرى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أول ما يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول ياثبوراه ، وهم ينادون ياثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول ياثبوراه وهم ينادون ياثبورهم،فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا " .[٣] ومثال التعذيب المعنوى ما يشير إليه قوله عز وجل " قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا "[٤] إن أسلوب السخرية والاستهزاء يكون أحيانا أشد وقعا وتأثيرا من العذاب والتنكيل الحسي ، والجزاء من جنس العمل ، فكما أن المشركين يستهزئون بالرسول صلى الله عليه وسلم اقتضى المقام هنا أن يهزأ بهم سبحانه وأن يجمع إلى أنواع البلاء المادي البلاء المعنوى وهو السخرية والاستهزاء .[٥] يقول سبحانه مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : اذكر لهؤلاء الكفرة مصير المتقين الذين تجنبوا الشرك بإيمانهم بالله وحده وباليوم الآخر ، ودعهم على سبيل السخرية والاستهزاء يوازنوا بين هذا المصير المشرق في الجنه وبين مصيرهم الكالح في النار ؟ يقول تبارك وتعالى اسمه مصورا حال هؤلاء الجاحدين يوم القيامه " ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا " .[٦]

---

(١) انظر المصادر السابقه نفس الصفحات .
(٢) انظر الرازى : المصدر السابق نفس الصفحة .
(٣) ابن جرير المصدر السابق نفس الصفحة .
(٤) سورة الفرقان آية ١٥ .
(٥) انظر ابن كثير : التفسير ٣/ ٣١٠ والقرطبي : جامع الأحكام القرآن ١٨/ ١٣ ، الالوسي : روح المعاني ١٨/ ٢٤١ ، والمراغي : التفسير ١٨/ ١٥٦ .
(٦) سورة الفرقان آية ٢٧ - ٢٩ .

أما مثال الحسي المعنوى معاً وهو الأكثر فيشير إليه قوله تعالى " ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا "[1] هذا النوع من التهديد بالعذاب الحسي والمعنوى ، يعرضه القرآن الكريم بطريقته التعبيرية المعجزة ، فيحي مشاهد وأهوال القيامة وكأنها صورحية يعيشها الآن ، فيتأثر بها سلوكه ، ويؤ من ويعمل صالحا لينعم بالعيش الرغيد في الدنيا ، والدرجات العلا في الأخرة . حتى أن أحدهم ليقول في ساحة المعركة في أحد شوقاللقاء الله والدخول في الجنة " لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فألقاهم من يده ثم قاتلهم حتى قتل " .[2]

بهذه الأساليب الحكيمة قرر القرآن الكريم والسنة المشرفة عقيدة الإيمان باليوم الآخر . وقد كان ولا يزال لهذه العقيدة أثر كبير في حياة الأمة المسلمة واستقامة سلوكها أفراداً وجماعات . وما انتصرت على أعدائها وسرت فيها الروح الجهادية إلا بفضل هذه العقيدة . وما فتئ أعداء الإسلام يكيدون لها بشتى الوسائل ، ويحاولون إبعاد المسلمين عنها وتشكيكهم في عقائدهم ، وما ذلك إلا لأنهم يعلمون علم اليقين أثر هذه العقيدة في تأجيج الحماسة في نفوس أبنائها .

كما أن مناط صلاح الإنسان واستقامته في هذه الدنيا ، أن يستيقن أن بعد هذه الحياة حياة أخرى ، يلقى فيها المحسن جزاء إحسانه والمسيء جزاء إساءته ، وبذلك تصلح الأوضاع والأنظمة ، ويفشوا الخير والعدل بين الناس .

---

(١) سورة الفرقان آية ١٩ .
(٢) ابن الجوزى : صفة الصفوه ٤٨٨/١ والقائل " عمير بن الحمام رضي الله عنه " .

الفصـــل الرابـــع

تقـــرير رسالة محمد صلى الله عليه وســـلم

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الحكمة من ارسال الرسـل .

المبحث الثاني : أدله اثبات الرساله المحمدية وعالميتها .

المبحث الثالث : شبهات منكرى الرسالة والرد عليها .

المبحث الأول : " الحكمة من إرسال الرسل "

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم . وفضله بصفته إنسانا على العالمين[١] ، وسخر له ما في السموات والأرض ، لتحقيق استخلافه وسيادته عليها .[٢]

ومن المؤكد أن الإنسان قاصر عن إدراك مصالحه في هذه الحياة ، والحياة الأخرى ، وعاجز عن إدراك الحقائق غير المرئية ، وعرضة لتقلب الأهواء والشهوات وما إليها من الرذائل النفسية . لذا كان إرسال الرسل ضرورة لهداية البشرية من عدة وجوه .

١ - من حيث تنظيم العلاقة بين العبد وخالقه : إذ أن من لوازم ربوبية الله لخلقه أن يبين لهم - عن طريق الرسل - كيفية التعرف على خالقهم ورب نعمتهم[٣] وكيفية تأدية شعائر العبادة والخضوع والطاعة لهذا الخالق عز وجل .

٢ - إن العقل الإنساني كثيرًا ما يكون قاصراً عن إدراك وجه الحق ومعرفته فيما يأتيه من مسائل ، فيدخل في متاهات الظن والتخمين ، وهذا دليل على نقصه ، إذ لو كان كاملا لعرف وجه الحق في كل مسألة تُعرض عليه . ومما يُبين بشكل واضح قصور العقل البشري ، نموه وتكامله ، فالإنسان كلما كثرت تجاربه واطلاعه كثر علمه ومعرفته .[٤]

---

(١) يدل على ذلك قوله تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " سورة الاسراء آية ٧٠ .

(٢) يشير إلى ذلك قوله تعالى " الم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه . ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . سورة لقمان آية ٢٠ .

(٣) انظر ابو بكر الجزائري : منهاج المسلم ص ٣٥ ط/٢ و د . فاضل السامرائي : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ص ٤٠ .

(٤) انظر د . فاضل صالح السامرائي : نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ص٤٠ وما بعدها .

٣ - أدوات المعرفة والإتصال في الإنسان وهي الحواس ناقصةٌ ومعرضةٌ للخطأ، فالعين لها مدى محدود للرؤية لا تتعداه ، فلا ترى ما تحت الأشعة الحمراء ولا ما فوق البنفسجية . وهي تخطىء كذلك فترى العصا المستقيمة معوجةً في الماء . وما يعرف بخداع البصر قضية معروفة . وكذلك الأذن فلا تسمع دبيب نملة على صفاة ولا الأصوات الهائلة . وكذلك حاسة الشم فما نلمسه لدى الحيوان أكثر بكثير مما نلمسه لدى الإنسان، وهكذا بقية الحواس .[1] وإن كان يستطيع بفطرته أن يتعرف على خالقه وأن لهذا الكون خالقاً، إلا أنه لا يستطيع أن يحدد بدقةٍ تفاصيل هذه المعرفة ، وما يجب عليه حيال هذا الخالق المنعم المتفضل عليه .

لذا اقتضت حكمته عز وجل أن لا يترك الإنسان هملا يتلمس بنفسه طريق الهداية والصلاح ، لما عُلِمَ من قصور مداركه ونوازع نفسه .

كما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن لا يتصل بكل إنسان على حده ليبلغه أوامره ونواهيه ، بل أن يصطفي من الناس رسولاً يقوم بهذا نيابة عنه ، ويكون بين الرسول ومن أُرسِلَ إليهم إلف وإنس فلا يجدون في رسولهم شيئا لم يألفوه منه .[2]

ومن المؤكد أن الاتصال بعالم الغيب يحتاج لأهلية خاصة ، واستعداد عظيم ولم يعط كل إنسان مثل هذا ، بل اقتضت حكمته عز وجل أن تتفاوت البشرية في قدراتها الخُلُقِيَّةِ والخَلْقية[3] ، وانسجاما مع هذه الفطرة في التفاوت ، اصطفى الله من البشر رسلا لهداية البشرية الضالة المنحرفة عن جادة الحق والصراط المستقيم ، يعرفهم

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٤١ .
(٢) انظر عبد الكريم الخطيب : النبي محمد صلى الله عليه وسلم ص ٥١ .
(٣) إلى هذا يشير قوله تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته " سورة الأنعام شطر الآية ١٢٤ .

سبحانه على ذاته ويبلغهم بواسطة الوحي رسالته . ويأمرهم أن يُعَرِّفوا الناس به ، ويبلغوهم رسالته المتضمنة إفراد الله بالعبادة ، وإقامة حكم الله في الأرض[١] . هؤلاء الرسل يمثلون ذروة الكمال البشرى ، وخلاصة الإنسانية ، لأنهم يمثلون ذروة العبودية لله . ويقومون بأعظم مهمةٍ في الوجود وهي مهمة إرشاد الناس الى عبادة الله التي خُلِقْنا من أجلها .[٢] وقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يؤيد رسله بعلامات ودلالات يعرف الناس بها صدق مخبرهم . ومن هذه العلامات : سيرة صاحب الرساله ، فليس من المعقول أن يكون الرسول كذابا ، لأن الكذاب لا يصدق في الأمور العادية فضلا عن الأمور الألهية .[٣] والأمور العالية سمة لا بد منها لإنسان مرسل من قبل الله بشيرا ونذيرا بين يدى عذاب عظيم ، ومن ليس له إمكانية التبليغ عن ربه لا يستحق أن يكون رسولاً للذات الإلٰهية ، فالفصاحة والبلاغة وقوة الأداء والتأثير من أهم عوامل نجاح الرسل في دعواتهم ، وبدون هذا لا تقوم الحجة على الناس ، لأن دعوة الرسل ليست كغيرها من الدعوات التي ترضي شهوات البشر ، والرسول وإن كان بشراً لا بد له أن يتميز عن باقي البشر في رجاحة عقله وكمال مروءته وعفة نفسه وحسن الأحدوثة بين الناس . فلم يُجَرَّبْ عليهم كذب ولم تظهر منهم ريبة .[٤]

---

(١) يدل على ذلك قوله تعالى " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس " سورة الحج آية ٧٥ .

(٢) انظر سعيد حوى : الرسول ١ / ١٠ والدكتور زاهر عواض الألمعي : مناهج الجدل في القرآن ص ٢٦٦ . وأبو الحسن الندوى : السيره النبويه ص ٥٠ ويؤيد ذلك قوله تعالى " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " النساء آية : ١٦٥ .

(٣) انظر المصادر السابقه نفس الصفحات .

(٤) انظر سعيد حوى : الرسول ص ١١ وعبد الكريم الخطيب : النبي محمد صلى الله عليه وسلم ص ٥٢ .

إذن لابد أن يكون الرسول الذى يوكل إليه إبلاغ رساله سماوية إلى الناس على أكمل صورة إنسانية ظاهراً وباطناً كي يتقبل الناس دعوته ويستجيبوا لما يدعوهم إليه .

ومن أظهر الأدلة التي يستدل بها العقلاء من الناس وأصحاب الفطر السليمة على صدق الرسول ، ويفرقون بينه وبين أدعياء النبوة من المشعوذين والدجالين :

١ - أن الرسول لا يدعو الناس إلى فضيلة أو مكرمة إلا كان قائماً عليها ، عاملاً بها في جميع أطوار حياته ، ولا ينهي الناس عن رذيلة إلا كان مجانباً لها في كل حال من أحوالهم ولهذا يراه الناس وقد وافق فعله قوله ، وصدّق خُبْرُهُ خَبَرَهُ ، فيقبلون عليه ويستجيبون لدعوته .(١)

٢ - أن يكون مؤيداً بالمعجزات : ومع ما في الرسل من صفات روحية ونفسية وعقلية يُعْرَفُ بها بين قومه ، إلا أن غلواء الإنسان وتكبره يأبى عليه الخضوع لقرينة من بني جنسه ما لم يأته بما لم يستطع . لذا فإنهم يُطالبون دائما بآيات ودلالات على صدق دعواهم ، حيث أن ما يدعون الناس إليه يخرج عن مألوفهم ويتعلق بعقائدهم الموروثة عن الآباء والأجداد .(٢) وقد كان الإنسان في أطوار نموه الأولى لا يُرى عليه شيئ يأخذ عليه لبّه أقوى من المعجزات الحسية . وحيث يصعب على الجمع الغفير مشاهدة المعجزة الحسية حال ابتعاثها ، ناسب هذا أن يكون كل رسول خاصاً بقومه ، وأن تكون آيته من جنس ما نبغ فيه قومه ليتحقق بعجزهم عنها إيمانهم بأنها من قوى السماء وأن رسولهم صادق في دعواه .(٣)

---

(١) انظر عبد الكريم الخطيب : النبي محمد صلى الله عليه وسلم ص ٥٤ .
(٢) انظر مناع قطان - علوم القرآن ص ٢٥٧ .
(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

المبحث الثاني : " أدلة إثبات الرسالة المحمدية وعالميتها "

لما اكتمل العقل البشري وبلغ نضجه ، وحُرِّفت رسالات السماء[١] وعفى عليها الزمن . ولم يبق منها إلا آثار لا تقوم معوجاً ، ولا تُصْلِح فاسداً ، ولا تهدي أحداً سواء السبيل وأصبحت البشرية بحاجة إلى رسول يمدها بقبس من السماء ، ينتشلها من المستنقع الآسن الذي آلت إليه ، أذن الله سبحانه ببعث الرسالة المحمدية إلى الناس كافة . وفي ذلك يقول عز وجل " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "[٢] .

هذه الآية الكريمة تشتمل على عدد من الحقائق أهمها فيما نحن بصدده :

١) أن رسالة[٣] محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وأنهما مُوحى بهما من عند الله سبحانه وتعالى[٤] .

٢) أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومبعوث إلى الخليقة جمعاء إنسهم وجنهم سواء .

٣) أن عهد الرسالات القومية والمحلية قد انتهى . وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عالمية وشاملة وهي فوق ذلك خاتمة ومحفوظة . وإليك تفصيل ذلك :

---

(١) يدل على ذلك قوله تعالى " وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " البقره آية : ٧٥ وقوله ايضا " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه " النساء آية ٤٦ .

(٢) سورة الفرقان آية ١ .

(٣) " الرسول " بمعنى المُرْسَل وبمعنى الرساله " القاموس المحيط ٣٨٤/٣ . ويقول ابن منظور في لسان العرب " الرسول بمعنى الرساله يؤنث ويذكر " ٣٠٢/١٣ . ويقول الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن " يقال تارة " للقول المتحمَّل . وتارة لِمُتَحَمِّل القول والرسالة " ص ١٩٥ ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم " يتناول القرآن والسنة " التفسير الكبير ١٨/١٤ والآيه من سورة الاعراف / ٣ .

(٤) وإلى هذا يشير قوله تعالى " إن أتبع إلا ما يوحى إلي " يونس آية ١٥ وقوله تعالى

أولا - كون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم والسنة المشرفة وأنهما موحى بهما من عند الله عز وجل . والأدلة على ذلك نقلية وعقلية :

أ - الأدلة النقلية :

(١) إخبار الله تعالى أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم . وأنه موحى به إليه من عنده تعالى : فمن الآية التي نحن بصددها وآيات كثيرة غيرها مبثوثة في كتاب الله عز وجل منها : قوله تعالى " إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "[١] وقوله " الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور "[٢] وقوله أيضا : " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا "[٣].

فالمتأمل في الفاظ هذه الآيات ومعانيها يجد أن الله تبارك اسمه وتزايد وتكاثر خيره، وتعالى في صفاته وأفعاله[٤] ، يخبر أنه هو سبحانه الذي نزل القرآن الكريم على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا ، وهذا الإخبار هو من نوع التقرير الذي يقطع أن هذا القرآن من عند الله سبحانه ، فرّق به بين الحق والباطل[٥]، وأنزله على عبده محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم[٦] الذي نشأ في مكة بين قومه وأهله ، أميا لا يعرف قراءة ولا كتابة ، محفوظاً من الله سبحانه من مهده إلى لحده ، بعيداً عن أقذار الجاهلية وعاداتها كافة[٧].

= أيضا " وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى " النجم آية ٣ - ٥ وما أشرنا إليه للتنبيه وليس للإستقصاء .

(١) سورة يوسف آية ٢ .

(٢) سورة ابراهيم آية ١ .

(٣) سورة الكهف آية ١ ، أوردنا هذه الآيات للتنبيه وليس للاستقصاء .

(٤) انظر الرازى : التفسير ٢٤/٤٤ .

(٥) انظر المصدر السابق ص ٤٥ .

(٦) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٧) انظر ابن هشام : السيره ١/١٧٨ .

وقد ورد عليه الصلاة والسلام بتلك الصفة " عبده " لتشريفه والإيذان بكونه صلوات الله وسلامه عليه في أقصى مراتب العبودية ، وللتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل.[1] - ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً ، سواء كان بذلك الرسول أو الرسالة[2] ، فهو موجه إلى جميع الخلائق - الإنس والجن - وهذا معلوم من الدين بالضرورة يكفر منكره.[3] وهو بشير للمؤمنين بأن لهم الجنه ، ونذير للكافرين بأن لهم النار . ذلك لأن النذير بمعنى الإنذار . وهو إخبار فيه تخويف.[4] يؤيد ذلك قوله تعالى " وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيرا ".[5]

أما أن القرآن الكريم مُوحى به من قِبَلِه سبحانه وتعالى ، فيشهد على ذلك الخطاب الموجه من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم " قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليّ ، وما أنا إلا نذير مبين ".[6]

---

(١) انظر الألوسي : روح المعاني ١٨ / ٢٣٠ .

(٢) انظر الرازي : التفسير ٢٤ / ٤٥ .

(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة . العالمين : تعني أن كل ما سوى الله عالم وبذلك يدخل تحت هذا التعريف الملائكه . وحيث أن محمدا لم يكن رسولا للملائكه وجب أن يكون رسولا إلى الجن والانس جميعا ، ويبطل بهذا قول من قال أنه كان رسولا إلى البعض دون البعض . انظر المصدر السابق نفس الصفحة . ورجح البعض إدخال الملائكة عليهم السلام . والبعض الآخر إدخال الجمادات بعد ادراكها لشرفه صلى الله عليه وسلم . انظر الألوسي روح المعاني ١٨ / ٢٣٠ وسنفرد لهذه الخاصية بحث ان شاء الله .

(٤) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) سورة الفرقان آية ٥٦ .

(٦) سورة الاحقاف آية : ٩ . والآيات في ذلك كثير ، قوله تعالى في سورة الشورى " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها " آيه : ٧ . وقوله في سورة يوسف " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين " آيه : ٣ .

(٢) إخباره صلى الله عليه وسلم أن القرآن الكريم المنزل عليه هو من عند الله وأنه موحى به إليه من عنده تعالى والدلالة على صدقه .

ليس ثمة قرينة ما تنفي أن يكون القرآن الكريم من عند الله . أو تثبت أن له مدع من دون الله . وهذا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - وقد تواترت أقوال الكافرين والجاحدين لرسالته بنسبة هذا القرآن إليه - ينفيه عنه ويرده صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ويقول " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه "[١] والقرآن الكريم يثبت هذا القول على لسانه " وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ "[٢].

ومن المسلم به أن يأخذ الإنسان عن غيره ، لا أن ينسب إلى غيره أنفس آثار عقله وأغلى إنتاج فكره ، وإن وجد من يرى أن ينسب إنتاجه لغيره في سبيل استصلاح الناس أو بعضهم ، فإنما يكون لفترة ، وابتغاء للشهرة والمنفعة ، أما بالنسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فإن هذا لن يكون ، لأنه صلوات الله وسلامه عليه يأبى الوصول إلى غاية إصلاحية على جسر من الكذب والتمويه .

ويكفينا في الدلالة على مبلغ صدقه وأمانته في دعوى الوحي الذي نحن بصدده وأنه لم يكن ليأتي بشيء من القرآن الكريم من تلقاء نفسه :

أ) شهادة الله سبحانه بصدق الرسول :

١ - ما ورد في سورة النجم " ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى "[٣].

---

(١) سنن أبي داوود : كتاب السنه ، باب في لزوم السنه . رقم الحديث ٤٦٠٤ . ورواه غيره .

(٢) سورة الأعراف آية ١٩ وقوله ايضا " إن أتبع إلا ما يوحى إليّ " سورة يونس آية ١٥ .

(٣) سورة النجم آية : ٣ - ٥ .

٢ - ما ورد في سورة الحشر " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " .(١)

٣ - ما ورد في سورة يونس " وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين " .(٢)

٤ - وقوله في سورة الأحزاب " بل جاء بالحق وصدق المرسلين " .(٣)

٥ - وقوله تعالى في سورة الزمر " والذى جاء بالصدق ، وصدق به أولئك هم المتقون "(٤)

ب) شهادة الواقع على صدق الرسول :

١ - شهادة أبو سفيان زعيم مكه وهو في الجاهلية بين يدي هرقل عظيم الروم في الفتره التي مادّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان " لمَّا سألهم هرقل هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال . قلت لا " .(٥)

٢ - شهادة هرقل عظيم الروم رداً على قول أبي سفيان السابق " أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله " ثم أردف " إن يكن ما تقول فيه حقاً : إنه لنبي " .(٦)

٣ - شهادته صلى الله عليه وسلم في نفسه .

جلست جويريات يضربن بالدف صبيحة عرس الربيع بنت معوذ الأنصاريه وجعلن يذكرن آباءهن من شهداء بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حاضراً . فقالت

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .
(٢) سورة يونس آية ٣٧ .
(٣) سورة الصافات آية ٣٧ .
(٤) سورة الزمر آية ٣٣ .
(٥) صحيح البخارى : بدء الوحي ١ / ٥ وصحيح مسلم بشرح النووى : الجهاد ١٢ / ١٠٣ متفق عليه .
(٦) المصدر السابق نفس الصفحه . انظر ابن تيميه : الجواب الصحيح ٤ / ٢١٦ .

جاريةٌ منهنَّ : " وفينا نبي يعلم ما في غد " . . ! فقال صلى الله عليه وسلم " لا تقولي هكذا ، وقولي ما كنت تقولين "[1] فلم يرض صلى الله عليه وسلم أن يقلن فيه ما ليس منه .

٤ - شهادة ضماد الأزدي واسلامه :

قدم ضماد مكة " وكان من أزد شنوءه ، وكان يرقي من الريح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمداً مجنون . فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي . قال فلقيه : فقال يامحمد إني أرقي من هذه الريح وأن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونسترشده ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد : قال فقال أعد علي كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، قال فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاموس البحر ، قال فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام . قال فبايعه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي "[2] .

---

(١) اصل الحديث في صحيح البخاري : كتاب المغازي ٥/ ١٥ .

(٢) " ضماد الأزدي من أزد شنوءه أسلم قبل الهجره " انظر ابن الجوزي : صفة الصفوه تحقيق محمود فاخوري . ط/ دار المعرفه . ١/ ٦٠٤ والطبقات لابن سعد ٤/ ٢٤١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجمعه ٦/ ١٥٦ . وأخرجه الامام أحمد في مسنده برقم ١/ ٢٧٤٩ .

٥ - صدقه صلى الله عليه وسلم وأمانته حتى مع أعدائه :

كان عبد الله بن أبي السرح أحد النفر الذين هدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمهم يوم فتح مكه ، لفرط إيذائهم للمسلمين ، وصدهم عن الإسلام ، ولما كان يوم الفتح جاء به عثمان بن عفان حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يبايعه إلا بعد أن شفع له عثمان ثلاثاً . ثم أقبل على أصحابه فقال: " أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله " . ؟ فقالوا : ما ندري يارسول الله ما في نفسك ، ألا أومأت إلينا بعينك ، فقال صلى الله عليه وسلم " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين[1] " .

أما أن القرآن موحى به إليه من قبل الله عز وجل ، فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر . وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا " .[2]

وكذلك تنقل لنا السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حديث الرسول وهو يصف للحارث بن هشام رضي الله عنه الحالة التي يأتي فيها الوحي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" قالت عائشه رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم

---

(١) سنن أبي داوود : كتاب الحدود ٤/ ١٢٨ .

(٢) مسند الإمام احمد ٢/ ٣٤١ ورواية البخارى " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامه " كتاب الاعتصام ٨/ ١٣٨ .

عنه وأن جبينه ليتفصد عرقا[١] وبهذا نعرف البون الشاسع بين هذا الوحي النبوى ووحي الناس بعضهم لبعض . فالناس قد يوحون لبعضهم زخرف القول غرورا . وكثيراً ما يترك وحيهم في نفس متلقيه أعراضاً عقلية أو بدنية يصعب علاجها . فأين هذا من الوحي إلا لهي بين رسولين مؤيدين ، رسول من الملائكة ورسول من الناس اصطفاهم الله لرسالته ، لا يوحون إلا بالحق ولا يأمرون إلا بالخير .[٢]

هذا طرف مما شهد به الله سبحانه وشهد به الواقع من سيرته صلى الله عليه وسلم إزاء القرآن الكريم وكلها شواهد ناطقة بصدقه وأمانته ، وأنه لم يكن له فيه من عمل إلا الوعي والحفظ والحكاية والتبليغ مع البيان والتفسير ، والتطبيق والتنفيذ ، فلا صفحة فيه لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ولا لأحدٍ من الخلق ، سوى الهداية والإسترشاد ، وإنما هو منزل من عند الله تبارك وتعالى اسمه بلفظه ومعناه .[٣]

ب - الأدلة العقليه :

١) هل كان النبي صلى الله عليه وسلم الذى أوتي جوامع الكلم،أو أحد من الخلق أهلاً لأن تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية وما فيها من أمورٍ غيبيةٍ وأحكامٍ تشريعيةٍ،وأوامر ونواه حياتية،وأخبارٍ عن أقوامٍ غابرين ، ومعارف وعلوم لا يزال العلم الحديث يكشف عن أسرارها ؟ .

---

(١) صحيح البخارى : بدء الوحي ١/ ٢ .

(٢) انظر د . عبد الله دراز : النبأ العظيم ص ٧٦ . ويوجد بالاضافة إلى الأدلة النقلية أدلة عقلية كثيرة تثبت أن القرآن الكريم موحى به من عند الله سبحانه منعنا من إيرادها كونا مقيدين بسورة الفرقان .

(٣) انظر د . عبد الله دراز : النبأ العظيم ص ٢٠ وما بعدها والأدلة على ذلك قوله تعالى " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون " سورة النحل آية ٤٤ .

لقد تحدى الله منزل القرآن الإنس والجن على الإتيان بمثله (١). وإن التاريخ لينبئنا أن أحداً من الأمم لم يرفع للقرآن رأسا ولم يبد معارضة في عصر من أعصاره ، لقد سجل التاريخ على الأمم قاطبة هذا العجز في العصر الأول، عصر الفصحاء ومصاقع الخطباء ، عصر نزول القرآن ، وهو أزهى أعصار اللغة العربية ومجامعها . فكان هذا العجز أكبر دليل وأقوى برهان على أن القرآن كلام الله وليس من كلام البشر في شيء .

٢) يشتمل القرآن الكريم على جانب من العلوم البحتة المختلفة مثل العلوم الكونيه ، والتاريخية والتشريعية ، والعلوم الحربية والسياسية وجانب من العلوم

---

(١) تحدى الله وكرر هذا التحدى متنزلاً معهم إلى الأخف فالأخف فدعاهم أول الأمر أن يجيئوا بمثله يقول الله تعالى : " فليأتوا بحديث مثله . إن كانوا صادقين سورة الطور ٣٤ ثم تحداهم بعشر سور مثله مفتريات بقوله " أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات " سورة هود آية ١٣ ثم نزل بهم التحدى إلى سورة واحدة مثله بقوله تعالى " قل فأتوا بسورة مثله " سورة يونس ٣٨ فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة مثله جلجل صوته مدويا في الآفاق باظهار العجز وإعجاز القرآن بقوله تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا " سورة الاسراء ٨٨ ويعلق على هذه الآية الشيخ مناع قطان بقوله : التحدي إنما وقع للإنس دون الجن لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه وإنما ذكروا تعظيماً لاعجازه " علوم القرآن ط/٤ ص ٢٥٩ . أقول فاذا سوغنا مثل هذا الرأى فإن التحدى الذي ورد بالآيه السابقه إنما يقع على الأمة العربية فقط دون بقيه الأمم . باعتبار أنها ليست من أهل اللسان العربي ... ١ وهذا لا يستقيم مع منطوق الآيه ، والذى أراه والله أعلم أن التحدي يعم الإنس والجن. وما عجز عنه أهل الفصاحة والبلاغه من العرب فغيرهم من الأمم الجن والأنس أعجز . ويقول الزركشي في البرهان " قامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة ، كما قامت الحجة في معجزة عيسى بالأطباء وفي معجزة موسى بالسحرة ، علوم القرآن ٢/٩٦ وحيث أن الأطباء والسحرة والعرب عجزوا عن مقاومة الحجه فغيرهم أعجز .

النقلية التي لا مجال فيها للذكاء والإستنباط ، ولا للمعرفة إلا بالتلقي والتعليم ، مع أن صاحبه المنزل عليه أميٌ لم يقرأ ولم يكتب قط . مثال ذلك قصص الأمم الغابرة وما جرى لها مع أنبيائها ، ولا أقصد بذلك مجمل ما جرى من حوادث التدمير وهلاك الأمم السابقه في ديار عاد وثمود ، وقوم نوح ، وفرعون فإن هذه النتف اليسيرة قلما تعزب عن أحدٍ من أهل البدو والحضر ، فهي مما توارثته الأجيال وسارت به الركبان ، وأصبحت مضرب الأمثال . وإنما القصد في تلك التفاصيل الدقيقه مما هو مدفون بعضه في الكتب السابقة التي لم تنله يد الأميين ولم يعرفه إلا القليل من الدارسين .(١)

٣) كون محمد صلى الله عليه وسلم أميٌ لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم القرآن من بشر ولم يملِ عليه من أحد سوى جبريل عليه السلام . إنه لمما يثير العجب رجل أمي يعيش بين قوم أميين حياة هادئة ما إن شب عن الطون حتى رعى الغنم لأهل مكة . ولما بلغ الثانية عشر خرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى بلاد الشام .(٢) وفي ذلك يقول ابن تيميه رحمه الله " إن محمدا صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحاله كان أميا من قوم أميين ، مقيما بمكة ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة ، ولا الإنجيل ، ولا الزبور ، لم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط إلا سفرتين إلى الشام ، مرة مع عمه أبي طالب قبل الاحتلام ، ولم يكن يفارقه ، ومرة أخرى مع ميسرة في تجارته ، مع رفقة كانوا يعرفون جميع أحواله ولم يجتمع قط بعالم أخذ عنه شيئا لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم . وكان بحيرا الراهب لما رآه عرفه لما كان عنده من ذكره وصفته . فأخبر أهله

---

(١) فمثلا في قصة نوح تجد في القرآن أنه لبث فيهم " ألف سنة إلا خمسين عاما" سورة العنكبوت آية ١٤ وفي سفر التكوين من التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنه وإليك النص" فكانت كل أيام نوح تسع مئة سنه وخمسين سنه ومات " الفصل التاسع ١/١٦ .

(٢) انظر ابن هشام : السيره ١/٢٠٥ .

بذلك وأمرهم بحفظه من اليهود ، ولم يتعلم لا من بحيرا ولا من غيره كلمة واحدة"[1] وظل يعيش أكثر من أربعين سنة من عمره ثم يخرج على الناس فجأة بما لا عهد له به ، ولم يتحدث إلى أحد بحرف واحد منه قبل ذلك ، ويبدي من أخبار القرون الأولى ما أخفاه أهل العلم في أسفارهم ، ثم يأتي ملاحدة هذا العصر فيقولون استقى هذه الأخبار من وحي عقله واستلهام ضميره ، وليتهم ارتقوا في تفكيرهم إلى مستوى ملاحدة عصر الرسالة إذ قالوا " أساطير الأولين "من هذا يتبين أن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقصص الغابرين "[2] آية على ثبوته وهذا لا يأتي عن طريق المكاشفات ولا عن طريق الولايات سواء كانت لله أو لغير الله . بل إن هذا من معالم الانبياء وخصائصهم . التي لا سبيل لأحد من الخلق إلى علم منها أو تعلم عنها عن غير طريق الانبياء[3].

كما أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعلم من بشر . فإن قومه الذين عاش وترعرع بينهم هم أعلم الناس به . وكانوا يعلمون حقا أنه لم يتعلم هذا من بشر . وأن ما قالوه عنه لا يعدو الافتراء والتقت والجدل ، وقد تولى الله سبحانه بالمناقمة عنه والرد على أباطيلهم "[4] وعليه فان معرفة قومه صلى الله عليه وسلم حجة على غيرهم من الأمم ، لأنهم أعلم الناس بأحواله وألد اعدائه وأحرص الناس على تكذيبه والطعن فيه ، كما أن اخبار حياته صلى الله عليه وسلم من ولادته إلى وفاته مستفيضه مشهوره متواتره يعلمها من له خبرة بذلك . وقد ظهر أمره وانتشرت أخباره أعظم من جميع بني آدم "[5] وبذلك تعلم أن

---

(١) ابن تيميه : الجواب الصحيح ١/ ١٩٧ . مطابع المجد التجاريه .

(٢) مثل قصة اخوة يوسف " ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون " آية ١٠٢ وقصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنين . المذكورتين في سورة الكهف . وإلى هذا يشير قوله تعالى " تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين " سورة هود / ٤٩ .

(٣) انظر المصدر السابق ٤/ ٥٣ - ابن تيميه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

(٤) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل ص ٤٥ الأولى .

(٥) انظر ابن تيميه ، الجواب الصحيح ٤/ ٥٤ .

ما في القرآن الكريم من الأنباء التاريخيه والعلوم الكونيه والقوانين التشريعيه لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل وأنها مفاضةٌ عليه صلى الله عليه وسلم لا مستفاضة منه .

٤ - العقل البشرى محدود في إدراك العلوم القرآنية العقدية :

إن ما لا يقع من هذه العلوم تحت الحواس فإن مقدرة العقل البشرى في إدراكها محدود . وما لم يمهد لها بمقدمات معلومة توصل إلى ذلك المجهول يكون إدراكها مستحيلا ، مثال ذلك العقائد الدينيه وهو العلم بأن لهذا الكون خالقاً وأن لهذا الخالق رسلاً يبلغون الناس عنه أوامره ونواهيه ، وأن ثمة معاداً للأبدان يلقى فيها المسيء جزاء إساءته ، والمحسن جزاء إحسانه .[1] إلا أن القرآن الكريم لا يقف عند هذه المرحلة بل نراه يشرح لنا حدود الإيمان ، ويصف لنا بدء الخلق ، ونهاية العالم ، ويصف الجنة وأنواع نعيمها ، والنار وألوان عذابها . حتى أنه ليحصي عدة الأبواب ، وعدة الملائكة الموكلين بحفظها ،[2] فعلى أي نظرية عقلية بنيت هذه المعلومات الحسابية ، والأوصاف التفصيلية ؟ ، إن ذلك ما لا يوحي به العقل البته . فهو إما باطل فيكون من وحي الخيال والتخمين ، وإما حق فلا ينال إلا بالتعليم والتلقين من قبل العليم الحكيم ،[3] وهذا ما سشهد به القرآن[4] وأوحى به الملك الديان .

٥ - اما النبوءات الغيبيه المستقبليه المبثوثه في القرآن الكريم . فإنها ليست من جنس

---

(١) انظر الدكتور محمد عبد الله دراز . النبأ العظيم ص ٤٠ .
(٢) تأمل قوله تعالى " وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر ". المدثر آية ٢٧ ومابعدها .
(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٤) تأمل قوله تعالى " وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا " سورة المدثر الآيه ٣١ .

النبوءات التي توحي بها الفراسه والألمعية ، أو التي قد تستنبط بالمقايسة الظنيـــة فهذه لا سبيل فيها لليقين ، وليست كذلك من جنس المجازفات التي يطلقها المتنبئين من العرافين والمنجمين، لا يبالون في ذلك أكانوا صادقين أم كاذبين . بل إنها من لدن عليم خبير .(١)

٦) كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدةً ، وكان مما يحرك به شفتيه طلباً لحفظه وخشية ضياعه من صدره . ولم يكن ذلك معروفاً من عادته في تحضـــير كلامه ، ولا من عادة قومه . إنما كانوا يُزوِّرون كلامهم في أنفسهم(٢) . فلو كان القـــرآن منجساً من معين نفسه لجرى على سنة كلامه وكلام قومه ولكان له من الأناة والرويـــة ما يكفل له من الإفصاح عن مكنون نفسه ، ولكنه كان يرى نفسه أمام تعليم جديـــد لا عهد له به ، ولا تُجدي الروية في اجتلابه . فكان لابد له في أول عهده بتـــلك الحال الجديدة من المعاناة التي لم يألفها من نفسه ،أن يكون شديد الحرص علـــى المتابعة الحرفية لما يُلقى إليه(٣) فيحرك به لسانه.فنزل قوله تعالى " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه " وبذلك ضمن له حفظه وجمعه بصـــدره(٤) .

---

(١) من ذلك إخبار القرآن أن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين وكانت يومئذ مغلوبة للفرس مهزومة أمامها ، ولم تمض بضع سنين حتى غُلبَت الروم فارس وفي ذلك يقـــول تعالى " الم غُلِبَتِ الروم في أدنى الارض . وهم من بعد غلبهم سيغلبون فـــي بضع سنين " سورة الروم .

(٢) انظر د . عبد الله دراز : النبأ العظيم ص ٤٠ وما بعدها . والأدلة على ذلك قوله تعالى " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكـــرون " النحل آية ٤٤ .

يُزوِّرون : من زوَّر الشيء أى حسنه وقومه " القاموس المحيط ٢ / ٤٢ .

(٣) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) انظر في ذلك حديث ابن عباس في صحيح البخارى : بدء الوحى ١ / ٤ . والآيه من سورة القيامه ١٦ - ١٧ .

٧) أنزل الله سبحانه كُتُباً أخرى على غير محمد صلى الله عليه وسلم كالتـــوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داوود فما الذى يمنع أو يُحيل إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، علماً أن الكتب السماويه السابقه رغم تحريفها وطمسها لبعض صفات الرسول صلى الله عليه وسلم لا يزال فيها الكثير شاهداً على صحة الرسـالة وصدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد أعلن القرآن الكريم بصراحةٍ أن أهل الكتاب يعرفون نعت محمد صلى اللـــه عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وأن كُتُبَهم ذكرت اسمه ونعته بوضوح تام . كما أعلـــن أنه مُصَدِّقٌ لما معهم من الكتب .[1] ولو كان هذا باطلا لتصالأ أهل الأرض علـــى تسفيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم وتكذيب رسالته ، وهم حريصون على ذلك ولأعلنـــوا كُتُبَهم على الملأ وقالوا انظروا وابحثوا أين تجدون صفة ونعت محمد . . ؟ ولأقامـــوا الحجة على بطلان رسالته من أيسر السبل . وحيث أنهم لم يفعلوا ذلك في حينه بـــل

---

(١) حكى لنا القرآن الكريم إحدى هذه البشارات على لسان عيسى عليه الســـلام بقوله " وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقـــاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " ســـورة الصف آية ٦ كما ورد في سورة البقره قوله تعالى " ولما جاءهم كتاب من عند اللـــه مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفـوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين " آية ٨٩ والآيات في ذلك كثـيرة .

على العكس صرح كثير من أحبارهم بصحة ذلك ، ثبتت الحجة عليهم[1] . ومعلوم أن الاستدلال بما هو معروف بطلانه لا يعقله ذو عقل فكيف بمنزل الكتب وباعث الرسل .

ثانيا - كون محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومبعوثا إلى الخليقة جمعاء :

يؤمن المسلم بأن النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ،هو عبد الله ورسوله إلى الناس كافة ، ختم بنبوته النبوات وبرسالته الرسالات وأيده الله بالمعجزات ، وفضله على سائر الانبياء ، والأدلة على ذلك كثيره يهمنا منها : الأدلة النقلية ، والأدلة العقلية .

أولا - الأدلة النقلية :

قدمنا طرفا منها أثناء بحث إثبات أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي من وحي السماء . وإليك طرفا آخر منها .

---

(١) ورد في الكتاب المقدس سفر التثنية الاصحاح الثامن عشر ف/١٨ " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوحيه ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتلكم به باسمي أنا اطالبه " . وانظر كذلك الماوردى اعلام النبوه ص ١٣٠ ، كما ورد في الاصحاح الثالث والثلاثون " جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال فاران وأتى من ربوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك " وهذا النص فيه إشاره إلى الديانات الثلاث . طور سيناء الذى ألقي على موسى فيه الألواح . وساعير وهو جبل في الخليل تلقى فيها المسيح الإنجيل . وفاران هي جبل حراء الذى أنزل فيه القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . انظر ابن القيم : هداية الحيارى ص ٥٣ وجاء فيه أن اليهود يقولون عن فاران أرض الشام بينما تنص التوراه " أن إسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران وانكحته أمه إمرأة من جرهم " وهذا تكذيب لقولهم من كتبهم . انظر : ابن تيميه : الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٠ . وهذه الأماكن الثلاثه التى أشار إليها النص السابق ورد شبيه لها في سورة التين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين" فالتين والزيتون هو الارض المقدسه التي بعث فيها المسيح . وطور سينين هو الجبل الذى كلم الله فيه موسى . والبلد الأمين : هي مكه المكرمه . انظر ابن تيميه : الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٢ . والماوردى اعلام النبوه ، الباب الخامس عشر ص ١٢٨ .

١) إخباره تعالى عن عموم رسالته وختم نبوته ، ووجوب طاعته ومحبته بقوله عز وجل :

" هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " .(١)

وقوله " محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود " .(٢)

وقوله أيضا في سورة الفرقان " وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا " .(٣)

وقوله تعالى في بيان ختم النبوه " ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" .(٤)

وقوله تعالى في معرض بيان أن عظم قدر هذه الامة بعظم قدر نبيها إذ جعلها شهداء على الأمم وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً عليها " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " .(٥) وقوله لعموم رسالته " قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا " .(٦)

٢) إخباره صلى الله عليه وسلم عن نبوته ووجوب محبته وطاعته :

أ - ما رواه البخارى ومسلم بسند يهما عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يقول " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب " .(٧)

---

(١) سورة الجمعة آية ٢ .
(٢) سورة الفتح آية ٢٩ .
(٣) سورة الفرقان آية ٥٦ .
(٤) سورة الاحزاب آية ٤٠ .
(٥) سورة البقرة آية ١٤٣ نكتفي بهذه الأدلة وقد أوردناها للتنبيه لا للإستقصاء .
(٦) سورة الاعراف آية ١٥٢ .
(٧) صحيح البخارى كتاب الجهاد ٣/٢١٨ ومسلم بشرح النووى كتاب الجهاد ١٢/١١٨ ، متفق عليه .

ب - ما ورد في الصحيحين عن أبي هريره رضي الله عنه في ختم النبوة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنةٍ من زاويةٍ ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلاَّ وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا اللبنه وأنا خاتَم النبيين " .(١)

جـ - وفي بيان مجته ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " .(٢)

د - وفي بيان وجوب طاعته ما رواه البخارى بسنده عن أبي هريره رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كلكم يدخل الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يارسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنه ومن عصاني فقد أبى "(٣).

هـ - جاء في حديث الشفاعه الذى أخرجه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبي هريره رضي الله عنه " . . . أنت رسول الله وخاتم الانبياء "(٤).

---

(١) صحيح البخارى : كتاب المناقب ٤/١٦٣ وصحيح مسلم بشرح النووى . كتاب الفضائل . متفق عليه .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الإيمان ١/٩ وصحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الإيمان " والناس أجمعين لمسلم عن أنس رضي الله عنه ٣/١٥ متفق عليه .

(٣) صحيح البخارى : كتاب الاعتصام ٨/١٣٩ .

(٤) صحيح البخارى : كتاب التفسير ٥/٢٢٦ ومسلم بشرح النووى : كتاب الفضائل ١٥/٥١ . متفق عليه .

و - وفي بيان عموم رسالته ما أورده مسلم بسنده عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون "[١] كما أورد عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصةً وبعثت إلى كل أحمر وأسود "[٢].

٣) بعض الأخبار الصحيحة عن نبوته صلى الله عليه وسلم[٣]

قلنا في الفقرة السابقه من أدلة إثبات الرسالة أن القرآن الكريم أعلن بصراحة أن أهل الكتاب يعرفون نعت محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وفي ذلك يقول سبحانه " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . وان فريقا منها ليكتمون الحق وهم يعلمون "[٤]. وجاء في السيرة لابن هشام عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : " كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد هما إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل فناء بني عمرو وبني عوف غدا عليه أبي حُيَيُّ ابن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس . قالت فأتيا كالَّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى[٥]. قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إلي واحد منهما مما بهما من الهم . قالت فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال أتعرفه وتثبته قال : نعم . قال : فما في نفسك منه قال : عداوته والله ما بقيت "[٦].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ٥/٥ .
(٢) المصدر السابق ٥/٣ .
(٣) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل ، الأدلة العقليه ف ٧/ ص ٢٤ .
(٤) سورة البقره آية : ١٤٦ .
(٥) الهوينى : ضرب من المشي فيه " ابن هشام السيره ٢/١٤٠ .
(٦) المصدر السابق نفس الصفحة .

وأخرج بن سعد في الطبقات بسنده عن زيد بن اسلم عن عبد الله بن سلام وعن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص.[١] وكذلك أخرج البخارى بسنده عن عطاء بن يسار قال:لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في الفرقان ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وحرزاً للأميين . أنت عبدى ورسولي ، سميتك المتوكل ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا صخاب[٢] بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا " لا إله إلا الله ، وأفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صمًا ، وقلوبا غلفا " قال عطاء " ثم لقيت كعباً الحبر فسألته فما اختلفا في حرف " .[٣] وقد حكى لنا القرآن الكريم إحدى هذه البشارات على لسان عيسى عليه السلام بقوله " وإذ قال عيسى ابن مريم : يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد[٤] " فهذا نص قاطع الدلالة في أن عيسى عليه السلام بُشرَّ بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وكان يبشر به بلفظ " النبي " وبلفظ " مسيا " وبلفظ " بارقليط " وهذا الأخير تعريب

---

(١) ابن سعد : الطبقات : ١/٣٦٠-٣٦٢ .

(٢) حرزا : حصنا . فظ : سيئ الخلق ، جافي . غليظ : قاسي القلب . الملة العوجاء : ملة إبراهيم عليه السلام ١. سميتك المتوكل : لقناعته باليسير ،والصبر على ما كان يكره " انظر ابن حجر العسقلاني : فتح البارى . كتاب التفسير ٨/٥٨٥ .

(٣) صحيح البخارى : كتاب التفسير ٦/٤٥ .

(٤) سورة الصف آية ٦ .

للفظ اليوناني " بير يكلتوس" ومعناها باللغة اليونانية محمد وأحمد .[١]

وإن إستيطان اليهود المدينة المنورة وتجمعهم حولها لدليل على أن ما لديهم من علم عن النبي الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه هو الدافع لهذا الإستيطان والاستئثار بهذا النبي - حتى صار لهم في المدينة المنورة مجتمع له آثاره ومكانته في حياة المدينة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية - وكانوا ينذرون الأوس والخزرج بالنبي المبعوث المنتظر الذي سيكونون له أتباع بزعمهم .[٢] لذا كان أهل المدينه - الأوس والخزرج - أسبق العرب إلى الإسلام . ويدل على ذلك ما روى ابن هشام بسنده عن ابن اسحاق عن محمود بن لبيد عن سلمه بن سلام بن وقش وكان من أصحاب بدر قال: كان لنا جار يهودي . فخرج علينا يوما من بيته . فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، فقالوا له ويحك يافلان ، أو ترى هذا كائنا ؟ قال . نعم والذي يحلف به يود لو أن له بحظه من تلك النار أعظم تتور في الدار

---

(١) انظر عفيت طياره ، مع الأنبياء ص ٣٢٣ . وأورد بالحاشية سؤال العلامه عبد الوهاب النجار مؤلف كتاب قصص الأنبياء . الدكتور كارلو تلينو المستشرق الايطالي عن كلمة بير كليتوس التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس فأجابه بقوله : "إن القسس يقولون أن هذه الكلمه معناها " المعزي " فقال له : إنى أسأل الدكتور كارلو تلينو الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة . ولست أسأل قسيسا فقال: إن معناها " الذى له حمد كثير " . فسأله أيضا : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد أي " أحمد " فقال: نعم ، وهذا ما يؤيد القرآن " ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد " وقد أبى الله سبحانه إلا أن يظهر الحق في صفة النبي صلى الله عليه وسلم على لسان بعض معتنقي النصرانيه وعلمائها . رغم تحريف المحرفين وجحود الجاحدين . ومغالات المغالين . انظر كذلك ابن تيميه : الجواب الصحيح ٦/٤ وقد وردت بلفظ / فارقليط / . وقد نقل ابن تيميه رحمه الله في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/ ٢٣٠ عن النبي اشعيا قوله " إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد " وهذا إفصاح صريح من النبي أشعيا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فليرنا أهل الكتاب نبيا نصت الأنبياء على اسمه صريحاً سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) وإلى هذا يتوجه قوله تعالى " ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم

يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، وأن ينجو من تلك النار غدا ، فقالوا له ويحك يا فـــلان ، فما أية ذلك ؟ قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمـــن . قالوا ومتى نراه ؟ قال سلمه فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سنا فقال : إن يستنفد هـــذا الغلام عمره يُدركه : قال سلمه : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتي بعث الله محمـــدا صلى الله عليه وسلم ، واليهودي حي بين أظهرنا ، فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا قـــال : فقلنا له ويحك يا فلان ! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال بلى . . ! ولكن ليس به "[1] .

فهذه الاخبار الصحيحه والبشارات الثابتة تشهد بنبوة محمد صلى الله عليـــه وسلم ورسالته ووجوب اتباعه ولزوم طاعته ولكن اليهود أعماهم الحسد فابتعدوا عـــن هداه .

الأدلة العقليـــة :-

ما المانع من أن يرسل الله محمداً رسولاً ، وقد أرسل سبحانه من قبله مئـــات الرسل ، وبعث آلاف الأنبياء . وجاء على فترة من الرسل . بعد أن اجتوت الأرض من نتن العبادات الفاسدة التي كانت تقام عليها . ولم يعد يُسمع عليها دعوة للحـــق ، حتى أن كل شيء أصبح يتطلب رسالة سماوية ، ورسولا يجدد لها دعوتها إلى اللـــه وإعلاء كلمته فإذا كان لا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا فإن في سيرة محمد صلى الله عليـــه وسلم العطرة وما أخبر به عن وقائع غيبية ونبوءات مستقبلية . ومعجزات حسية ومعنويـــة ،

= وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنـــة الله على الكافرين " سورة البقرة / ٨٩ وقوله أيضا : ولما جاءهم رسول من عنـــد الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهـــم كأنهم لا يعلمون " البقره آية : ١٠١ .

(١) ابن هشام : السيره ١ / ٢٣١ ، وابن الجوزى : وصفة الصفوه ١ / ٨٩ .

وانتشار تعاليمه الربانية بين مئات الملايين وبقاء دينه راسياً قواعده رافعاً أعلامه لهو خير شاهد على نبوته وصدق رسالته ، فمن آيات رسالته صلى الله عليه وسلم :

١ - سيرته العطره . وصدقه في الحديث ،وسمو أخلاقه وعفته وأمانته . فما عُرف عنه كذب ولا ريبة ، ولا فاحشة ولا خيانة ، ولا شك قط ، يزين ذلك كله رجاحة عقل ، وحسن أحدوثة ، وما قدمناه من الأدلة السابقه ص ١٣٣ من هذا المبحث غناء .

٢ - إخباره صلى الله عليه وسلم عن وقائع غيبية لا يعلمها إلا نبي أو رجل تلقاها من نبي . فقد أورد البخاري بسنده عن أنس قال: جاء عبد الله بن سلام ، وكان حبراً من أحبار يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعه ، وما أول طعام يأكله أهل الجنه . ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرني بهن آنفا جبريل قال: فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنه فزيادة كبد حوت ، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له . وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها . قال أشهد أنك رسول الله "[1] والأحاديث في ذلك كثيرة ، وفيها أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ، كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها لا يعلمها إلا نبي أو رجل تعلمها من نبي ، إذن كان أهل الكتاب يعلمونها

---

(١) صحيح البخارى : الأنبياء ٤/١٠٢ .

وكانوا يمتحنونه بها ليتبين هل يعلمها ؟ وإذا كان يعلم ما لا يعلم إلا نبي كان ذلك معلماً من معالم النبوة وهم بهذه الأسئلة يقطعون أنه لم يتعلم من أهل الكتـــــاب . ولو جوزنا ذلك لما كان علمه بها وحديثه عنها دليلاً على نبوته . ولما شهد له عبد الله ابن سلام أنه نبي .[1] ونخلص من هذا إلى أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا على يقين أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولم يتلق شيئا من ذلك من البشر .

٣ - إخباره صلى الله عليه وسلم عن نبوءات مستقبلية حدثت كما أخبر عنها : منهـــا ما أخرجه مسلم بسنده عن نافع بن عتبه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليـــه وسلم في غزوة . . فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال " تغزون جزيـــرة العرب فيفتحها الله،ثم فارس فيفتحها الله،ثم تغزون الروم فيفتحها الله،ثم تغزون الدجال فيفتحه الله " .[2]

وله عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله زوى لـي الأرض . فرأيت مشارقها ومغاربها . وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منهـــا وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ بعامة. وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عـــامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مـــن بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا " .[3]

---

(١) انظر ابن تيمية ، الجواب الصحيح ٤/٦٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الفتن ، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ١٨/٢٦ ، ويقول الإمام النووي هذا الحديث فيه معجزات لرسول اللـــه صلى الله عليه وسلم .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الفتن ١٨/١٣ " زوى : جمع " ويقول الإمام النووي هذا الحديث من معجزاته صلى الله عليه وسلم . وقد وقعت كلها بحمد اللـــه كما أخبر به صلى الله عليه وسلم،والكنزان : هما كنزي كسرى وقيصر . يستبيح بيضتهم : أي جماعتهم وأصلهم . لا أهلكهم بسنة عامه : أي يقحط يعمهم .

٤ً - وقد ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات والخوارق والنبوءات التي يحيل العقل صدورها على يد غير نبي ورسول . وهي ثابتة بالأحاديث الصحيحة الأشبه بالمتواتر الذى لا يكذبه إلا ضعيف العقل أو فاقده ، وهي من الكثرة لا يأتي عليها إستقصاء وننبه على بعض منها :

عن أنس رضي الله عنه قال : أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء ، فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم ، قال قتادة قلت لأنس كم كنتم قال : ثلاثمائه أو زهاء ثلثمائه " .(١)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه(٢) . وفي رواية جابر " فسكت " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفس محمد بيده لتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله " .(٣)

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الانبياء ٤/١٦٩ .
(٢) المصدر السابق ، كتاب الانبياء ٤/١٧٣ .
(٣) المصدر السابق ، ، ٤/١٨٢ .

٥ً - القرآن الكريم : الكتاب الذي فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم ما بيننا . فهو معجزته صلى الله عليه وسلم وآية نبوته ودلالة على رسالته .[1]

---

(١) فلولا أن القرآن معجزٌ لما كان مجرد سماعه حجةً عليهم ، وفي ذلك يقول عز وجل " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " سورة التوبه آية ٦ وقوله أيضا " وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون " سورة العنكبوت الآيات : ٥٠ - ٥١ / وقد جعل سبحانه وتعالى مجرد عجز البشرية والجن معا عن الإتيان بمثله دليلاً على أنه من عند الله . ودليلاً على وحدانيته . انظر في ذلك أبو بكر الباقلاني اعجاز القرآن مخطوط /١١٩٩ ص ٤ . وهامش كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ١٠ وبذلك يكون القرآن الكريم آيةً من آيات نبوته صلى الله عليه وسلم وعلماً من أعلام رسالته . انظر المصدر السابق ص ٢٢ وما عجز عنه العرب فغيرهم من الامم أعجز لأنهم أهل الفصاحة ومظنة المعارضه .

وكل ما في القرآن معجزا - بل إن الاعجاز في معناه أعظم وأكبر من الاعجاز في لفظه . وعجز العقلاء من البشر عن الاتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الاتيان بمثل لفظه . وذلك لأن البناء اشق بكثير من الايحاء . انظر في ذلك ابن تيميه الجواب الصحيح ٤/ ٧٨ .

وهذا العجز عن معارضة القرآن لم يكن ناتجاً عن كونه آيةً كونيةً لا قبل لهم بها ، ولا عن صُرفةٍ صَرَفهم الله عنها ، بل ناتج عن قصور الإنسان الذاتي عن أن يأتي بمثل هذا القرآن . فيكون هذا اعترافا منه بأنه وحي من السماء . انظر في ذلك مناع قطان علوم القرآن ص ٢٥٨ .

ثالثا - كونه صاحب الرساله الخاتمه :

نستمد من قوله عز وجل " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "[١] أن رسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي الرسالة الخاتمة ، ذلك لأن الرسالات السماوية إنما نزلت لاصلاح الناس في العقيدة ، والعبادة والمعاملة ، وحيث كانت العقيدة واحدةً ، كانت دعوى الرسل فيها واحدةً ، لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل ، لأنها تقوم على توحيد الله سبحانه وتعالى ، وإفراده بالعبادة ويدل على ذلك قوله تعالى " وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "[٢] . أما العبادات والمعاملات فانها وإن اتفقت في بعض الأسس العامه ، فإن ما يوافق أمة من الشرائع مجالا يوافق أمة أخرى - وما كان منها صالحا لعصر مجالا يصلح لعصر آخر .

لهذا ولغيره كانت الرسالات السماوية السابقة خاصةً ومحددة - ولكن بعد أن بلغ العقل البشرى نضجه ، وأصبحت البشرية أهلا لأن يظلها رسالةٌ سماويةٌ واحدةٌ وتشريعٌ سماويٌ واحد ، أذن سبحانه بإنزال الرسالة المحمدية ، لتكون رسالةً عالميةً شاملة ، بها تنتهي عهد الرسالات الإقليمية وبصاحبها صلوات الله وسلامه عليه تنتهي عهد النبوات القومية وقد أكد الله عز وجل هذه الخاتمية في قوله تعالى " ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين "[٣] .

---

(١) سورة الفرقان آية : ١ .
(٢) سورة الانبياء آية : ٢٥ .
(٣) سورة الاحزاب آية : ٤٠ .

كان الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم بالنسبة للأمم كالأب في الشفقة على أبنائه ، بل أقوى لأن النبي كما يقول تبارك اسمه " أولى بالمؤمنين من أنفسهم "[١] وحيث أن النبي أولى بالمؤمن من نفسه فهو أولى به من أبيه ، وحيث أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده بنص القرآن وبنص الحديث ، فقد كان أشفق على البشرية وأهدى لهم وأجدى، ويؤيد ما ذهبنا إليه ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أنا اللبثه وأنا خاتم النبيين "[٢] . وجاء في حديث الشفاعة الطويل المروي عن أبي هريره " . . . يامحمد أنت رسول الله وخاتَم الأنبياء "[٣] وبالاضافة إلى هذه العالمية والشمول والخاتمية لهذه الرسالة فإنا نستمد من الآية السابقة ونصوص أخرى صريحة أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم محفوظة ، فقد ضمن سبحانه وتعالى لهذه الرسالة البقاء والخلود في قوله تعالى " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون "[٤] والمتأمل في هذه الآية يرى أنها مكية وسورتها مكية .[٥] نزلت والمشركون معرضون عن دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعن الاستماع إلى رسالته ، وصد لغيرهم ،واضطهاد وتعذيب لمن فارق دينهم . فهل للمرء أن يلمح في ثنايا هذا الظلام الحالك الذي طوله ثلاثة عشر عاما ، بريقا من أمل أو شعاعا من رجاء لهؤلاء المظلومين يرفع صوتهم ، وإعلان دعوتهم ،

---

(١) سورة الاحزاب آية ٦ .
(٢) سبق تخريج الحديث انظر ص ٣١ من هذا المبحث .
(٣) سبق تخريج الحديث انظر ص ٣٢ وبقيه الاحاديث في هذا الباب .
(٤) سورة الحجر آية : ٩ .
(٥) انظر ابن جزى : كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٢/١٤٤ ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير .

وانتصارها في الملأ، وهل كان محمد صلوات الله وسلامه عليه ممن تستخفه الآمال، فيجرى وراء الاحلام ..؟ كلا فلا المظلومون كانوا في دعوتهم يجرون خلف سراب، ولا النبي صلى الله عليه وسلم كان يجرى وراء أوهام وأحلام، بل إن ما نلمسه من نجاح لهذا الدين، وإيمان مئات الملايين من البشرية، ما يؤكد حفظ هذا الدين وبقائه، وأن المستقبل له. فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن المغيرة بن شعبه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون "[1] متفق عليه . وفي رواية لمعاويه رضي الله عنه حتى تقوم الساعه .

وبذلك يتحقق كون القرآن الكريم علماً على النبوه . ودلالة على الرسالة . فيه تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويثبت أن رسالته هي الرسالة الإلهية وهي الرسالة العالمية الخاتمة التي انتهى بها عهد الرسالات التي جاءت إلى أقوام مخصوصين . وأصبحت وحدها الرساله العالمية الشاملة الصالحة لكل زمان ومكان .

وبهذا يتحقق أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة إنسانية، وطبيعتها طبيعة عالمية، ومضمونها دعوة وحدانية، وغايتها هداية البشرية، ووسائلها وسائل بشريه، الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن[2].

---

(١) صحيح البخارى : المناقب : ٤/١٨٧ وصحيح مسلم واللفظ لمسلم عن ابن حجر: فتح البارى : كتاب الاعتصام بالسنه ١٣/٢٩٢ ، وروايات الحديث من الكثرة بحيث يصبح مستفيضا . متفق عليه .

(٢) تأمل قوله تعالى " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتي هي أحسن " .

المبحث الثالث - شبهات منكرى الرسالة والرد عليها :-

أثار عددٌ من الحاقدين على الاسلام ، المنكرين رسالة محمد صلى الله عليه وسلم شبهات عديده بقصدالإفساد والتضليل من أهمها :

الشبهة الأولى - شبهه الإفك والافتراء :-

قال جل وعلا حكاية عنهم " وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون "[1] ومعنى ذلك أن الذين كفروا من مشركي العرب[2]، قالوا إن القرآن الكريم كذب اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من عند نفسه ،ولم ينزل عليه شيء وأعانه على هذا الإختلاق أناس من اليهود من أبرزهم عداس مولى حويطب بن عبد العزى ، ويسار مولى عامر بن الحضرمي ، وجبريل مولى عامر بن الحضرمي وكانوا من أهل الكتاب يقرأون التوراة ، وقد هداهم الله للإسلام فأسلموا . وكان صلى الله عليه وسلم يتعهدهم ، ومن أجل ذلك قيل فيهم ما قيل .[3]

ومن المؤكد أن أكذب شيء أن يطلق المشركون هذه الفريه ،لأنهم يوقنون في قرارة أنفسهم أنها كذلك . فقد علم هؤلاء المشركون بالمعايشة صدق محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته حتى كانوا يسمونه " بالأمين "[4] الذي لا يكذب ولا يخون وكانوا

---

(١) سورة الفرقان آية : ٤ .

(٢) الذين كفروا : هم مشركو العرب لا جميع الكفار بقرينته ادعاء اعانة اهل الكتاب له . افك : كذب . افتراه : اختلقه واخترعه . انظر الرازى : التفسير ٢٤/٥٠ وابن كثير التفسير ٣/٣٠٩ والألوسي : روح المعاني ١٨/٢٣٤ . والمراغي التفسير ١٨/١٤٩ .

(٣) انظر الرازى : التفسير ٢٤/٥٠ ، والألوسي : روح المعاني ١٨/٢٣٤ .

(٤) انظر ابن هشام السيره : ١/٢١٤ .

يوقنون أنه ما كان ليدع الكذب عليهم ويكذب على الله عز وجل ."[١] وقد أخبر سبحانه عن حالهم هذه بقوله " فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون "[٢].

وبذلك يظهر أن اطلاق أمثال هذه الأباطيل على رجل يعرفون صدقه وأمانته فيهم إنما كان من قبيل الفساد واللجاج والخوف على مراكزهم الإجتماعية وسلطتهم الدينية على العرب.[٣] أو أن القوم كانوا يرمون من وراء ذلك إلى قطع الصلة بين القرآن الكريم وبين السماء بأن يجعلوه من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يجردون الشريعة الإسلامية من عناصر الخلود المستمدة من السماء .

وقد رد سبحانه وتعالى عليهم هذه الفرية بقوله تعالى " فقد جاءوا ظلما وزورا "[٤] لقد وصف سبحانه وتعالى كلامهم هذا بأنه مخالف للواقع ، لأنهم نسبوا هذا الكلام القبيح إلى من كان مبرأ عنه وهم يعلمون أنه كلام باطل لا أساس له ، ومختلق لأنهم اختلقوا هذا الكلام من عند أنفسهم ، ومالوا به عن جهة الحق وهم يعلمون ذلك .[٥]

ولنسلم جدلا أن القرآن الكريم اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، فما يمنع الكافرين والحاقدين على الإسلام أن يأتوا بمثله ، وأن يستعينوا بغيرهم كما استعان محمد صلى الله عليه وسلم بغيره حسب زعمهم مع وفرة الأدباء والشعراء والخطباء

---

(١) جزء من حديث أورده البخاري في صحيحه بدء الوحي ١ / ٥ .

(٢) سورة الأنعام آية ٣٣ .

(٣) وتظير ذلك قوله تعالى في قصة موسى " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم " سورة النحل/ ١٤ ويستشهد على ذلك بما ترويه كتب السير أن الاخنس بن شريق أتى إلى أبي جهل فقال له " يا أبا الحكم أخبرني عن محمد هل يكذب فقال أبو جهل ويحك والله إن محمدا لصادق ولكنا تنازعنا نحن وبني عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا . وأعطوا فأعطينا . وحملوا فحملنا حتى إذا كنا وإياهم متجاثين على الركب قالوا منا نبي يأتيه خبر السماء . فمن أين ندرك هذه فوالله لا نقر لهم بها أبدا " ابن هشام السيره ١ / ٣٣٨ .

(٤) سورة الفرقان آية / ٤ " الظلم وضع الشيء في غير موضع . الزور : الكذب " انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٩ وتفسير المراغي ١٨ / ١٤٩ .

(٥) انظر تفسير الرازى ٢٤ / ٥٠ وتفسير ابن كثير ٣ / ٣٠٩ . والألوسي : روح المعاني ١٨ / ٢٣٥ .

فيهم ، ليبطلوا حجته ، ويقصروا دعوته . وهو يتحداهم صباح مساء أن يأتوا بسورة مثله[١] ، فلما لم يرفعوا للتحدي رأسا ولم يقطعوا له حجة ، مع ما فيهم من أنفةٍ وحميةٍ علِمَ أن القرآن الكريم بلغ النهاية في الفصاحة . وانتهى إلى حد الإعجاز ، وأن إعادة مثل هذه الأباطيل لا يكون إلا للتمادي في الجهل والعناد لذلك اكتفى سبحانه في الرد عليهم بقوله " فقد جاءوا ظلما وزورا " مبينا بطلان هذا القول وتهافته وأنه لا يثبت أمام الحق والمنطق السليم .

الشبهة الثانية - شبهة الأساطير والأوهام التي اكتتبها صباح مساء :

وقد حكى القرآن الكريم عنهم هذه الشبهة بقوله تعالى " وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا "[٢] ومعنى ذلك أن القرآن الكريم ما هو إلا كتب الأولين استنسخها صلى الله عليه وسلم فهي تقرأ عليه من قبل بعض الأعبد من أهل الكتاب ، صباح مساء . ذلك لما وجدوا في القرآن الكريم من قصص الأولين يسوقها سبحانه للعبرة والعظة ، والتربية والتوجيه .

وهذا الكلام معروف كذبه وبهته منهم ، فقد علم بالتواتر وباتفاق أهل المعرفة أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني شيئا من الكتابة أو القرآءة لا في أول عمره ولا في آخره .[٣] وقد عاش حياته كلها بين أظهر قومه الأميين الذين لا يعرفون القراءة

---

(١) انظر تفسير الرازي ٢٤/٤٩ والنيسابوري : هامش جامع البيان ١٨/١٢٥ ، سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٥١ .

(٢) سورة الفرقان آية/٥ " أساطير الأولين : كتب الأولين . اكتتبها : استنسخها تملى عليه : تقرأ عليه . بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره " انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٠٩ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٠٩ .

والكتابة ، وهم يعرفون مدخله ومخرجه ، وصدقه ونزاهته ، وبره وأمانته ، وبعده عن أقذار الجاهلية كافة .[١] فلما أكرمه الله بالرسالة نصبوا له العداء ، ورموه بكل نقيصة ودناءة ، وحاروا فيما يقذفونه به . فتارة من إفكهم يقولون ساحر ، وتارةً يقولون شاعر ، وتارةً يقولون مجنون وازدجر ، وتارةً يقولون كذاب أشر . . . الخ ما هنالك من الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها وبعده عنها .[٢] وقد وصف الله عز وجل ما هم فيه من ضلال وحيرة وتخبط فقال سبحانه " أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا "[٣] وقد رد الله تبارك اسمه على قرية وصف القرآن الكريم بأنه أحاج واساطير رداً حاسما فقال " قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما "[٤] مبينا لهم أن القرآن الكريم ليس كما يزعمون جملةً من الأكاذيب والمفتريات ، بل هو تنزيل من حكيم حميد يعلم وحده أسرار السموات والأرض ، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء .[٥] لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو كتاب رباني لا صلة له بالبشرية إلا بمقدار كونه مصدر هدايتهم ، وموضع عزهم وفخارهم[٦] ، وقد ختم سبحانه رده الحاسم على فريتهم بما يناسب رحمته الواسعة بعباده أجمعين . فأبقى لهم باب المغفرة لمن تاب منهم مفتوحاً رغم ما بدا منهم من عناد واصرار وتصد لدعوة الحق ، لأنه بعباده رؤوف رحيم ، إشارة منه عز وجل إلى أن هذه الذنوب مهما

---

(١) انظر ابن هشام : السيره ١/١٧٨ و ١٩٦ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير نفس الصفحة .
(٣) سورة الفرقان آية / ٩ .
(٤) نفس السوره آية / ٦ .
(٥) انظر العلامه الألوسي : روح المعاني ١٨/٢٣٦ .
(٦) انظر تفسير الرازى ٢٤/٥١ ، والدكتور البهي تفسير سورة الفرقان ص ١٢ .

بلغت في العظم فإنه لا يتعاظم عنده ذنب إلا غفره ولا آيب للحق إلا قبله .[١]

الشبهة الثالثة - شبهة بشرية محمد صلى الله عليه وسلم مع كونه رسولا :

وقد حكى القرآن الكريم عنهم هذه الشبهة بقوله عز وجل " وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا[٢] " ومعنى ذلك العجب كل العجب من هذا الرسول ، ما له بشرا يتصرف تصرفات البشر يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ، ويسعى كما يسعون ويعيش كما يعيشون ، كيف يمكن أن يتصل بعالم آخر غير عالم الأرض يتلقى عنه ويوحي إليه ولا يتصل بهم ولا يوحى إليهم[٣] ؟ فقد عز على أولئك المشركين تبعاً لنظرتهم المادية أن يأتيهم رسول من البشر يأكل كما يأكلون ويسعى في طلب الرزق كما يسعون . واتخذوا من ذلك ذريعة لتكذيبه والاستهزاء به والطعن في رسالته . كماديين لا يؤمنون بحساب ولا يوقنون بعقاب . واقترحوا أن يكون معه ملك أو ثروة أو سلطان أو جاه يؤهله للنبوة والرسالة . وطالما أن محمدا فقير ويتيم وليس لديه ما يتميز به عن غيره ، فإنه يفتقد مؤهلات الرسالة التي يدعيها[٤] ، وما هو في حقيقته إلا ساحر يسحر الناس بحلاوة لسانه وطيب كلامه . وأن ما جاء به ما هو إلا أساطير الأولين .

---

(١) تجد مصداق ذلك بقوله تعالى " إن الله يغفر الذنوب جميعا " الزمر آيه ٥٣ . انظر تفسير ابن كثير ٣/٣٠٩ والألوسي : روح المعاني ١٨/٢٣٥ والمراغي التفسير ١٨/١٤٩ وسيد قطب : الظلال ٥/٢٥٥١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٧ - ١٠ .

(٣) انظر سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٥٢ .

(٤) انظر د . البهي : التفسير الموضوعي لسورة الفرقان ص ١٣ . ومحمد علي الصابوني ايجاز البيان ص ١٣ ونفس المؤلف : النبوة والانبياء ص ٢١ .

بهذا المنطق المادي ينكر المشركون اصطفاء الله لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعاً من الرسل بل سبقه في ذلك رسل كثير . ويجحدون أن النبوة هبة إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده . لا تدرك بالجد والتعب ولا بالقربات أو كثرة الطاعات بل بالاصطفاء والتخير[1] . وأن الله العليم الخبير " أعلم حيث يجعل رسالته "[2] وأن حكمته البالغه اقتضت أن يرسل للبشرية رسلا من أنفسهم يكون لهم القيادة والتوجيه ، والإنذار والتبليغ . والاعتراض على بشرية الرسول جهل بهذه الحكمة ، وجهل بتكريم الله للإنسان واستخلافه على هذه الأرض . فاختيار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على ضوابط مادية أو رغبات إنسانية[3] . إنما هو اصطفاء إلهي لهؤلاء الرسل الذين يمثلون ذروة الكمال البشرى ، وصفوة الخلق .

وقد رد سبحانه وتعالى على هذه المزاعم وفندها بقوله " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا "[4] بين سبحانه وتعالى برده على مطاعن المشركين واعتراضهم على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن جميع الرسل الذين أرسلهم عز وجل من قبل كانوا من البشر . وأن هذه سنة مستمرة من الله في كل رسله فلا وجه لهذا الطعن .[5] ويجب أن يقابل بالصبر لكي تنجح الدعوة .

---

(١) انظر محمد علي الصابوني : النبوة والانبياء ص ٨ .
(٢) سورة الانعام جزء الآيه ١٢٤ .
(٣) انظر الفصل الثالث : الحكمة من إرسال الرسل ص ١ وسيد قطب : الظلال ٥/٢٥٥٢ .
(٤) سورة الفرقان آية ٢٠ .
(٥) انظر الرازى : التفسير ٢٤/٦٥ .

والله سبحانه وتعالى كما جعل الأولاد والأموال فتنة جعل الناس بعضهم لبعض فتنة فهذا ثري وهذا نبي وهذا فقير وهذا وضيع وهذا مؤمن وهذا كافر، كل ذلك فتنة . فالنبي فتنة لقومه الذين حسدوه وأنكروا رسالته ، ونصبوا له العداء، والمؤمنون فتنة للمشركين الذين رموهم بكل داء . والفقير فتنةً للغنى بالتواضع وعدم إلاستطالة عليه والغني فتنةٌ للفقير بأن لا يحسده ويرضى بقضاء الله . والصبر في السراء والضراء لكلا الجانبين هو مسند النجاح في كل دعوى[1]، والله سبحانه عليم بمن يصبر أو لا يصبر .

أما زعم المشركين بأن عدم مصاحبة الرسول ملكاً من الملائكه أو مشاركته إياه في الدعوه يحول دون التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد رد عليه سبحانه مفندا هذه الشبهة بالآية الثامنه من سورة الأنعام .[2] وقد بين سبحانه فيها أن إنزال الملك ورؤيته بوضوح من قبل الناس إنما يكون يوم البعث والجزاء، لأن رؤية الملك على صورته الأصليه مستحيلة لغير الأنبياء " يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا "[3] ونزول الملائكة ورؤيتهم في ذلك اليوم لا يفيد الكافرين في شيء بل سيكون وبالاً عليهم ، لأن فرض الإيمان بالله تكون قد انتهت . وعلى فرض نزول ملك بالرسالة ومشاركة الرسول فإن الملك سيتكون بهيئة رجل ليكون في مقدور البشرية رؤية الملك وعندئذ يلتبس أمره أهو ملك أم بشر ؟ فلا يؤمنوا لالتباسه عليهم ولعدم إلفتهم له .[4]

---

(١) انظر المصدر السابق نفس الصفحة والدكتور البهي : تفسير سورة الفرقان ص ١٩ .
(٢) قال تعالى " وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون " آية ٨ الأنعام
(٣) سورة الفرقان آية ٢٢ ، انظر الرازى : التفسير ١٢/١٦٢ .
(٤) يؤيد ذلك قوله تعالى " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون " سورة الانعام آية ٨ ، انظر د . البهي : سورة الفرقان ص ١٣ وما بعدها .

ومن اعتراضاتهم الساذجه أيضاً مقاييسهم المادية . وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم من الفقراء الذين ليس لهم حول ولا طول ولا جاه ولا زعامة . وعدم تأييد الله له بمالٍ وفير أو جنةٍ تغنيه عن السعي في طلب الرزق.دليل عندهم على عدم أهليته للرسالة.! هذا المنطق المادي الذي يرى أن الحياة بما فيها من ترف وثراء هي الهدف الأسمى ، يختلف عن المنطق الإسلامي الذى يترفع عن المنطق المادى ويعتبره ظلاً زائلاً مآله إلى تراب . ويُمَجِد مُثُل الإنسان وسلوكه وتفكيره وارتباطه في الحياة .[1] فليس ثمة تلازم بين المُثُل الإسلامية الراقية التي يدعوا إليها ووفرة الثراء . فكثيرا ما تتواجد مُثُل هذه المُثُل مع الفقراء ، ويندر وجودها مع الأثرياء .[2] ولو شاء سبحانه لجعل لرسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من الثراء المادي ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة من الرجال . وقد خصه سبحانه دون غيره من الأنبياء أن أعطاه مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة . فقد أخرج البخارى ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بُعِثْتُ بجوامع الكلم ، ونُصِرْتُ بالرعب وبينما أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي "[3] لكنه جل وعلا يريد لرسوله أن يكون قدوة حسنة لأمته ، لا عالة متطفلا على عمل غيره ، يريد أن ينهض بأعباء الدعوة الضخمة إلى الله وهو يسعى لرزقه كما يسعى أي رجل آخر من أمته ، يريد له أن يُعاني صراع الحياة . ويكايد مشقة العيش وهو يُبلغ رسالة ربه .[4] ولقد انهال عليه المال بعد ذلك وإنه ليحثوه حثواً على الفقراء والمساكين

---

(١) انظر المصدر السابق ص ١٤ وما بعدها د . البهي .
(٢) انظر المصدر السابق ص ١٥ .
(٣) صحيح البخارى : كتاب الاعتصام ٨/ ١٣٨ ومسلم : كتاب المساجد ٥/ ٥ متفق عليه .
(٤) انظر سيد قطب : الظلال ٥/ ٢٥٥٣ .

والمحتاجين ، فلم يشغله أو يعطله عن رسالة ربه ، بل مضى في دعوته شأنه في ذلك شأنه يوم كان فقيرا .[١]

الشبهة الرابعة - شبهة السحر :

فقد حكى القرآن الكريم عن المشركين هذه الشبهة بقوله تعالى " وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا "[٢] ومعنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رجل مخدوع ومغلوب على أمره سُحِرَ عقله وغُرِبَ قوله[٣]، وقد رد سبحانه وتعالى هذه الفرية ووصف قائليها بأنهم " ظالمون " هذه المقولة الظالمة من مشركي مكة إنما يراد بها الاستهانة بشخص الرسول والتنقيص من قدره[٤] ويعقب عز وجل بالرد على هذه الإدعاءات الباطلة . ويواسي نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى " انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا "[٥] من خلال هذا التعقيب تبعث المواساة . إذ يقول تبارك اسمه انظر يامحمد إلى حيرة المشركين واضطرابهم في القول بأمرك ، إذ يقولون تارة بأنك مسحور ، وتارة يتهمونك بالتزوير ، وتارة يمثلونك براوٍ للأساطير ، وكله ضلال فلا يهتدون بأمرك إلى سبيلٍ غير سبيل الضلال .[٦]

ويرى الإمام الفخر الرازى أن هذه الصفة لا تصلح أن تكون جوابا عن تلك الشبهة التي وردت بقولهم " ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . . . الخ الآية . لأن ما يميز النبوة هو المعجزة ، وهذه الأسئلة لا يقدح منها شيء في المعجزة . وبالتالي

---

(١) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .
(٢) سورة الفرقان جزء الآيه : ٨ .
(٣) الرازى : التفسير ٢٠ / ٢٢٣ والدكتور محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ص ١٥ ، وسيد قطب : الظلال ص ٢٥٥٤ .
(٤) انظر سيد قطب : الظلال ٥ / ٢٥٥٤ .
(٥) سورة الفرقان آية : ٩ .
(٦) انظر المصدر السابق نفس الصفحة . ود . محمد البهي : تفسير سورة الفرقان ص ١٥ .
" سحر عقله : خدع عقله أو فسد " القاموس المحيط ٢ / ٤٥ .

فلا يقدح منها شيء في النبوة ، ويرى أن الضلال لما رجح في قلوبهم استحال قبول الحق منهم ، وما كان محالاً لم يكن لهم عليه قدرة .[١]

وينهي سبحانه وتعالى هذا الجدل ببيان تفاهة ما يطلبون من أشياء مادية مآلها إلى تراب ويبين أن الله تبارك اسمه لو شاء لأعطاك خيراً من هذا المتاع الزائل . متاعاً وزخرفاً دينوياً متجدداً "تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا "[٢] لكن شاءت إرادته أن يجعل لك خيراً من هذا المتاع المادي الطويل اصطفاءك للرساله . والاتصال به روحياً ، وهذا فضل عظيم قلما يناله صاحب جاه أو سلطان أو ثراء . هذا الإصطفاء يتهافت أمامه كل ترف أو سلطان يؤول إلى زوال .[٣]

الشبهة الخامسة - شبهة إنزال الملائكة أو رؤية الله سبحانه وتعالى علواً كبيرا :[٤]

وقد حكى القرآن الكريم هذه الشبهة بقوله تعالى " وقال الذين لا يرجون لقائنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا . لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتوا كبيرا"[٥] شرع سبحانه في حكاية نوع آخر من أقاويل المشركين الذين لا يؤمنون بمعاد ولا يوقنون بحساب ولا يخافون لقاء الله ، أنه لِمَ لَمْ ينزل الله الملائكة ، أو لِمَ لا يرون ربهم فيخبرهم

---

(١) انظر التفسير الكبير ٢٤ / ٥٢-٥٣ .
(٢) سورة الفرقان آية / ١٠ .
(٣) انظر سيد قطب : الظلال ٥ / ٢٥٥٤ والدكتور البهي : تفسير سورة الفرقان ص ١٥ .
(٤) انظر الامام الرازي : التفسير ٢٤ / ٦٧ .
(٥) سورة الفرقان الآيه : ٢١ .

بأنه أرسل لهم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا[١]، وقد رد سبحانه على هذه الأقاويل الباطلة مفندا إياها أن مصدر هذا التطاول على مقام الألوهيه كونهم مشركين لا يوقنون بمعاد ولا يخافون عقابا ، عَظُمَ شأنهم في أنفسهم ، فاستكبروا وطغوا طغياناً كبيرا حتى ظنوا أنهم أهل لنزول الملائكة عليهم أو رؤية ربهم[٢] . وهم ما هم عليه من قوة أو جاه أو سلطان ، ويعتبرون أنفسهم أكبر من أن يرسل لهم سبحانه وتعالى مثل محمدٍ رسولاً لهم ، ونسوا أنهم لا يساوون الهباء إلى جانب العظيم الجبار ، إلا أن يربطوا أنفسهم بالله عن طريق الايمان برسوله ، فتظهر عندئذ قيمتهم كأناس عبيد لله سبحانه ، وهذا منتهى التشريف الإلهي[٣] لهم . وعلى فرض نزول الملائكة[٤] أو رؤية الله سبحانه وتعالى علواً كبيرا ، فلا يزيد في التصديق سوى إظهار الأمر المعجز . وقد ظهر الأمر المعجز شاهداً على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وعلماً على نبوته ودلالةً على رسالته . وهو القرآن الكريم الذى تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم يرفعوا له رأسا ولم يقطعوا له حجة . وليس ثمة أكبر من العجز دليلا على الصدق[٥] .

ثم عقب سبحانه على هذا الرد ببيان أن رؤية الملائكة أمر مرتبط باليوم الآخر الذى لا أمل فيه لمشركٍ في إيمان ، ولا فرصة لمجرمٍ في غفران ، فالابتلاء قد انتهى ، وأمر الحساب قد حان . والملائكة تسوق المجرمين إلى جهنم زمرا ، وتوفد المتقين

---

(١) انظر الرازى التفسير ٢٤/٦٧ والألوسي روح المعاني ١٩/١ .
(٢) انظر المصدر السابق ٢٤/٦٨ والدكتور البهي تفسير سورة الفرقان ص ٢٠ .
(٣) انظر سيد قطب الظلال ٥/٢٥٥٨ .
(٤) استقصينا ذلك في الشبهة الثالثه من هذا المبحث ص ١٦٠ وما بعدها .
(٥) انظر الرازى التفسير ٢٤/٦٨ .

إلى الرحمن وفداً عندها يقول المجرمون " حجراً محجورا " أي حراماً مُحَرَّما ، إتقاء للشر أو استبعاداً لأعدائهم أو تحرزا من أذاهم.[١]

أما الشبهة السادسة والأخيرة التي أثارها منكرو رسالته صلى الله عليه وسلم فهي نزول القرآن الكريم مُنَجَّما حسب الوقائع ، وفي ذلك يقول عز وجل " وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملةً واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا "[٢] تشير الآية إلى مطعن آخر من مطاعن المشركين الوثنيين هو أن القرآن لو كان من عند الله لنزل جملة واحدة أسوة بالكتب السماوية التي سبقته[٣] . ولكان أدعى إلى الإيمان بالله والتصديق برسوله .[٤] ولكن الله تبارك اسمه الذي تولى مناقحة المشركين عن نبيه صلى الله عليه وسلم لم يمهل المشركين كثيراً بل جاء الرد الإلهي الحاسم على هذه الشبهة في توجيه الخطاب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يأبه لهؤلاء المشركين بل أهملهم وبين لنبيه صلوات الله وسلامه عليه الحكمة التي من أجلها نزل القرآن الكريم مُنَجَّما ، فقد نزل القرآن الكريم جملة في ليلة القدر من شهر رمضان . من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا . ثم نزل مُفَرَّقا على خلاف المعهود

---

(١) انظر الرازى :التفسير ٢٤/٦٩ وابن كثير التفسير ٣/٣١٨ وسيد قطب : الظلال ٥/٢٥٥٨ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٣٢ .

(٣) انظر تفسير الرازى ٢٤/٦٩ وابن جزى : كتاب التسهيل ٣/٧٨ . ويرى الإمام المراغي رحمه الله أن الكتب السماويه وخاصة التوراة نزلت منجمة في ثمان عشر سنه مستدلاً على ذلك بنصوص من التوراة . علما بأن التوراه لا يصح الإستدلال بنصوصها لأنها محرفه . ويقول أيضا وليس ثمة دليل قاطع على خلاف ذلك من كتاب أو سنه . انظر التفسير ١٩/١١ . ولم أر واحداً من كتب التفاسير التي اطلعت عليها أشار إلى ما ذهب إليه بل توهت بخلاف هذا الرأى . والذي أراه أن الكتب السابقة لو كان نزولها منجما مثل القرآن لما كان نزول القرآن منجما شبهة في نفوس المشركين ولما اعترضوا على تنجيمه ، ولهذا الأمر طبيعيا .

(٤) انظر الدكتور البهي : تفسير سورة الفرقان ص ٢٣ .

في إنزال الكتب السماوية بحسب الوقائع والحوادث في ثلاث وعشرين سنة على الأرجح[1] .

والحكمة التي اقتضتها إرادة الله سبحانه في نزول القرآن الكريم منجماً حسب ما تفيد الآية هي :-

أولا : تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم : فكان يتنزل عليه الوحي الفينة بعد الفينة ،تقوية لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم على أداء ما حُمِّل ، واحتمال أذى قومه . والصبر على إبلاغ الدعوة والمثابرة على الجهاد ، فقد نزل القرآن الكريم ليربي أمة أمية ، غلاظ الأكباد ، فُطِرَ أبناؤها على الجفوة والعناد ، والحفاظ على موروثات الآباء والأجداد ، وقد لاقى منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنواع الإيذاء النفسي والحسي ما لم يتعرض له نبي قبله . ومع ذلك كان حريصاً أشد الحرص على هدايتهم حتى بلغ مرحلة العتاب الإلهي[2] . وهكذا كانت آيات

---

(١) يقول عز وجل " إنا انزلناه في ليلة القدر " وقوله تعالى " إنا انزلناه في ليلة مباركة سورة الدخان / ٣ وقوله تعالى " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " البقره آية ١٨٤ ، ولا تعارض في هذه النصوص مطلقا . أما معنى تخصيص إنزاله في رمضان فإن العلامه الألوسي يروي عن محمد بن إسحاق وعن ابن عباس وابن جبير والحسن أنه نزل جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض في ثلاث وعشرين سنه . وينقل الإجماع على هذا القول ١٩٠/٣٠ كما ينقل عن ابن حجر في فتح البارى مثل هذا القول إلا أني لم أجد لهذا القول أثرا في فتح البارى في تفسير سورة " إنا انزلناه " يحتمل في سورة أخرى ، ويقول ابن حجر " إنه لم يذكر في سورة القدر حديثا مرفوعا " فتح البارى ٧٢٥/٨ والإمام الرازى في تفسيره ٨٤/٥ وما بعدها وابن كثير في تفسيره ٥٢٩/٤ وينقل الرازى قولا عن محمد ابن اسحاق أن القرآن ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، كما يروى عن ابن عمر أنه استدل بهذه الآية " إنا أنزلناه في ليلة القدر " أن ليلة القدر لابد ان تكون في رمضان . كما ينقل الإمام الرازى قولا آخر أن الله كان ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا من القرآن ما يعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم وامته بحاجة إليه في تلك السنه ثم ينزله على الرسول نجوما بحسب الحاجة . وينقل عن عامر ابن شرحبيل المعروف بالشعبي وهو من كبار التابعين / صفة الصفوة ٧٦/٣٠ . أن المراد بنزول القرآن إبتداء نزوله لأن بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان في رمضان . انظر تفسير الرازى ٨٤/٥ وما بعدها . ويظهر من هذه الأقوال ان للقرآن الكريم نزولين : جملة إلى السماء الدنيا ومنجما إلى الأرض حسب الوقائع .

(٢) يؤيد ذلك قوله تعالى " لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " سورة الكهف آية : ٦ .

القرآن تتنزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية وعزاء وتثبيتا حتى لا يستبد به الأسى ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلا . وهذا ما يشعر باعتناء الله عز وجل برسوله وعظم شأنه لديه .[1]

ثانيا : الحكمة من الترتيل :-

للترتيل معان منها : " التبيين، ومنها التفسير، ومنها التأني في التلاوه "[2] وقد يأتي " بعضه إثر بعض "[3] ويقصد به التتابع وفق حكمة الله واستعداد الناس للتلقي . وبهذا النهج حقق القرآن خوارق في تكييف نفوس أتباعه . وتأثرها به . حتى انساحت لهم الدنيا هُداةً فاتحين لا غزاة طامعين . ولما غفل المسلمون عن هذا المنهج واتخذوا القرآن كتاب متعةٍ وتعبد لا كتاب هداية ومنهج عمل ، لم ينتفعوا بالقرآن وهو بين أيديهم ، فكان أضيع من الأيتام على موائد اللئام .

ولقد أبدع سيد قطب رحمه الله في جلاء حكمة التنجيم فقال :

" ولقد جاء القرآن الكريم ليربي أمة ويُنشيء مجتمعاً ، ويُقيم نظاما . والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر ، وانفعال بالكلمة ، وإلى حركة تُتَرْجِم التأثر والإنفعال إلى واقع . والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب شامل كامل للمنهج الجديد . انما تتأثر يوماً بعد يوم بطرف من هذا المنهج . وتتدرج في مراقيه

(١) انظر الرازى : التفسير ٢٤/٧٩ والنيسابورى : هامش جامع البيان ١٩/١١ وسيد قطب : الظلال ٥/٢٥٦٢ ، ومناع قطان : علوم القرآن ص ١٠٧ .

(٢) ومنها " شيئا بعد شيء " القرطبي : جامع لاحكام القرآن ١٣/٢٧ ومنها " فصلناه تفصيلا " بيناه بيانا فيه ترسل . ومنها الأمر بترتيل قراءته " الألوسي : روح المعاني ١٩/١٤ وقيل الترسل والتثبت ، والتفرق " ابن جرير الطبرى : جامع البيان ١٩/٨ . وابن كثير : التفسير ٣/٣١٧ .

(٣) الرازى : التفسير ٢٤/٧٨ .

رويداً رويداً وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً ، فلا تجفل منه كما تجفل لو قُدِّمَ لها ضخماً ثقيلاً عسيراً . وهي تنمو في كل يوم بالوجبة المغذية فتصبح في اليوم التالي أكثر استعداداً للانتفاع بالوجبة التالية ، وأشد قابلية لها والتذاذاً بها "[1]. ثم يتابع سيد قيقول :

" ولقد جاء القرآن بمنهاج كاملٍ شاملٍ للحياة كلها . وجاء في الوقت ذاته بمنهاجٍ للتربية يوافق الفطرة البشرية عن علم بها من خالقها . فجاء لذلك مُنَجَّما وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة . وهي في طريق نشأتها ونموها . ووفق استعدادها الذى ينمو يوماً بعد يوم في ظل المنهج التربوى الإلهي الدقيق . جاء ليكون منهج تربيةٍ ومنهج حياةٍ لا ليكون كتاب ثقافة يُقْرأ لمجرد اللذة أو لمجرد المعرفة . جاء لينفذ حرفاً حرفاً ، وكلمةً كلمةً ، وتكليفاً تكليفاً جاء ليكون آياته هي " الأوامر اليومية " التي يتلقاها المسلمون في حينها ليعملوا بها فور تلقيها ، كما يتلقى الجندي في ثكنة أو في الميدان " الأمر اليومي " مع التأثر والفهم والرغبة في التنفيذ ، ومع الانطباع والتكييف وفق ما يتلقاه . من أجل هذا كله نزل القرآن مفصلا " .[2]

ولقد كان لهذا المنهج الإلهي . نزول القرآن الكريم منجماً - أكبر الأثر في مجال التربية والتعليم . وفي ذلك يقول الشيخ مناع قطان شارحاً هذه الفكرة ومبيناً " أن القرآن تدرج في تربية الأمة الإسلامية تدرجاً فطرياً لإصلاح النفس البشرية واستقامة سلوكها وبناء شخصيتها وتكامل كيانها حتى استوت على سوقها - وآتت أكلها الطيب بإذن ربها لخير الإنسانية كافة - وكان تنجيم القرآن خير عون لها على حفظه وفهمه ومدارسته .

---

(١) سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٦٢ .
(٢) سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٦٢ .
مفصلا : سمي القرآن مفصلا لكثرة الفصول بين سوره . ومن معاني التفصيل : التبيين انظر القاموس المحيط ٤/٣٠ . سبق أن بينا أن من احد معاني الترتيل : التبيين .

وتدبر معانيه - والعمل بما فيه ، وبين نزول القرآن في مطلع الوحي ، ونزول آيات الربا والمواريث وآيات القتال ، مراحل تربوية كثيرة لها أساليبها التي تلائم مستوى المجتمع الإسلامي في تدرجه من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى شدة البأس" .[١]

ثالثا - ليسهل حفظه وفهمه[٢] :-

لقد نزل القرآن الكريم على رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب.وعلى أمة أمية جهلاء لا تعرف قراءة ولا تعني بكتابه ، لها ذاكرة حافظه ، فلو نزل القرآن جملة واحدة لصعب عليه وعلى أمته ضبطه ووعيه ، فكان في نزول القرآن مرتلاً خير عون له صلى الله عليه وسلم ولأمته على حفظه وفهمه .[٣] وقد اعتبر هذا منهجا للتعليم في حياة الصحابه إلى عصرنا هذا .[٤] فقد أخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله " تعلموا القرآن خمس آيات فان جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمسا خمسا " .[٥]

رابعا - التدرج في التشريع :-

لو نزل القرآن الكريم جملة واحده غير مرتل لنزلت الشرائع بأسرها دفعةً واحدة ولثقل على الأمة [٦] فكان في نزول القرآن منجما منهجاً للبشرية شاملاً كاملاً . يوافق

(١) انظر مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ص ١١٦ .
(٢) بينا فيما سبق ص١٦٩ أن من معاني الترتيل التثبت والتفرق . وبعضه إثر بعض .
(٣) إلى هذا يتوجه قوله تعالى لنبيه " لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه " سورة القيامه آية : ١٦ - ١٧ .
(٤) انظر الرازى : التفسير ٢٤/ ٧٩ والقرطبي : جامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٧ ، ومناع قطان : علوم القرآن ص ١١٠ .
(٥) البيهقي : السنن الكبرى شعب الايمان .
(٦) انظر الرازى : التفسير ٢٤/ ٧٩ .

الفطرة ويعبر عن حاجاتها . فالقرآن الكريم جاء ليربي أمةً ، وينشىء مجتمعاً ، ويقيم نظاماً ، والتربية تحتاج إلى زمن وتأثر وانفعال ، ثم يتبعها التحول والتعلم . والشعوب لا تتحول تحولاً كاملا بين عشية وضحاها .[1] كما لا تتأثر بقراءة كتاب يعبر عن منهج شامل كامل . إنما تتحول وتتأثر يوماً بعد يوم . وساعةً بعد ساعة بطرف من المنهج تتعلمه وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئا . والقرآن الكريم بما فيه من أحكام وعقائد وقواعد الحلال والحرام وأوامر ونواهي وزواجر دعوة إلى التحول من الجاهلية المادية إلى اقامة المجتمع الإنساني الإسلامي .[2] ونجاح هذا التحول مرهون بالتدرج في نقل النفوس من حياة الدعة والخمول إلى حياة الجد والنشاط فالأوضاع الإجتماعية الجاهلية بغيضة في تكوينها الأسرى ، في سمتها المالي ، في معاملاتها الربوية ، في عقائدها الوثنيه ، في وأدها لبناتها ، في دعارة اخلاقها ، في التمايز بين أفرادها - وللإنسان من دهره ما تعودا - فترك هذه العادات والتخلق بالأخلاق الإسلامية يحتاج إلى زمن وإعداد وتأثر وانفعال . والقرآن الكريم بنزوله منجماً كان يراعي المدى الذى وصل إليه تحول النفوس . فمرحلة الترغيب في الترك يتبعها مرحلة النهي عن الفعل ، ومرحلة الأمر بالشيء يسبقها مرحلة الترغيب في الشيء . وهكذا كان خط سير الدعوة ، ترغيبٌ في الترك ثم نهي عنه ، وترغيب في العمل ثم أمر له .[3]

---

(١) انظر سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٦٢ ومناع قطان علوم القرآن ص ١١١ .

(٢) انظر المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) انظر د . البهي سورة الفرقان ص ٢٤ مثال ذلك تحريم الخمر إنما كان على مراحل تعداد لمضارها ، وتنفير منها ، ثم إبعادها عن شعائر العبادة ثم الأمر بتركها . ويوضح هذه الحكمه ما رواه البخارى بسنده عن عائشه رضي الله عنها قالت : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنه والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام . ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنى أبدا " . فضائل القرآن ٦/١٠٠ . وكذلك الربا والصلاة وأصول الايمان وبقية الشرائع كان التدرج في نزولها سببا في تقبلها .

فالتنجيم إذن في نزول القرآن هو الأنسب والأفضل لرعاية المجتمع الإسلامي ، والأخذ بيده برفق نحو الهداية والرشاد .

هذه شبه منكري رسالته صلى الله عليه وسلم وهي تعاد وتكرر في جميع الأعصار والأمصار وقد تولى سبحانه وتعالى تفنيدها والرد عليها بأجمل رد ، وأرصن بيان . وما أفضت ببيانه لا يخرج عن كونه شرحاً لهذا الرد الإلهي الجميل . وإني لأجد متعة في إجمال هذه الشبه وبيان الرد الإلهي عليها بإيجاز ليسهل استيعابها :

أولا - شبهة الإفك والافتراء :

وقد عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى " وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون " رد عليهم عز وجل بقوله "فقد جاءوا ظلما وزورا " مبيناً قبحه واختلاقه وبعده عن الواقع .

ثانيا : الأساطير والأوهام :-

وقد عبر عنها القرآن الكريم بقوله جل ثناؤه " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا " فقد جاء الرد بشكل خطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله " قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما " .

ثالثا : شبهة بشرية محمد صلى الله عليه وسلم مع كونه رسولا :-

وقد حكاها عنهم سبحانه وتعالى بقوله " وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها " وقد فند عز وجل هذه الطاعن بقوله " وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنةً أتصبرون وكان ربك بصيرا " .

رابعا : شبهة السحر والأوهام :-

وقد وصف سبحانه وتعالى قائليها بأنهم ظلمه لأنهم هم أنفسهم يعلمون بعد محمد صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا الافتراء والدجل . بقوله : وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا " .

الشبهة الخامسة : شبهة إنزال الملائكة أو رؤية الله سبحانه وتعالى علو كبيرا :

وقد حكى القرآن هذه الشبهة بقوله " وقال الذين لا يرجون لقائنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا " ثم وصف قائليها بأنهم عتاة متكبرون بقوله " لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا .

الشبهة السادسة والأخيرة : وهي نزول القرآن منجما : وقد عبر عنها سبحانه بقوله " وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة . كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا " وقد وصفهم بأنهم كفره لأنهم ستروا الحكمة من التنزيل وطالبوا بالنقيض .

الباب الثاني

الداعية في سورة الفرقان

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مهمة الداعي وواجباته .

الفصل الثاني : الصفات الذاتيه للداعية .

الفصل الثالث : الصفات السلوكية للداعية .

الفصل الأول : مهمة الداعية وواجباته

المبحث الأول : البلاغ بأسلوب التبشير والانذار

شاء الله للبشرية أن تبلغ درجة الرشد والكمال ، فأذن عندئذ بمجيء الدعوة الإسلامية . واختار محمداً صلى الله عليه وسلم لهذه الرسالة ، وهيأه وأعده لحمل هذه الأمانة . وما إن اكتملت رجولته حتى حُبِبَ إليه الخلاء ، فكان يتحنث في غار حراء الليالي الطوال ، مفكراً في ملكوت الله سبحانه وتعالى[1] . يهفو قلبه إلى الحق ، وترنو عيناه إلى السماء ، ولما أصبح على رأس الأربعين من عمره جاءه جبريل عليه السلام بفواتح سورة إقرأ . ثم تتابع الوحي ، ونزلت عليه فيما نزل سورة الفرقان وفيها يقول عز وجل " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "[2] .

هذه الآية تشير - فيما تشير إليه من أمور - إلى مهمة الداعية الأول محمد صلى الله عليه وسلم والدعاة من بعده . وهي البلاغ بإسلوب التبشير والإنذار وذلك حين تذكر أن علة نزول الفرقان هي إنذار العالمين .

والإنذار أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله . فهو شقيق التبشير الذى جاء في هذه السور أيضا ، حيث قال عز وجل " وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا "[3] .

---

(١) انظر ابن هشام : السيرة النبويه : ١/٢٥٣ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ .
(٣) سورة الفرقان آية ٥٥ .

فالدعوة كما تحتاج في تبليغها إلى بشارة أصحاب القلوب الطيبة ، والنفوس الصافية ، ليضحوا في سبيلها ، ويتحملوا ما قد يتعرضون له من أذى وبلاء ، تحتاج أيضا إلى إنذار القوى الفاشمة التي تقف في سبيلها ، وتحول بينها وبين الراغبين في الدخول فيها ، الذين يريدون أن يصيخوا السمع لدعاتها ، ليفهموها ، ويعملوا وفق تعاليمها . لذا فإن كلاً من أسلوب الإنذار والتبشير ، أو الترغيب والترهيب لازم للداعية كي يبلغ رسالة الإسلام . وفي هذا إشارة واضحة إلى أن مهام الداعية إلى الله ، استخدام وسيلتي الترغيب والترهيب - حسب المقتضيات - ليصل إلى هدفه الأسمى ، وهو إيصال هدى الإسلام للعالمين .

لقد أرسل الله محمداً صلى الله عليه وسلم - إذ - بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً ، وداعيا إلى الله باذنه ، وسراجا منيرا . وبين له سبحانه في هذه السورة المنهج والأسلوب ، فامتثل أمر الله ، وبلغ الأمانة ، وأدى الرسالة ، وصدع بالحق ، وجاهر بعبادة الله وحده ، ونبذ عبادة ما سواه ، كما دعا إلى صالح الأعمال ومكارم الاخلاق وتحكيم شريعة الإسلام في كل مناحي الحياة .

كما ندد صلى الله عليه وسلم بالشرك والوثنيه وأظهر فساد نظمهم الإجتماعية ، فكان بذلك الأسوة الحسنة للدعاة من بعده .

فعلى الدعاة إلى الله أن يمضوا في طريق دعوتهم كما رسمها لهم ربهم عز وجل - مبشرين ومنذرين - أى مبشرين للمؤمنين ومنذرين للكافرين .[1] لا يرهبهم في ذلك جمع ، ولا يثنيهم طمع ، حتى يبلغوا الرسالة ، ويؤدوا الأمانة ، كما أداها من قبلهم نبيهم وإمامهم محمد صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) انظر ابن كثير : التفسير ٣/٣٢٢ وسيد قطب الظلال ٥/٢٥٧٤ .

المبحث الثاني : تحمل الأذى في سبيل المبدأ

وكما بلغ صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة وجاهر بالحق ، ندد بالشرك والوثنية ، وعاب أصنامهم وسفه أحلامهم وأظهر فساد نظمهم الاجتماعية . فأدركت قريش ما في دعوته صلى الله عليه وسلم من خطر على عقائدهم الموروثة وسلطتهم الدنيوية . الأمر الذي فجر نقمتها عليه ، فقابلته بالإعراض والاستهزاء ثم بالكيد والعداء . وطعنوا في رسالته ولغوا فيها . وقالوا عنها مجموعة من الاساطير والمفتريات ، وفي ذلك يقول عز وجل " وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا "[1] وقوله أيضا : " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا "[2] فقد تحمل صلى الله عليه وسلم في سبيل دعوته من الأذى النفسي والحسي الشيء الكثير . فقال له عمه أبو لهب " تبا لك ألهذا جمعتنا "[3] ومر أبا جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، الأمر الذي كان سببا في إسلام عمه حمزة رضي الله عنه .[4] كما جربوا معه ومع الذين آمنوا معه سلاح المقاطعة فحصروهم في شعب أبي طالب مدة ثلاث سنوات حتى بلغ بهم الجهد .[5] وبعد وفاة عمه وزوجه نالت منه قريش ما لم تكن تطمع أن تناله في حياته . فقد أخرج البخاري بسنده عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : " بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في

---

(١) سورة الفرقان آية ٤١ .
(٢) نفس السورة آية ٥ .
(٣) ابن هشام : سيرة النبي ١/ ٢٧٣ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٣١٢ .
(٥) المصدر السابق ١/ ٣٧١ .

عنقه فخنقه خنقا شديدا . فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال : اتقتلون رجلا يقول ربي الله "[١] كما بالغت في ايذاء أصحابه ، فمات ياسر صبرا وقتلت سميه وبقر بطنها ، ولاقى كثير من المؤمنين من العذاب ما لا يحتمل ، فقد روى ابن الجوزي بسنده عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال : " ولقد وضعوا النار على ظهري فما أطفأها إلا ودك ظهري "[٢] كما أخرج البخاري بسنده عن خباب نفسه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا يارسول الله ألا تستنصر لنا ، فجلس محمراً وجهه فقال ، والله لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون "[٣] بهذا أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أصحابه أن تحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله هو سنته وسنة الأنبياء من قبله فقد أخرج البخارى بسنده عن عبد الله قال : كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "[٤] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب مناقب الانصار ٤ / ٢٤٠ .
(٢) ابن الجوزى : صفة الصفوه ١ / ٤٢٩ " الودك : الدسم " الفيروزابادى : القاموس المحيط ٣ / ٣٢٢ .
(٣) البخارى : كتاب الاكراه ٨ / ٥٦ وابن الجوزى : صفة الصفوة ١ / ٤٢٨ .
(٤) المصدر السابق : كتاب الانبياء ٤ / ١٥١ .

فعلى الدعاة إلى الله أن يسلكوا في دعوتهم المسلك الذي سلكه الداعي الأول محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه من بعده ، مبشرين ومنذرين ، هادين ومبلغين يغشون المجتمعات والأندية ويحاورون القاصي والداني ، يمنون الناس بثواب الله ، ويهددونهم في بعقابه ، عدتهم في ذلك القرآن وسلاحهم الإيمان ، وشعارهم تحمل الأذى في سبيل الدعوة ، متأسين بمن سبقهم من الأنبياء والصالحين (١).

فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في المواسم والأسواق ويتحمل الأذى وشظف العيش ، حتى زلزل قلوبهم وسحر أفئدتهم وكادوا يتركون آلهتهم مع شدة حرصهم عليها ، لولا أنهم قاوموا تأثرهم به وانقيادهم إليه ، وفي ذلك يقول سبحانه " إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا " (٢) فليس له من مطمع في أجر ولا عرض من عروض الدنيا ، سوى الهداية والرشاد ، والمثوبة من رب العباد .

وخلاصة القول : أن البلاغ هو غاية الداعي إلى الله تعالى بدءاً بالأنبياء من لدن آدم عليه السلام حتى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم رسل الله ، وانتهاءً بورثتهم من العلماء والدعاة . وقد تبين مما سبق أن من مهام هؤلاء الدعاة وواجباتهم التي تؤدي بهم إلى تحقيق تبليغ الدعوة وانتشارها هو التبشير والإنذار ، وتحمل الأذى الذي يتعرضون له من قبل المدعوين .

---

(١) وبذلك يتحقق فيهم قوله تعالى " أم حسبتم ان تدخلوا الجنه ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله . ألا إن نصر الله قريب " البقرة آية : ٢١٤ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٤٢ .

واذا كانت مهمة الداعي الأول محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام كما رأينا صعبة فإن مهمة الدعاة إلى الله في هذا العصر أصعب . لأن الهدف واحد وهو مخاطبة القلوب بالحكمة والموعظة الحسنه وجدال المخالفين بالتي هي أحسن . وما من عصر من العصور بلغت الحاجة فيه إلى الداعي الكفء ، مثل ما بلغ في عصرنا هذا . حيث تكالبت قوى الشر والفساد على طمس معالم هذا الدين . فعلى معاهد الدعوة الاسلامية -إن كانت تملك حرية الرأي - أن تبدأ في تكوين الدعاة إلى الله منذ فترة التكوين ، تهيء لهم البيئة الصالحة ، وتلقنهم العلم المفيد ، وتشجع النابهين منهم ، ولهم في رسول الله الأسوة الحسنة . ظل في مكة ثلاثة عشر سنة ، لا عمل له إلا ابلاغ الدعوة ، وتربية الدعاة . ثم خرج من مكة بأقل من مائة رجل . . !! ولكن على قدر إيمان هؤلاء الدعاة وتفهمهم للدعوة وأصالة دعوتهم وتعمقها في نفوسهم ، بنيت الدولة الإسلامية المترامية الأطراف ، الدولة الرائدة .

الفصل الثاني

الصفات الذاتية للداعية

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الالتجاء إلى الله والتوكل عليه .

المبحث الثاني : الصبر على الابتلاء .

المبحث الثالث : الخوف من الله .

المبحث الرابع : الفطنة ونفاذ البصيرة .

الفصل الثاني : الصفات الذاتية للداعية :-

المبحث الأول : الالتجاء إلى الله والتوكل عليه :-

وردت في هذه السورة المباركة بعض الصفات التي هي من لوازم الدعاة إلى الله ، وهي صفات عامة تطرد في جميع المؤمنين بوصفهم عباد الرحمن ، فلا يختص بها نفر منهم . وهذه النعوت الكريمة والخصال الحميدة ، وان اتصف بها عامة المؤمنين ، فان أنصبة الدعاة إلى الله منها ينبغي أن تكون أوفى وأزكى .

على أن للدعاة إلى الله نعوتا أخرى لم ترد في هذه السورة ، ومن ثم تخرج عن نطاق بحثنا . ونحسب أن هذه الصفات وإن كانت تكفي لأن تكون نموذجاً لأهم ما ينبغي أن يتوافر في الدعاة من صفاتٍ ذاتية فطروا عليها ، وجاءوا إلى الدنيا مطبوعين بها ، إلا أن هذه النعوت الأخرى لا يجمل بالدعاة أن يتركوها . وهم الصادقون في إيمانهم المخلصون في دعوتهم . وأهل القدوة الحسنة في الدعوة والإرشاد . ومن هذه الصفات الذاتية ، التوكل على الله وجعل الأمر إليه : يقول الله عز وجل في ذلك " وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا " .[1]

---

(١) سورة الفرقان آية : ٥٨ .

هذه الآيه كلها تسليةٌ وإرشاد ، تسليةٌ لنبيه صلى الله عليه وسلم مما لاقـــاه من إعراض قومه ، وصدهم عن دعوة الحق ، وتعنتهم في باطلهم ، بأن يترك أمـــر هؤلاء الوثنيين إلى الله الحي الذى لا يطرأ عليه سنة أو فناء ، مبدع السمـــوات والأرض ، فهو الخبير بذنوب وآثام عباده في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .[1]

وإرشاد له إلى وجوب الإلتجاء إلى الله ، والتوكل عليه ، وتفويض الأمر إليه والتســليم له في كل الأمور . وأن يتمسك بقاعدة الثنـاء والحمد ، لما آثره سبحانه وتعالى برسالته ، وعصمه من أعدائه ، فإن الله سبحانه كافيه وناصره ، ومبلغه ما يريد . وتسلية وارشـاد للدعاة من بعده في التجائهم إلى الله وتوكلهم عليه واجتهادهم في عبادته وجعلـه ملجأ وذخراً فيما يلاقونه من مشاق وعنت في مسار دعوتهم الطويل . وليعلموا أن اللـه كما نصر رسله من قبلهم سينصرهم من بعدهم ، ويبلغهم ما يريدون من خير وصـلاح إن اجتهدوا في عبادته وأخلصوا له الدعاء ، وذلك بأن يجعلوا سجودهم للـه ، وقيامهم لله ، وعبادتهم لله ، وكل سكنه من سكناتهم لله وبذلك يتحقق فيهم قولـه جل ثناؤه " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون "[2] جوارحهم خاشعة لله ، وقلوبهم هائمةٌ بحب الله ، وألسنتهم تلهج بذكر الله ، شعـارهم الأذان ، وحراؤهم القرآن ، وغايتهم هداية بني الإنسان ، هذا هو الأساس في التصور

---

(١) انظر ابن جرير الطبرى جامع البيان ١٩/١٨ والنيسابورى : هامش جامع البيـان ١٩/١٣٣ والرازى : التفسير ١٤/١٠٣ وابن كثـير : التفسير ٣/٣٢٣ ، والألوسي : روح المعاني ١٩/٣٧ والمراغي : التفسير ١٩/٣٠ والدكتـور البهـي : تفسير سورة الفرقان ص ٣٧ .

(٢) سورة الذاريات آية : ١٧ - ١٨ .

الإسلامي لحقيقة الصله بين الله وعباده المتوكلين،وأساس التصور لقاعدة الثنـــــــاء والحمد التي أمرنا الله سبحانه بالتمسك بها . وهذه هي السمة الإيمانية التي اتصف بها الداعية الأول محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهي خصيصة لابد من وجودها في الدعاة ، حلقة من حلقات التربية والتوجيه الإلهي .

والتوكل لغةً كما يقول الفيروزأبادي " إظهار العجز والاعتماد على الغير "[1] ، وشرعا كما يقول أبو عبد الله القرطبي " اعتماد القلب على الرب في أن يلم شعثه ويجمع عليه أربـــه ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر "[2] فالتوكل مأخوذ من الوكالة ،تقول وكل فلان أمره إلى فلان ، أي فوض أمره إليه واعتمد فيه عليه ، وجعله ملجأه وذخـره ، وهو مقيد بالأخذ بالأسباب ورد الأمر بعد ذلك إلى الله . هذه هي حقيقة التصـور الاسلامي لحقيقةالتوكل على الله . فقد أخرج الترمذى بسنده عن أنس رضي الله عنـــه أن أعرابيا ترك ناقته طليقة على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودخـل يصلي قائلا " توكلت على الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعقلها وتوكـل "[3] وهذا توجيه صريح من النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالأسباب . وقد انعقـــد عليه إجماع الأمه .[4]

---

(١) القاموس المحيط ٤/٦٦ .

(٢) جامع لاحكام القرآن ١٣/١٤ .

(٣) جامع الترمذى :كتـــاب العلل وقال عنه غريب . قال العجلوني في كشـف الخفا رواه البيهقي في الشعب ، وأبو نعيم في الحليه وابن أبى الدنيا عن أنس . وأخرجه ابن حبان وأبو نعيم عن عمرو بن أميه الضمرى كلهم بهذا اللفظ ، ورواه الطبراني عن أبي هريره بلفظ " قيدها وتوكل " ١/١٤٤ . وقال المناوى فـــي فيض القدير " اسناده عن عمرو صحيح ، وقال الزين العراقي رواه ابن خزيمةوالطبرانى عن عمرو ابن اميه باسناد جيد بلفظ قيدها وتوكل وبه يتقوى " ٢/٨ .

(٤) انظر سيد قطب الظلال ٥/٢٧٥٧ .

وعلى هذا فالتوكل عملٌ وأمل . عملٌ في استفراغ الجهد بالأخذ بالأسباب ، وأمل في إدراك النتائج ، ولا تندوحة للبشرية من التسليم والإستسلام أمام الأحوال والأحداث التي يجريها الله وفق قدره المرسوم .[1] فمثلا جهره صلى الله عليه وسلم بالدعوة في مجالس وأندية قريش ، إنما كان عملاً بتكليف من الله ، أما كف أيدى قريش عنه ونصرته إنما كان أملاً في الله . فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ، صحيح أن الله عز وجل خالق الأسباب وخالق المسببات ، وأنه هو الذى يجعل للأشياء أسبابا في عرف البشر تترتب عليها النتائج ، إلا أن هذه الأسباب وإن كان الله في غنى عنها فإنه باستطاعته عز وجل أن يحقق الأشياء بدون أن يجعل لها أسباباً لنجاحها . وعلى هذا فإن الله سبحانه من الممكن أن ينصر دينه بدون أن يجعل من أسباب البشر مقدمات لهذا النصر ، ولكن الله أرسل محمداً أسوة لأمته ، وأمته كلها وبخاصة الدعاة منها ، مطالبون بنشر رسالته صلى الله عليه وسلم ، حتى يكون لكل داعية إلى الله بصراً واجتهادا في أن يعد الأسباب المادية لإنجاح دعوته السماويه .[2]

وإن في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم التي اعتمد فيها على الله ووكل أمره فيها إليه درس أى درس ، وعظة أي عظة ، وأسوة أي أسوة .

قبيل الإسراء والمعراج - وبعد وفاة عمه وزوجه - استبان له صلى الله عليه وسلم أن دعوته لن تنتشر في مكة ، فتطلع إلى خارجها ، فساقه القدر إلى مدينة الطائف . لكنه لم يلق في ثقيف خيراً ، فعاد من رحلته محزونا مكروبا[3] . على الرغم من أنه استفرغ

---

(١) انظر سيد قطب : الظلال ٥/٢٧٥٧ .
(٢) انظر متولي شعراوى ، الاسراء والمعراج ص ٣٣ ط/٢ نشر دار الشروق .
(٣) ابن هشام : سيرة النبي ٢/٢٩ . ورواه السيوطي في الجامع الصغير برقم ١٤٨٣ عن الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ٢/١١٩ .

جهده في الأخذ بالأسباب المادية التي كانت بين يديه ، عند ذلك توجه إلى الله بدعاء ضارع يطلب منه النصرة ويشكو إليه الضعف وقلة الحيلة ، قال فيه : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ، ام إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " .(١)

هذا الدعاء فيه كل مقومات الإيمان بالله والتوكل عليه ، وفيه يقين بأن الله الذى أرسله لن يخذله ، وفيه حقيقة أنه استنفد جهده في الأخذ بالأسباب المادية لنصرة دعوته . فلا بد إذن أن تتدخل العناية الإلهيه وتمده بأسباب النصر ، وتتولاه بعنايته، فبين له عمليا أنه إذا كان أهل الأرض جفوه فإن أهل السماء لن يقلوه ، لهذا أكرمه سبحانه بمعجزة الإسراء والمعراج ليرى من آيات ربه ومن قدرته ما يؤكد له نصرته ومؤازرته، ولكن الله تركه يأخذ بالأسباب أولا حتى لا تدع أمته الأخذ بالأسباب ، وترفع أيديها إلى السماء ، فألهمه أن يدخل مكة في جوار مشرك وأنه لا يضير الدعوة ان تنتصر بغير أبنائها . فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر .

---

(١) انظر ابن سيد الناس : عيون الاثر ١/١٧٧ و ١/١٦٦ ط/ ثانيه ، دار الافاق الجديده بيروت ، وابو الحسن علي حسني الندوى : السيره النبويه ص ١٢٢ ، ط/ ثانيه . دار الشروق : جده - السعودية .

تعليق: إلا إن ابن هشام يجعل ترتيب خروج النبي إلى الطائف بعد حادثه الاسراء والمعراج .

بهذا التوجيه والإرشاد الإلهي من الرسول صلوات الله وسلامه عليه للدعـــاة من بعده قاعدة عظمى وهي أن الأخذ بالأسباب واستفراغ الجهد في ذلك أصـل فـي وجود التوكل . فقد أخرج ابن ماجه في سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قـال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم الله كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا "[1] فكل ضعف في حقيقة التوكل مـرده إلى ضعف القلب أو ضعف اليقين .[2]

ويظن البعض أن الإيمان بالله والتوكل عليه ينافي الاكتساب والأخذ بالأسبـاب وهذا إعتقاد فاسد ، لأن الاكتساب تعتريه أحكام الشريعة الخمسة : الوجوب والاستحباب، والإباحة والكراهية والتحريم .[3]

وقد كان صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين . يلبس لأمة الحرب . ويمشي فـي الأسواق طلباً للرزق ، وكثير ممن يرون أن الاكتساب ينافي التوكل نجدهم يعيشـون على صدقات غيرهم . فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي ناساً من أهـل اليمن فقال : ما أنتم ؟ فقالوا متوكلون . فقال : كذبتم أنتم متأكلون إنما المتوكل رجـل القي حبه في الأرض وتوكل على الله عز وجل " .[4]

---

(١) كتاب الزهد / ١٤ وله شاهد عند الترمذي : كتاب الزهد / ٣٣ . وقال العجلونـي في كشف الخفا رواه ايضا الطيالسي في مسنده وصححه ابن خزيمه وابن حبان والحاكم ورمز الترمذي لحسنه " ٢ / ١٥٣ .

(٢) انظر علي بن علي الحنفي : شرح الطحاويه ص ٢٢١ .

(٣) انظر المرجع السابق نفس الصفحه .

(٤) العجلوني : كشف الخفا ٢ / ١٥٢ . وشهد لذلك ما أورده البخاري عن ابن عباس أنه قال : وكان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون . فـإذا قدموا مكه سألوا الناس فأنزل الله تعالى " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى " كتـاب الحج ٢ / ١٤١ .

ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه أنهم خرجوا إلى اسفارهم بغير زاد وكانوا المتوكلين حقا .

فالمؤمن يأخذ بالأسباب على أنها سنة الله وسنة رسوله ، ولكنه لا يعتقد أن الأسباب هي التي تأتي بالنتائج حتماً . بل يعتقد أن الذي يأتي بالنتائج هو الله سبحانه . وما اقتران الأسباب بالمسببات إلا بتقدير الله ومشيئته ، فالاعتقاد بقدرة الله شيء ، والطمع في أن يخلق الله نباتاً من غير بذر شيء آخر ، فالتوكل في هذا المقام ترك العمل وهذا لا يقول به عاقل ، إنما هو من فعل الكسالى الذين آثروا الراحة وتعللوا بالتوكل .

فقد أوجب سبحانه وتعالى الأخذ بالأسباب ويشهد على ذلك قوله تعالى : " وليأخذوا أسلحتهم "(١) فالحذر في بعض المواطن لا ينافي التوكل بل هو كما رأينا مطلوب . فلا يجوز النوم في الأرض السبعة ، أو كثيرة الأفاعي أو تحت جدار مائل . فقد ثبت في السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينه تزود واستأجر دليلاً مشركاً .(٢)

كما ثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم " .(٣)

هذه هي حقيقة التوكل وهذا هدي النبي فيه ، وكل من خرج عن ذلك فقد بعد عن التوكل وعن قاعدته الأصيلة وهي التوحيد .

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٢ .
(٢) انظر ابن هشام : سيرة النبي ٢/٩٨ .
(٣) البخاري : كتاب النفقات ٦/١٩٠ .

المبحث الثاني : " الصبر على الابتلاء "

قال الراغب الأصفهاني : " الصبر في اللغة الحبس والكف ، وشرعاً حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع " وهو لفظ عام ، فما كان منه حبس النفس لمصيبة سمي صبرا ، وضده الجزع ، وإن كان في الحرب سمي شجاعة " . وضده الجبن . وإن كان في نائبة ضُجِرَة سمي رحب الصدر . وضده الضجر . وقد سمى الله كل ذلك صبرا ونبه على ذلك بقوله تعالى " والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس " .[1]

وقال : في الابتلاء " بلوته : اختبرته . وسُمي الغم بلاءً من حيث أنه يبلي الجسم . وجاء في التنزيل " وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم "[2] وسُمي التكليف بلاءً لأن فيه مشاق على الأبدان من جهة وفيه إختبارات من جهة ثانية . واختبار الله تعالى للعباد تارة بالسار ليشكروا ، وتارة بالضار ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء . فالمحنة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلائين ، وبهذا النظر قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : بُلينا بالضراء فصبرنا ، وبُلينا بالسراء فلم نصبر " .[3]

وقال ابن منظور : الإبتلاء ومنه البلوى ، وابتلاه جربه . وابتليته : اختبرته ، ويكون في الخير والشر . مصداق ذلك قوله تعالى " ونبلوكم بالشر والخير فتنة " .[4]

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٧٣ والايه من سورة البقرة رقم : ١٧٧ .
(٢) سورة البقرة آية :
(٣) المصدر السابق ص ٦١ ط/ دار المعرفه للطباعة والنشر بيروت وكذلك الفيروزابادى : القاموس المحيط ٢/ ٦٦ .
(٤) لسان العرب ١٨ / ٩٠ ط/ بولاق الدار المصريه . والآيه من سورة النساء رقم ٣٥ .

فالصبر على الابتلاء من الصفات الذاتية للداعية الناجح وخصوصية من خصوصياته، فضلاً عن أن الصبر على أقدار الله بابٌ من أبواب الإيمان بالله . وأي ضعف فيه ينافي كمال التوحيد .[١] وقد أشارت السورة الكريمة إلى هذه الصفة في معرض بيانه عز وجل أن الابتلاء قدر الله وحكمته البالغة في بروز المجرمين ، ومعاداتهم الأنبياء . والدعاة الصالحين ، فضلا عن أنواع البلاء الذي يصيب المؤمنين قبل الكافرين . إذ يقوي عودهم ، ويشتد في الدعوة تعلقهم وفي ذلك يقول عز وجل " وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا "[٢] وقوله أيضا " وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا "[٣] وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن عِظَمَ البلاء مقرون بعِظَمِ الجزاء لمن صبر واحتسب وأنه عنوان محبة الله لعبده ، فقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء . وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى . ومن سخط فله السخط "[٤] والبلاء في مقابل النعمة ، فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان البلاء عليه أشد .

وكما كانت الدعوة في مكة مهمة شاقه - بذلت المسيحية واليهودية جهوداً مضنيةً لتصرف العرب عن دينها وتقديسها لكعبتها - لكن جميع هذه الجهود باءت بالفشل إذ لم تسمح لكتابي أن يقيم في مكة إلا أن يكون إجيرا - كذلك لاقت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم . فقد أدركت قريش ما في دعوة الإسلام من خطر على عقائدها الموروثة . فبالغت

---

(١) وإلى ذلك يشير قوله تعالى " ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم " سورة التغابن آية ١١ .

(٢) سورة الفرقان آية ٢٠ .

(٣) نفس السورة آية ٣١ .

(٤) سنن الترمذي : كتاب الزهد ورمز لحسنه . وابن ماجه : كتاب الفتن .

في إيذائه والإستهزاء به . وتعذيب من آمن به ، وفتنته عن دينه .[١] كذلك يلاقي أصحاب الدعوات من بعده . ولو كانت السُبُل ممهدةً أمام أصحاب الرسالات والدعوات الحقه لكانت والدعوات الباطلة سواء ، ولكن طبيعة الصراع بين الحق والباطل جعل العداء منصباً على أصحاب الرسالات والدعوات الحقه . فلا يتحمل الآلام والتضحيات وشظف العيش إلا هؤلاء الذين يؤثرون آخرتهم الباقية على دنياهم الفانية ، ويحملون للآخرين دعوة الحق والخير .[٢]

يقول المناوي " البلاء لا يكون إلا مع الدعوى . فمن ادعى فعليه الدليل على صدق دعواه . فلولا الدعوى ما وقع البلاء " .[٣] ولما كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم دعوة عامة شاملة ، وهي دعوة لتغيير العقائد والمفاهيم . والشعائر والنظم ، والأوضاع الفاسدة . كان خصومها أشد والعداء لها أكبر . وما تعرض له صاحبها صلوات الله وسلامه عليه من صنوف البلاء المادي والمعنوى ما أهله للمنزلة الرفيعة عند الله . ولقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الناس أشد بلاء قال " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يُبتلي العبد على حسب دينه . فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه . وان كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ، وما عليه من خطيئة " .[٤]

---

(١) انظر ابن هشام : سيرة النبي ١/ ٢٧٤ .
(٢) انظر سيد قطب : الظلال ٥/ ٢٥٦١ .
(٣) فيض القدير ١/ ٥٢٠ .
(٤) سنن الترمذى : كتاب الزهد / ٥٧ وابن ماجه كتاب الفتن / / ٢٣ وغيرهما .

والابتلاء سنةٌ إلهيه تُصيب المؤمنين قبل الكافرين وهو مادي ومعنوى وقد وقع بالداعية الأول محمد صلى الله عليه وسلم منهما الشيء الكثير .

١ - البلاء المعنوى الذي وقع بالرسول صلى الله عليه وسلم : أشارت السورة الكريمة إلى بعض أنواع البلاء المعنوي الذي وقع بالرسول صلى الله عليه وسلم منها : تكذيبه صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق الأمين - وفي ذلك يقول عز وجل " وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا " .(١) وقالوا عن رسالته إنها مجموعة من الأوهام والأساطير " وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا " .(٢) وقالوا عنه أنه مسحور أو مجنون " وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا " كذلك استعملوا معه أسلوب الاستهزاء والسخريه . وإلى ذلك يشير قوله تعالى " واذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا " .(٣)

ومن المعلوم أن البلاء المعنوي قد يكون في كثيرٍ من الأوقات ومع بعض الأشخاص المرهفي الحس أشد كثيراً من البلاء المادي ، وخصوصاً أسلوب السخريه والاستهزاء فإن له تأثيراً في النفس المرهفة أشد وأنكى من أي بلاءٍ مادي آخر .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٤ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥ .

(٣) نفس السورة آية : ٤١ .

٢ - البلاء المادى : أخرج البخارى بسنده عن عبد الله قال " بينما النبي صلى الله عليه وسلم ساجد ذات يوم في المسجد وحوله ناس من قريش . جاء عقبة ابن أبي معيط بسلا جزور ، فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ، ودعت على من صنع . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، اللهم عليك الملأ من قريش "[1] . كما استعملت قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع من آمن به سلاح المقاطعة ، فقاطعته وقاطعت معه بني هاشم وحاصروهم في شعب أبي طالب حتى جهدوا[2] . وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم " لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله ، وما يخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبدٍ إلا شيء يواريه إبط بلال "[3] .

والأحاديث في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم مستفيضة أوردنا منها ما أوردناه للتنبيه لا للاستقصاء .

إذن كان صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما أصابه كان بقضاء الله وقدره ، لذلك كان يقابل كل هذه الحماقات بنفس رضية ويقول : " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون " وقد أخرج مسلم بسنده عن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل " إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك "[4] .

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الانبياء ٤/٢٣٩ . والمقصود بعبد الله هو عبد الله بن مسعود وهو اصطلاح لدى أصحاب الحديث . " سلا جزور : جلده يكون فيها الولد من الناس والحيوان " القاموس المحيط ٤/٣٤٤ .

(٢) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ١/٣٧٢ .

(٣) سنن الترمذى : كتاب الزهد وقال عنه حسن صحيح وابن ماجه في المقدمه ١١ رقم/١٥١ . وغيرهم عن أنس .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الجنه وصفة نعيمها ١٧/١٩٧ جزء من حديث طويل .

والابتلاء مع كونه قدراً إلهياً فإنه سنة إلهية في تربية النفوس . والنفس المؤمنة هي التي تصبر على الضراء ولا تستخفها السراء . والصلة بالله سبحانه في الحالين هي الضمان فلا تهلك جزعاً ولا تطير فرحاً .

والصبر على الابتلاء إن كان ضرورة دنيوية وأخروية ، فإنه خصوصية انسانية ، فلا نجاح في الدنيا ، ولا فلاح في الآخرة إلا به ، فمن صبر ظفر ومن جزع خسر .(١)

وهو من أبرز الأخلاق الإنسانية وواجب باجماع الأمة الاسلامية(٢) ، " ومنزلته من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد " .(٣) يقول الغزالي في الإحياء " كل بلاء يقدر الإنسان على إزالته فلا يؤمر بالصبر عليه . . . إنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته " .(٤)

والصبر على مشاق الدعوة إلى الله هو أشرف وأرقى أنواع الصبر ، لِمَا يتعرض له الدعاة من متاعب وآلام تنوء بها الرسل ولا يتحملها إلا أولوا العزم ، فعلى الدعاة إلى الله أن يعتصموا بالصبر ويتسلحوا باليقين لأنه من عزائم الأمور ، كما قال تعالى عنه حكاية عن لقمان وهو يعظ ابنه " واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور " .(٥) ومما يحث الدعاة على الصبر على الابتلاء وتحمل مشاق الدعوة والرغبة فيها والحرص عليها ،

---

(١) انظر ابن قدامه المقدسي ، منهاج القاصدين ص ٢٨٥ والدكتور يوسف القرضاوى ، الصبر في القرآن ص ١٠ - ١٢ والدكتور عبد الكريم زيدان : أصول الدعوه ص ٣٣٦ .

(٢) انظر د . قرضاوى : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) رواه السيوطي في الجامع الصغير برقم ٥١٣٦ عن الديلمي في مسند الفردوس . والبيهقي في شعب الإيمان موقوفا عن علي رضي الله عنه ورمز لضعفه . وقال المناوى في فيض القدير " قال العراقي فيه يزيد الرقاش وهو ضعيف " ٤ / ٢٣٤ . ورواه ابن ابن قدامه بلفظ " الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد " مختصر منهاج القاصدين ص ٢٨٤ .

(٤) احياء علوم الدين ٤ / ١٢٧ .

(٥) سورة لقمان آية : ١٧ .

وعدم المبالاة بالسجن ، ما ينتظره الصابرون من حسن الجزاء ،[١] واليقين بأن نصر الله قريب ، وأن مع العسر يسرا .

ومما يعين على الصبر على الابتلاء ، التأمل في سِيَرِ الصابرين من الأنبياء والمرسلين وما لاقوه من صنوف البلاء ، وقد حوت السورة الكريمة منه الشيء الكثير . وكذلك صَبَرَ على الابتلاء من أكابر الدعاة ما لا يحصى فقد قُتِلَ الخلفاء الثلاثة والحسين بن علي رضي الله عنهم : وابن الزبير ، وابن جبير . ومات أبو حنيفه في السجن ، وجُرِّدَ مالك وضُرِبَ بالسياط ، وجذبت يده حتى انخلعت من كتفه ، وضُرِبَ أحمد حتى أغمي عليه . ونُفِيَ البخاري من بلده إلى غير ذلك مما يطول .[٢] والقصص التي ورد ذكرها في السورة توحي كلها بصبر رسل الله على ما نابهم من بلاءٍ في سبيل الدعوة إلى الله . واستشعارهم نصر الله لهم وهلاك المكذبين من أقوامهم .

على أنه لابد للدعاة خاصةً وللمؤمنين عامةً أن يحذروا الآفات النفسية التي تعيق تحقق النصر مثل نفاذ الصبر ، والضجر وضيق الصدر من استبطاء النصر ، والغضب من إعراض المدعوين ونفورهم من دعوتهم ، وأخيرا اليأس من نصر الله فإنه لا ييأس من نصر الله إلا القوم الكافرون .[٣] ولقد أحسن الإمام ابن الجوزي بقوله " إياك إياك أن تستطيل زمان البلاء ، وتضجر من كثرة الدعاء ، فإنك مُبْتَلىً بالبلاء ، مُتَعَبَّد بالصبر والدعاء ، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء "[٤] وإن في الحديث الذي أخرجه

---

(١) وفي ذلك يقول عز وجل " إنما يوفى الصابرون أجرهم بدون حساب " الزمر آية/ ١٩ .
(٢) انظر المناوى : فيض القدير ١/ ٥١٩ .
(٣) انظر الدكتور القرضاوى : الصبر في القرآن ص ١٠٢ وما بعدها .
(٤) صيد الخاطر ف/ ٣٢٦ .

البخاري بسنده عن أبي هريرة " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب . ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه "[١] ما يخفف كثيرا عن الدعاة مما يلاقون من صنوف البلاء .

وليصبر من يثق بالله وحكمته ، ويدعو إلى الله على بصيرة ، فاذا أوذي في الله عليه أن يتقبله بالصبر لا بالجزع ، وبالثبات لا بالفزع ، والله بعد ذلك بصير بمن يصبر أو يجزع ، وبمن يهتدي أو ينزع .

على أنه ينبغي على الدعاة أن لا يستشرفوا للابتلاء ، لأنه صعب . والحرص عليه لا يجوز . وطلب العافية خيرٌ من الوقوع في فتنته مجهولة العاقبة .

ومن الأدعية المأثورة أن يسأل المسلم ربه " العفو والعافية "[٢] وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد رضي الله عنهما وقد جعله أميرا على الجيش لغزو الروم - قُبيل وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام - ما يشعر بأن العافية يدخل فيها المعافاة من الابتلاء وهو لقاء العدو ، حيث قال صلى الله عليه وسلم " ولا تمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تُبتلون بهم - ولكن قولوا اللهم أكفنا هم واكفف بأسهم "[٣] . على أن احتمال الأذى إن وقع والصبر عليه بعد استنفاذ الجهد، يدفعه بكل وسيلة مشروعة يُعَدُّ مسند النجاح لكل دعوة حق. وإنا لنلمس هذه الحقيقة من ثنايا الدعاء العظيم الذي دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم إثر عودته من الطائف مكروبا محزونا فقد جاء فيه " إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ... "[٤] فإننا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المرضى والطب ٧/ ٢ ومسلم بشرح النووي : كتاب البر ١٦/ ١٣٠ .

(٢) رواه البزار عن ابن عباس بلفظ "العفه والعافيه" انظر المناوي : فيض القدير ٢/ ١٢٤ .

(٣) اصل الحديث في صحيح مسلم " لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافيه " ١٢/ ٤٦ .

(٤) انظر الفصل الثاني ، المبحث الأول : الالتجاء إلى الله والتوكل عليه ص ١٨٣ .

نلمس من ثنايا هذا الدعاء العظيم رضي الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه بقضاء الله وقدره ، ومع هذا الرضى فإنه كان يرى طلب العفو والعافية أوسع له .

المبحث الثالث : " الخوف من الله " :

ومن الصفات الذاتية للداعي الأصيل أن يكون مفطوراً على الخوف من الله وقد أشار إلى هذه الصفة الآيتان الرابعة والستون والخامسة والستون من السورة . في معرض مدح عباد الرحمن (الداعين إلى دينه) والثناء عليهم . يقول عز وجل" والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقرا ومقاما " .(١)

هذه الآيات وكثير غيرها مما هو مبثوث في كتاب الله تبين أن الاجتهاد في عبادة الخالق هو ثمرة الخوف من الله ، ونتاج طبيعي للعبودية التي شرفهم الله بها . ومع أنهم منعوتون بوصف يتقاصر عنه كل وصف ، وهو كونهم " عباد الرحمن " ، فإن قلوبهم مع ذلك وجلة من عذاب الله ، هائمة" يحب الله "(٢) وهم مع حسن معاملتهم للخلق - واجتهادهم في عبادة الحق - أداءً للواجب المفروض عليهم ، ورغبةً فيما عند الله ، وخوفاً من عذاب الله - نجد منهم من وصل ليله بنهاره في عبادة ربه ، إدراكاً منه أنها غاية وجوده ، وأخذاً بالأسباب التي تدرأ عنه سخط الله فعذابه ، فيقرنون الخوف بالرجاء تضرعا إلى الله عز وجل أن يصرف عنهم عذاب جهنم . فكأن حالهم يقول ما قاله " الزجاج " .

---

(١) سورة الفرقان آية : ٦٤ - ٦٦ .

(٢) انظر ابن كثير : التفسير ٣/ ٣٢٥ . والألوسي : روح المعاني ١٩ / ٤٤ والمراغي : التفسير ١٩ / ٣٧ .

امنع جفونك أن تذوق منـــاما وذر الدموعَ على الخدود سِجاما [١]

هذا الوجل من عذاب الله مبعثه عِظَم وجلال الله في نفس العبد المفطور على الخوف من الله ، وكثرة جنايته من الآثام ، فعلى قدر معرفة الإنسان بعيوب نفسه ، وعلمه بجلال وعظم خالقه تكون قوة خوفه من ربه [٢] ، وفي الحديث الذى أخرجه البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم " فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية " [٣] ما يؤيد ذلك . وإننا لنجد مصداق ما ذهبنا إليه من قبل ومن بعد في قوله تعالى " إنما يخشى الله من عباده العلماء " . [٤] فالعلماء والدعاة هم أشد الناس خشيةً من الله .

والخشية هي أشد أنواع الخوف . وأعراضها شعور بالقلق والاضطراب في نفوس الدعاة إلى الله ، واحساس فطري بالخوف من النتيجة المجهولة للإنسان ، أيسلب منه الإيمان ، أم يستقر حتى يدرك به الجنان . [٥] يؤثر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال " والله لو أن إحدى قدمي في الجنة لما أمنت على الثانية من مكر الله سبحانه " وقال أيضا " وددت أني خضرة تأكلني الدواب " . [٦] كما يؤثر عن سفيان الثورى أنه لما حضرته الوفاة جعل يبكي فقال له رجل " أراك كثير الذنوب . فرفع شيئا من الأرض فقال والله لذنوبي أهون عندي من هذا ، ولكن أخاف أن أُسلب الإيمان قبل الموت " [٧]

---

(١) القرطبي : جامع لأحكام القرآن ١٣ / ٧١ .
(٢) انظر علي محفوظ : هداية المرشدين ص ٢٠٩ .
(٣) صحيح البخارى : كتاب الادب ٧ / ٩٦ .
(٤) سورة فاطر آية : ٢٨ .
(٥) انظر محمد الغزالي : مع الله ص ٣٠١-٣٠٢ ط / مطبعة السعادة بمصر .
(٦) ابن سعد الطبقات ٣ / ١٩٨ .
(٧) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٣ / ١٥٠ .

هذا الخوف من الله الذى يصدر عن هؤلاء الأئمة الدعاة.ومنهم مبشرون بالجنة. إنما مبعثه كمال نفسي ، واتصال روحي بالله عز وجل . وإن في الأثر الذى رواه العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤكد ذلك ، يقول " إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها " .(١)

فالخوف من الله عدا كونه صفةً ذاتيةً في الدعاة الناجحين فإنه فطرةٌ مركوزة في نفوسهم،وحكمةٌ تلهج بها ألسنتهم وتزين سلوكهم . يُروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال " رأس الحكمة مخافة الله "(٢) كما روى ابن حبان والبيهقي في الشعب عن أبي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل " وعزتي وجلالي لا أُجمع على عبدى خوفين ولا أُجمع له أمنين "(٣) فمن خاف الله في الدنيا أمن الخوف الأعظم في الآخرة ، ومن أمن في الدنيا فلن ينال الأمن في الآخرة ، فإنه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون .(٤)

---

(١) قال المناوى في فيض القدير : أورد هذا الأثر الطبراني في الكبير . والبزار والبيهقي في الشعب . وقال المنذرى والعراقي سنده ضعيف . وبينه الهيثمي فقال فيه ام كلثوم بنت العباس لم اعرفها وبقية رجاله ثقات " ١/ ٢٩٢ .
تحاتت : تساقطت .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل والعسكرى في الأمثال والديلمي عن عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه العسكرى ايضا من حديث عمر بن ثابت عن ابيه عن أبي الدرداء عن النبي . كما أخرجه ابن لال عن ابن مسعود مرفوعاً . ورواه القضاعي في مسنده عن زيد بن خالد الجهني عن النبي . ورواه البيهقي في الشعب عن ابن عباس موقوفا " فيض القدير ١/ ٤٢١ .

(٣) رواه ابو نعيم في الحليه ٦/ ٩٨ ولفظه " وعزتي لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن هو أمنني فى الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادى . وإن هو خافني في الدنيا امنته يوم أجمع فيه عبادى " ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب عن ابي هريره .

(٤) إلى ذلك يشير قوله تعالى " أفأمنوا مكر الله . فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" سورة الاعراف آية : ٩٩ .

والخوف من الله عز وجل على مقامين : خوف من الله وهو خوف العارفين ، كخوف الأنبياء والمرسلين والأكابر من الدعاة والصالحين .

وخوف من عذاب الله وهو خوف عموم المؤمنين ، وهذا إنما يحصل بأصل الإيمان بأن لله جنة أعدت للمتقين . ونارا يصلى بها الكافرين . ومن أمتع ما قيل في وصف الخوف الذاتي الذي يتصف به أكابر الدعاة إلى الله ، ما رواه الحافظ ابن كثير عن الحسن البصرى . قال : " إن المؤمنين قوم ذلّت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وما بالقوم مرض ، وإنهم والله الأصحاء . ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة . فقالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنه ولكن أبكاهم الخوف من النار . ليلهم خير ليل . صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون إلى الله جل ثناؤه فكاك رقابهم من النار "[1] هذا المقام من الخوف الذاتي من الله لا يرقى إليه إلا الأكابر من الدعاة المتقين . وضعف الخوف من الله إنما يكون بسبب الغفلة أو ضعف الإيمان وهذه الغفلة إنما تزول بالتذكر وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة[2] . فقد ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اتقوا النار ولو بشق تمرة "[3] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٤ وابن جرير الطبرى : جامع البيان ١٩/٢١ .

(٢) ابن قدامه المقدسي : منهاج القاصدين ، ص ٣٢٧ .

(٣) متفق عليه . البخارى : كتاب الادب ٧/٧٩ ومسلم بشرح النووى : كتاب الزكاة ٧/٦٨ .

فالتفكر في النار والتوقي منها ولو بشق تمره توجيه سديد من الداعي الأول محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أمر سبحانه وتعالى بالتفكر والتذكر في كتابه العزيز وأثنى على المتفكرين .[1] وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : " تفكر ساعه خير من قيام ليله "[2] .

أما ضعف الايمان فانه يزول بالاشتغال بالمنجيات . والابتعاد عن الآثام والذنوب والمعاصي . وإدامة النظر إلى الخائفين . ومجالستهم أو سماع أخبارهم .

ومن ثمرات الخوف الذاتي الذى يتصف به الداعي الناجح ، أنه يقمع الشهوات ويحث على الطاعات ، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد . ومن دخله الخوف من الله لم يخف أحدا من الناس وهابه الناس .

ومن تكبر وتطاول على الله دخله الخوف من الناس حتى أنه ليخشى على نفسه من ظله .[3]

ومتى استشعر الداعي إلى الله الخوف من الله انكف وانزجر عن المعاصي والنواهي كلها . واندفع إلى ما يقي نفسه من هذه الموبقات إلى تقوى الله .[4]

وأقل أنواع الخوف من الله الامتناع عن المحظورات . فإن أضاف إلى ذلك اتقاء الشبهات والإقلال من المباحات أصبح ورعا .[5]

---

(١) إلى هذا يتوجه قوله تعالى " وما يتذكر إلا من ينيب " سورة غافر آية/ ١٣ وقوله : " إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " سورة الزمر آية/ ٤٢ .

(٢) ابن قدامه المقدسي : منهاج القاصدين ص ٤٠٦ .

(٣) انظر ابن قدامه : منهاج القاصدين ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(٤) انظر الدكتور عبد الكريم زيدان : اصول الدعوه ص ٣٢٨ .

(٥) انظر ابن قدامه : منهاج القاصدين ص ٣٢٣ .

فعلى الداعي الناجح أن يكون دائما في خوف من الله مقرون بالرجاء في رحمته . فإن فعل كان في الدنيا من المتقين . وكتب في سجل الخالدين . وارتقى بصاحبه إلى أعلى عليين إن شاء الله .

والخوف من الله كما يحرر الانسان الداعي إلى الله من الخوف من أحد غير الله . يحرره من القلق والضجر والاضطراب ، وذلك بالقضاء على أسبابها ومسبباتها . فالكون كله لله وما عدا الله فهو مملوك له . والأرزاق والاعمار بيد الله وقد أوضح الداعي الأول محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة بقوله صلى الله عليه وسلم " ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رُفعت الأقلام . وجُفَّت الصحف " (١).

فغيم يخاف وقيم يقلق ويضطرب داعية إلى الله . والآجال والأرزاق بيد الله . وكل خوف من هذا القبيل يتنافى مع عقيدة التوحيد ، لأن الله هو واهب الحياة وهو الذى يسلبها وهو الرزاق ذو القوة المتين ، لا يسوق رزقه حرص حريص ، ولا يرده كره كاره ومصير الأمور كلها بيد الله . فلا مجال للخوف من أحد إلا الله عز وجل (٢).

---

(١) سنن الترمذى : كتاب القيامه ٥٩ وغيره .

(٢) انظر سيد سابق : دعوة الاسلام ، ص ٩٩-١٠٠ .

المبحث الرابع : الفطنة ونفاذ البصيرة :

ومن الصفات الذاتيه التي فطر عليها الدعاة إلى الله ، الفطنة ونفاذ البصيرة . وقد اشارت إليها السورة الكريمه بقوله عز وجل " والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا " .(١)

يقول ابن جرير الطبرى في تفسير هذه الآيه " الذين إذا ذكّرهم مذكر بحجج الله لم يكونوا صماً لا يسمعون ، وعمياً لا يبصرون ، ولكنهم أيقاظ القلوب ، فهماء العقول يفهمون عن الله ما يذكرهم به ، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه ، فيوعون مواعظه ، آذانا سمعته ، وقلوبا وعته . وقرأ قوله تعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وعلى ربهم يتوكلون " والكافر إذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى .. وأقام على الكفر " .(٢)

ويقول الإمام النيسابورى " المراد أنهم إذا ذكّروا بآيات الله أي وعظوا بها حرصوا على استماعها بآذانٍ واعية ، وعيونٍ باكية ، لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعهم وهم كالصم والعميان ، لا يعونها ، ولا يبصرون ما فيها " .(٣)

وقال الإمام الرازى : " إنهم إذا ذكّروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها ، وأقبلوا على المُذَكِّر بها . وهم في اكبابهم عليها سامعون بآذانٍ واعية ، مبصرون بعيون راعية ، لا كالذين يُذكَّرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يُذَكِّر بها ، مظهرين

---

(١) سورة الفرقان آية / ٧٣ .
(٢) جامع البيان : ١٩ / ٣٢ والآيه من سورة الانفال / ٢ .
(٣) هامش جامع البيان ١٩ / ٤٠ .

الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان ، حيث لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين " .[١]

ويقول الحافظ بن كثير " وهذه أيضا من صفات المؤمنين " الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون " بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ، ولا يتغير عما كان عليه ، بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله ، ويقول الحسن البصرى : كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمى "[٢]

ويقول الألوسي : " أي أكبوا عليها سامعين بآذان واعية ، مبصرين بعيون راعية "[٣]

ويقول صاحب الظلال : " إن من سمات - الدعاة إلى الله - أنهم سريعو التذكر إذا ذكروا ، قريبو الاعتبار إذا وعظوا ، مفتوحو القلوب لآيات الله - يتلقونها بالفهم والاعتبار "[٤]

هذه بعض أقوال أئمة المفسرين وكلها وإن اختلفت في المبنى فإنها تتفق في المعنى ، تعبر عن حقيقة واحدة هو أن الدعاة إلى الله إذا ذكروا بآيات الله القرآنية لم يكبوا انكباب الكافرين والمنافقين كالصم والعميان لا يفهمونها ولا يعون ما فيها ، بل إنهم يقبلون عليها بآذان واعية وقلوب راعية .

---

(١) التفسير الكبير ٢٤/١٤٤ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٩ .
(٣) روح المعاني ١٩/٥٢ وتفسير المراغي ١٩/٤١ .
(٤) سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٨٠ .

من هذا يتبين أن من السمات الذاتيه للدعاة إلى الله أنهم يتسمون بالفطنة ونفاذ البصيرة ، والرؤية الصحيحة لآيات الله . فحالهم هذا يختلف عن حال المشركين والمنافقين ، الذين يتنكّبون طريق الحق ، ويُنكَبُّون على آلهتهم وأوثانهم التي لا تضر ولا تنفع ، صماً وعمياناً كالأنعام - بل أضل سبيلا - لا يتطلعون إلى هدى ، ولا يرفعون برؤوسهم إلى سماء ، قلوبهم مُغلَّقة ، وأبصارهم مطموسة . بينما الدعاة إلى الله مداركهم متفتحه ، وأفئدتهم واعيةٌ ما في عقيدتهم حق ، وما في آيات الله صدق . فيؤمنوا إيمان العارفين ، ويُنكَبُّوا إنكباب الموقنين .[1]

وقد كان سيد الدعاة وقدوتهم محمد صلى الله عليه وسلم أذكى الناس وأعظمهم فطنة ونفاذ بصيرة . يدل على ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه "[2] فاختياره صلى الله عليه وسلم أيسر الأمرين فطنة وأي فطنة . وإن حسن الاختيار - حتى في الحياه العلمية - كثيرا ما يكون سببا من أسباب النجاح .

وإن سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم تزخر بالمواقف التي تتجلى فيها فطنته وحكمته. منها موقفه صلى الله عليه وسلم من مهادنة قريش في الحديبية . هذا الموقف الذي عارضه عامة المسلمين يومئذ وعلى رأسهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه . حتى أنهم امتنعوا عن نحر هديهم وحلق شعرهم ، إلا بعد أن باشره صلى الله عليه وسلم بنفسه - وفي ذلك يقول ابن هشام " يقول الزهرى : فما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه .

---

(١) انظر المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٢) صحيح البخارى : كتاب الحدود ٨/١٦ ومسلم بشرح النووى : كتاب الفضائل ١٥/٨٤ متفق عليه واللفظ للبخارى .

إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم والتقوا ، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يُكلَّم أحدٌ في الإسلام بعقل شيئا إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر " .[1] ويتابع ابن هشام فيقول والدليل على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج عام فتح مكه في عشرة آلاف " .[2] وإليك الآثار العملية لهذا الصلح المبارك الذى حققها صلى الله عليه وسلم بفطنته ونفاذ بصيرته .

١ - أصبح المسلمون أندادا لقريش .

٢ - تفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود وأنهى وجودهم في جزيرة العرب سياسياً وعسكرياً واقتصادياً .

٣ - قضى على فتن المنافقين .

٤ - شكل المسلمون الذين أسلموا بدون إذن أوليائهم من قريش عصابةً على سيف البحر بقيادة أبو بصير ، فلا يدعون عيراً لقريش إلا تعرضوا لها سلباً وقتلاً حتى أرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم - تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم وآواهم ، وهكذا الفت قريش بنفسها أشد البنود قسوة في نظر المسلمين .[3]

٥ - كان هذا الصلح مقدمة بين يدى فتح مكه سلماً . ولولا صلح الحديبيه لرأيت عرب الجزيره وقد ورمت أنوفها ، يتواردون من كل حَدَب وصوب للدفاع عن مكة . ولكن صلح الحديبية أبعد عن قريش خاصة وعن العرب عامة كل حمية جاهلية ودخل الناس في دين الله أفوجا .[4]

---

(١) سيرة النبي ٣/٣٧٢ .
(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة .
(٣) انظر المرجع السابق نفس الصفحة .
(٤) انظر سعيد حوى : الرسول ١/٢٤٠ ، وابن القيم : زاد المعاد ٣/٣٠٩ .
والأخير : العزح م الفيروزأبادي ١/ ١٩٨٩م

والخلاصة فإن هذا الصلح كان ضربة سياسية حققها صلى الله عليه وسلم بفطنته ونفاذ بصيرته وصلته بالله ، وصحبه كلهم كانوا غلابا عليه ، فكانت كما وصفها سبحانه وتعالى في سورة الفتح " فتحاً مبيناً " .(١)

فعلى الدعاة إلى الله ان يقتفوا أثر الداعية الأول والنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم بفطنتة ونفاذ بصيرته . وإن كانت هذه الصفة فطرة أكثر منها اكتسابا . لأنهم بكثرة ممارساتهم لأساليب الدعوة والدعاة تكسبهم فطنةً ونفاذ بصيرةٍ ، تُجنبهم مواطن الزلل ، وتبعدهم عن كل مكروه ، وترشدهم إلى كل ما يعود على الدعوة والأمة الإسلامية بخير وسداد .

---

(١) سورة الفتح آية / ١ .

الفصـــل الثـــالث

الصفات السلوكية للداعيه

المبحث الأول : التواضـــــع .

المبحث الثاني : الترفع عن اللغو .

المبحث الثالث : القصد والاعتدال .

المبحث الرابع : اجتناب الموبقات .

المبحث الخامس: المبادرة إلى التوبة .

المبحث السادس: القدوه الحسـنه .

الفصل الثالث :" الصفات السلوكيه للداعيـة "

المبحث الأول - التواضـــع :-

مرت بنا بعض آيات سورة الفرقان التي صورت جانبا من استكبار المشركين وتطاولهم على ربهم[١]، مثل قولهم الذى حكاه القرآن الكريم : " وما الرحمن " ؟ . وذلك حيـــن دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى السجود للرحمن[٢]، فناسب هنا - بعد أن مجـــد الله سبحانه وتعالى نفسه بما هو أهله - أن يقضي على هذه النزعة الذميمة ، نزعة الكبر والاستعلاء ، بمدح بعض صفات عباده المؤمنين الداعين لدينه ، وأن يبدأها بخـــير الخلال ، وأحب الخصال إليه وهي صفة التواضع . وقد عبر عنها سبحانه وتعالى بأخص حركة تبرزها وهي " مشي الهون " وذلك بقوله عز وجل : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا "[٣] .

قال الفيروزأبادى " الهون " السكينة والوقار "[٤] ومعنى يمشون على الأرض هونا أي برفق ولين وسكينة ووقار وحسن سمت وتواضع ، فلا يضربون بأقدامهم أشـــرا ، ولا يخفقون بنعالهم بطرا ، ذلك أن المشي يستدعي معاشرة الناس والاختلاط بهـــم ، ومن أهم ما تتطلبه هذه المعاشرة خلة اللين ، وعدم تصعير الخد والترفع عن النـــاس واحتقارهم[٥] .

---

(١) الفصل الثالث من الباب الأول " تقرير الايمان باليوم الآخر " ص٩٩ وما بعدها .
(٢) وذلك بقوله عز وجل " وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا وما الرحمن أنسجـــد لما تأمرنا وزادهم نفورا " سورة الفرقان آية : ٦٠ .
(٣) نفس السورة آية : ٦٣ .
(٤) القاموس المحيط ٤/٢٧٨ .
(٥) انظر الطبرى : جامع البيان ١٩/٢١ والرازى : التفسير ٢٤/١٠٧ والنيسابورى : هامش جامع البيان ١٩/٣٥ ، وابن كثير : التفسير ٣/٣٢٤ والمراغي : التفسير ١٩/٣٤ والألوسي : روح المعاني ١٩/٤٣ وسيد قطب الظلال ٥/٢٥٧٧ .
" خفق : خفقا وخفقانا . تحرك واضطرب ومنه خفقت الراية " القاموس المحيـــط ٣/٢٢٨ .

أما التكبر فليس من أخلاق الدعاة إلى الله ، إنه نهج إبليس عليه لعنة الله ، وكل من نهج منهجه استحق الطرد واللعن من ربه سبحانه وتعالى ، ولو عرف المتكبر أن أوله نطفةٌ قذرةٌ ، وآخره جيفة منتنةٌ ، لخجل من نفسه ، ووقف عند حده ، وأخلص العبادة لربه ، وتواضع لخالقه . لأن الانسان كلما تواضع لله رفعه الله ، وكلما تكبر عليه وضعه وقصمه ، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله " ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "[1] وقال أيضا " ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامه : الشيخ الزاني ، والعائل المزهو ، والإمام الكذاب "[2] .

ويقول الفيروزأبادي : معنى تواضع : تذلل وتخاشع "[3] فالتواضع إذن هو الخشوع لله ، وخفض الجناح تذللا للمؤمنين ، ولين الجانب لعامة الناس ، وقبول الحق ممن قاله أيا كان .[4] وهو بعد ذلك من الأخلاق الفاضلة ، والصفات العالية ، به يتحقق التآلف والود ، ولا يعرف التواضع إلا من عرف ربه ونفسه .[5]

والدعاة إلى الله أحوج الناس إلى خلق التواضع ، لأنهم يخالطون الناس ويدعونهم إلى الحق ، ومن طبيعة الناس أنهم لا يتقبلون دعوة أو قول من يتطاول عليهم بعلم أو معرفة ، أو غنى أو جاه أو حسب أو نسب ، وإن كان ما يقوله أو يدعو إليه حقاً وصدقاً ، لأن قلوب الناس جُبلت على حب من أحسن اليها ، بالتواضع وسماحة النفس ، والنفور ممن يتكبر عليها ، فلا يتقبلون له دعوة ولا يأخذون عنه ارشادا .[6]

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البر ١٦/١٤١ .
(٢) سنن النسائي : زكاة /٨٦ ومسند أحمد ٥/١٥٣ ، ٣/٤٣٣ .
(٣) القاموس المحيط ٣/٩٥ .
(٤) وهذا نقيض الكبر الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " الكبر بطر الحق وغمط الناس " صحيح مسلم : كتاب الايمان ١/١٤٧ من رواية عبد الله بن مسعود " ورواه ابو داوود والحاكم من رواية ابو هريره " الجامع الصغير للسيوطي " انظر المناوى : فيض القدير ٥/٦٢ .
(٥) انظر سيد سابق : دعوة الاسلام ص ١٩٨ .
(٦) انظر د . عبد الكريم زيدان : اصول الدعوه ص ٣٤٩ .

وقد كان من أهداف دعوته صلى الله عليه وسلم القضاء على نزعة التكبر والإستعلاء التي فشت في العالم . لذا قال صلى الله عليه وسلم منفراً من الكبر والإستعلاء " ألا أخبركم بأهل النار قالوا بلى ، قال : كل عُتُلٍ جواظٍ مُتَكَبِّر "[1] . وقال أيضا : " لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر "[2] . وقال صلى الله عليه وسلم يحث على التواضع بعد أن حذر ونفر من نقيضه " إن الله أوحى لي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد "[3] . فلا غرو ولا عجب أن ترى التواضع من الصفات السلوكية اللازمة لشخصه صلى الله عليه وسلم الجالية لمحبته ومحبة صحبه . وقد ضرب بتواضعه صلى الله عليه وسلم المثل ، فلم يُعْرَف عنه أن رفض دعوة أقل الناس شأنا ، ولا رد هدية مهما صغرت قيمتها[4] ، وإن الأمة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق به في حاجتها . ولم يتعال على أحد من قومه ، بل كان يقول " إنما أنا عبد الله "[5] وكان يجالس فقيرهم ، ويرحم صغيرهم ، ويواسي المحزونين ، ولم يكن يأنف من عمل يعمله لقضاء حاجته أو حاجة صاحب أو جار ، ولقد واتته الدولة والسلطان وهو في حجرات من طين[6] ، يرقع ثوبه ، ويخصف نعله ويقم بيته ، وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . جاءه رجل يرتعد يوم فتح مكه فقال صلى الله عليه وسلم : هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في مكه "[7] . وما كانت تغلق دونه الأبواب،

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الادب ٧/ ٩٠ وصحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الجنه ١٧/ ١٨٧ متفق عليه واللفظ لمسلم . عتل : الجافي . اللفظ الغليظ . جواظ : كثير اللحم . المختال ، وقيل القصير البطين .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الايمان ٢/ ٩٠ .

(٣) المرجع السابق : كتاب الجنه ١٧/ ٢٠٠ .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الادب ٧/ ٩٠ .

(٥) صحيح البخارى : كتاب بدء الخلق ٤/ ١٤٢ .

(٦) مجموعة احاديث منتقاه من : ابن الجوزى : صفة الصفوه ١/ ١٩٧ وهي صحيحه .

(٧) عفيف طباره : مع الانبياء ص ٤٢٥ ، القديد : اللحم المجفف .

ولا يقوم دونه الحُجَّاب ، ولا يُعدى عليه بالجفان وكان يجلس على الأرض ويوضع طعامه بالأرض ، يلبس الغليظ ، ويركب الحمار ويردف بعده ، ويعلف دابته بيده . فعلى الدعاة إلى الله أن يَسِموا سلوكهم بالتواضع في كل شيء ، في أكلهم وشربهم في ملبسهم ومسكنهم ، في بيتهم ومع أهلهم ، في مجتمعهم وخارجه، مع الفقراء والأغنياء سواء ، مع الناس جميعا لأنهم هم أهل دعوتهم ، ولأن يهدي الله بهم فردا واحدا خير لهم من حُمرِ النَّعم ، ولأن التواضع كما رأينا سند النجاح لكل داع صادق في دعوته . وإذا كان من المستحيل على الداعي أن يسع من يدعوه بماله فلا أقل ان يسعه بأخلاقه وتواضعه . فليس من خصلة محببة إلى النفس كالتواضع .

وعلى الداعي الناجح أن يجعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في الاقتداء به في جميع خصاله الكريمة فقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في كل شيء . وإن غاية آمال الدعاة والمصلحين أن يقلدوه في جانب واحد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فتزكو نفوسهم ، وتطهر قلوبهم ، وتسمو أرواحهم ، وبذلك يتحقق النجاح لدعوتهم .(٢)

---

(١) انظر ابن الجوزى : صفة الصفوه ١ / ١٦٨ وما بعدها .

(٢) انظر سعيد حوّى : الرسول ١ / ١٥٥ .

المبحث الثاني - الترفع عن اللغـــو :-

يقول الله عز وجل في سورة الفرقان عن هذه الخاصية السلوكيه الواجب توفرهـــا في الدعاة إلى الله بعد أن ذكر خاصية التواضع " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" ويقول في موضع آخر من نفس السورة "والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مـــروا كراما " .[١]

يقول ابن جرير في تفسير الآية الأولى " إذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهون من القول أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب . وعن الحسن : حلمـــاء لا يجهلون ، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا " .[٢] وقال في تفسير الآية الثانيـــة عن الزور " أصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته " .[٣] وقال في تعريـــف اللغو " واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، أو مـــا يستقبح " .[٤] وقال الإمام الرازى في تفسير الآية الأولى : يحتمل أن يكون المـــراد إظهار الحلم في مقابلة الجهل وطلب السلامة وتحمل الأذى "[٥]، واللغو " كل ما يجب أن يلغى ويترك " .[٦]

ويقول ابن كثير في تفسير الآية الأولى " إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يقابلوه بمثله بل يعفون ويصفحون .[٧]

---

(١) سورة الفرقان آيه : ٦٣ و ٧٣ .
(٢) جامع البيان ١٩/ ٢١ .
(٣) المصدر السابق ١٩/ ٣١ .
(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .
(٥) التفسير الكبير ٢٤/ ١٠٨ .
(٦) المصدر السابق نفس الصفحه وعلى ذلك النيسابورى هامش جامع البيان ١٩/ ٣٥ .
(٧) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٢٤ ، الامام المراغي : التفسير ١٩/ ٣٦ .

ويقول في تفسير الآية الثانية " قيل هو الشرك وعبادة الأصنام . وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو والباطل . وقال محمد بن الحنفيه : هو اللغو والغناء . وقال أبو العاليه وطاووس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد المشركين ، وقال عمرو بن قيس هي مجالس السوء والخنا . وقال مالك عن الزهري : شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه ... وقيل المراد بقوله تعالى " لا يشهدون الزور " أي شهادة الزور وهي الكذب والأظهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور أي لا يحضرونه . . . وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء " .(١)

ويقول الإمام النيسابوري في تفسير الآية الثانية - عن الزور " التحقيق أن يدخل فيه حضور كل موضع يجرى فيه ما لا ينبغي " .(٢)

ويقول الألوسي : " المراد باللغو الكلام الباطل المؤذى "(٣) و " كراما " : مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه " .(٤)

هذه الاقوال في مجموعها متقاربة في المعنى ولكن بعضها فصل أكثر من بعض . وإني لأميل إلى ما ذهب إليه ابن جرير لجزالة لفظه وسلاسته .

إذن يتبين من مجموع هذه التعاريف أن من السمات السلوكية للدعاة من عباد الرحمن الترفع عن اللغو ومجانبتهم مجالسه وأنهم فضلا عن ذلك إذا اتفق مرورهم بها وسفه عليهم السفهاء بما يكرهون لم يقابلوهم بمثله بل يعفون ويصفحون . وأكرموا أنفسهم

---

(١) المصدر السابق ٣/٣٢٨ ، ابن جرير : جامع البيان ١٩/٣١ والرازى التفسير الكبير ٢٤/١١٣ .
(٢) هامش جامع البيان ١٩/٣٩ .
(٣) روح المعاني ١٩/٥١ .
(٤) المصدر السابق والرازى : التفسير الكبير ٢٤/١١٣ والنيسابورى : هامش جامع البيان ١٩/٣٩ .

عن الوقوف عليها والخوض فيها .[١] وبهذه الخصلة السلوكية الرفيعة، الترفع عن اللغو أو الحلم قضى الإسلام على قيمة جاهلية تناقضها كانت متفشية في المجتمعات الجاهلية وهي مقابلة اللغو بلغو أكثر والجهل بجهل أشد وأكبر . عبّر عنها الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته المشهوره :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

والحلم من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان فضلا عن الدعاة إلى الله . وهو دليل على قوة الشخصية ، ومظهر من مظاهر الرشد واكتمال العقل ، وثمرة من ثمار التدين الصحيح .[٢] وقد كان سيد الدعاة والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه أحلم الناس وأبعدهم عن اللغو ، ممتثلا أمر الله له في قوله عز وجل : " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين "[٣] ، حتى أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت في بعض ما قالت عنه صلى الله عليه وسلم " والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله "[٤] . وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ليس فقط تجنيب أصحابه اللغو والترفع عن مجالسه ، بل كان يوجههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم ألا وهو ذكر الله تعالى .

---

(١) وردت الإشارة أيضا إلى هذه الخصوصية التي يتحتم توافرها في كل داعية في عدة سور منها سورة القصص " وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه " آية / ٥٥ وسورة الأعراف " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين " آية / ١٩٩ وغيرها كثير .

(٢) انظر سيد سابق : دعوة الاسلام/ ١٤٩ .

(٣) سورة الأعراف آية / ١٩٩ .

(٤) سبق تخريج الحديث ص٣٠٧ من الفصل الثاني ، الباب الثاني .

فكان صلى الله عليه وسلم يقول " لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي "[1] وكان صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلماً ، ولا يزيده أصحاب الحماقات إلا ضبطاً للنفس .

فالحلم في مواطن الغضب ضبط للنفس وسيادة عليها ، وعلى الدعاة إلى الله أن يُروِّضوا أنفسهم على الحلم ، وضبط النفس ، وسعة الصدر ، والترفع عن الهذر ، وبذلك يألفون ويؤلفون . وليس أعدى على الإنسان من الجهل ، والحماقة وضيق الصدر . والتهذيب والتدين يكمل الإنسان وتسمو عواطفه . ويصير الحلم خُلُقا من أخلاقه . ولقد صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلمه يوم فتح مكه قوةً للإسلام ونصرا ، وبقي درساً في تأليف القلوب ونشر المحبة .

أما إذا كان الحلم أو العفو عن ضعف في النفس وخور في العزيمة ، فليس ذلك من الحلم في شيء وليس هو الفضيلة التي نحن بصددها ، بل هو تهيّب وجبن . وكثير من النفوس الضعيفة لا يزيدها الحلم إلا سفها وحمقا . فمثل هذه النفوس لا تعالج إلا بالحزم والشدة . وضعا للأمور في نصابها ، وسموا بالحلم والعفو حتى لا يكون وسيلة من وسائل الغي والإغراء بالعدوان .

---

(١) سنن الترمذي كتاب الزهد ٤ / ٦٠٧ رقم الحديث ٢٤١١ وقال عنه حسن غريب .

المبحث الثالث : القصد والإعتـــدال :-

ومن الصفات السلوكية الواجب توافرها في الدعاة إلى الله " القصد والإعتدال " في كل أمر من الأمور ، وخاصة في مجال الإنفاق . وقد نوه الله عز وجل بهذه الخصلة وأعلىٰ شأنها حيث قال جل من قائل في هذه السورة المباركة " والذين إذا أنفقـــوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " .(١)

يقول ابن جرير الطبرى مفسرا هذه الآيه " الإسراف ما جاوز الحد الذي أباحـه الله لعباده ، والإقتار ما قصر عما أمر الله به ، والقوام بين ذلك " .(٢)

ويرى الفخر الرازى " الإقتار هو التضييق الذى هو نقيض الإسراف ، والإســراف مجاوزة الحد في النفقة ، وينقل عن غيره من المفسرين وجوها أخرى في الإسراف والتقتير، أحدهـا : " وهو أنه تعالى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير . وثانيهـا : وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتاده والضحاك وهو أن الإسراف : الإنفاق في معصيـــة الله تعالى . والإقتار منع حق الله تعالى . قال مجاهد : لو أنفق رجل مثل أبـــي قبيس ذهباً في طاعة الله تعالى لم يكن سرفا . وثالثهـا: المراد بالسرف مجـــاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وإن كان من حلال ، فإن ذلك مكروه لأنه يـــؤدي إلى الخيلاء ، والقوام حسب قول ثعلب " العدل والاستقامه " .(٣)

---

(١) سورة الفرقان آية : ٦٧ .
(٢) جامع البيان ١٩/٢٣ .
(٣) التفسير الكبير ٢٤/١٠٩ .

وقال الحافظ بن كثير : " ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلاً خيارا " .[١]

وقال الألوسي : " لم يسرفوا : لم يتجاوزوا حد الكرم . " ولم يقتروا : لم يضيقوا تضييق الشحيح . وقال أبو عبد الرحمن الحبلي : الإسراف هو الانفاق في المعاصي . والقتر : الإمساك عن طاعة الله . وروي نحو ذلك عن ابن عباس ومجاهد - وابن زيد - " قواما : وسطاً وعدلا " .[٢] وقال ابن جزي " الإقتار هو التضييق في النفقة والشح وضده الإسراف فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط "[٣] . وقال القرطبي : " قال بعض المفسرين : الإسراف : ما كان من نفقة في معصية الله وإن قلت ، والإقتار : المنع من حق الله ، والقوام : الإنفاق في طاعة الله " .[٤]

هذه الأقوال في مجموعها متقاربة معنى ولفظاً إلا ما نقل الرازى عن بعض المفسرين أن القوام هو القصد الذي يبين الغلو والتقصير ومن حيث المعنى لا يخرج عن اقول المفسرين ، ويوافق ما ذهبنا إليه وجعلناه عنواناً لهذه السمة .

من هذه الأقوال يتبين أن من سمات الدعاة إلى الله التي وردت في سورة الفرقان القصد والاعتدال في الإنفاق . فلا ينفقون نفقة مهما قلت في معصية الله . ولا يمسكون أيديهم عن الإنفاق مهما عظم في طاعة الله .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢٤ .
(٢) روح المعاني ١٩/٤٦ .
(٣) كتاب التسهيل لعلوم القرآن ٣/٨١ .
(٤) جامع لاحكام القرآن ٢٣/٧٢ .

فالقوام هو حالة وسط بين الإسراف الذي هو التبذير . والإقتار الذى هو نوع من البخل .[1] وعليه فالقوام الذي عناه الله عز وجل هو الصفة السلوكية الواجب توفرها في الدعاة وهي : القصد والاعتدال .

والقصد والاعتدال ، إن كان يُنافي الإسراف في الإنفاق في أي معصية فإنه لا ينافي السخاء في الإنفاق في وجوه الخير . لأن السخاء هو خلق الانبياء وورثتهم من الدعاة والعلماء . وفي ذلك يقول الإمام أحمد " لو أن الدنيا لقمة فوضعها المؤمن في في أخيه لم يكن إسرافا " .[2]

فقد نهى عز وجل عن الإسراف وحذر منه وجعله محرّمًا ونص على ذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم . لأنه يؤدي إلى الفقر ، ويذهب بالبشر ، وينشؤه السعة ، وعدم النظر في عواقب الأمور ، والمبذرون أخوان للشياطين في الفساد وعدم الإصلاح ، يقول عز وجل " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا " .[3]

والإسراف مذموم في كل مظهر من مظاهر الحياة . فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد وهو يتوضأ . فوجده يُسرف في استعمال الماء فقال : ما هذا السرف ؟ فقال أفي الوضوء إسراف ؟ قال نعم وإن كنت على نهر جار " .[4]

---

(١) الاسراف : ضد القصد والاعتدال وهو التبذير " الفيروزابادى : القاموس المحيط ٣/١٥١ . الاقتار : الرجل القتور : الرجل البخيل " المصدر السابق ٢/١١٤ .

(٢) الامام شمس الدين المقدسي : الاداب الشرعيه ٣/٢٠٧ ط/مكتبة الرياض بالرياض.

(٣) سورة الاسراء آية ٢٧ .

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب الطهاره ١/٤٨ ورواه غيره وقال عنه في الزوائد إسناده ضعيف .

وكما حذر سبحانه من الإسراف ، حذر من الترف الذي هو أعلى منه درجة . وأشد منه ذماً . وأقبح وزراً . يميت المروءة ، ويغري باكتساب المال بطرق غير مشروعة ، والنفوس المترفة نفوس مترهلة ، أنانية ، لا تعرف لغيرها مصلحة ، ولا ترنو بنظرها إلى عمل سام . همها إشباع بطونها ، وإمتاع نفوسها ، لهذا أعلن الإسلام الحرب على الترف والمترفين ، لأنهم أصل في فساد الأمم ، وسبب في تدميرها ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " .(١)

وكما حذر سبحانه من الإسراف حذر من الإقتار الذى هو نوع من البخل . وإذا كان الأقل منهيا عنه فالأكثر من باب أولى كالحرص والشح الذى أشار اليه عز وجل بقوله " ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " .(٢)

كذلك حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم . وعده من الطبائع القبيحة ، والصفات المرذولة ، لأنه يُفوِّتُ على الإنسان كل لذة ، ويجرعه كل غصة ، وأنه سبب في هلاك الأمم ، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " .(٣) فليس ثمة داء أدوأ على الإنسان من البخل .

---

(١) سورة الاسراء آية ١٦ .

(٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر ، ١٦/١٣٤ .

ولعظم جريرته على الإنسان ، اعتبره النبي صلى الله عليه وسلم شر طبائع الرجل فقال " شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع "[١] كما نفى صلى الله عليه وسلم الإيمان عن قلب دخله الشح فقال : " لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل "[٢] وقد ثبت في الصحيحين أن الملائكة تدعو على الممسك بالتلف وعلى المنفق بالخلف . فقد أخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً . ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً "[٣] ومما حفظ الناس من أقوال الحكماء قولهم " الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والحسود مغموم ، والبخيل مذموم "[٤] وكان صلى الله عليه وسلم "يستعيذ من الجبن والبخل "[٥] .

فالقصد والإعتدال إذا كانا مطلباً يجب توافره في سلوك وتصرفات المؤمنين فإنه يتأكد ويتحتم بالنسبة إلى الدعاة إلى الله الناجحين .

وقد نفى صلى الله عليه وسلم الجور والفقر عن من اقتصد في معيشته بقوله " ما عال من اقتصد "[٦] أي ما افتقر من أنفق فيها قصداً ولم يتجاوز الحد إلى الإسراف ، ولم يقتر فيضيق على عياله ، أو يمنع حقا وجب عليه ، شحاً وحرصاً . كذلك حث الرسول

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم الحديث ٤٨٨١ عن البخاري في الصغير عن أبي هريره في باب الجهاد ورمز لحسنه وقال المناوي في فيض القدير ٤/١٦٠ " قال ابن حاتم اسناده متصل ، وقال الزين العراقي اسناده جيد " " الهلع : أفحش الجزع " ٣/١٠٠ ، الخلع : النزع ٣/١٨ القاموس المحيط .

(٢) مسند احمد ٢/٢٥٦ .

(٣) البخاري : كتاب الكسوف ٢/١٢٠ ومسلم بشرح النووي : كتاب الزكاه ٧/٩٥ متفق عليه .

(٤) المقدسي : الآداب الشرعيه ٣/٣٢١ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ٧/١٥٩ ومسلم بشرح النووي : كتاب الصبر ١/٤١ . متفق عليه واللفظ للبخاري .

(٦) مسند الإمام احمد : ١/٤٤٧ .

صلى الله عليه وسلم على القصد في كل شيء فقال " ياأيها الناس عليكم بالقصد " ثلاثا " فإن الله لا يمل حتى تملوا "[١] وكذلك قوله " سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا "[٢] أي الزموا الطريق الوسط المعتدل تبلغوا الجنه إن شاء الله .[٣] وكل من اقتصد أى ترفق في إنفاقه أمكنه الإجمال في طلبه .[٤]

وكان من توجيهاته صلى الله عليه وسلم السديدة لأصحابه أن يكونوا مقتصدين مع أنفسهم ، أسخياء مع إخوانهم وفي سبيل دعوتهم ، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف . وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى[٥] " فمن بذل الفضل في دنياه ادخره لأخراه ، ومن أمسكه عن واجب استحق عليه العقاب ، وعن مندوب فوت عليه الأجر والثواب . ولعلمه صلى الله عليه وسلم بنوازع النفس البشرية وشدة حرصها على الحياة فقد أرخص في إمساك مقدار الحاجة والإنفاق على الأقرب فالأقرب .[٦]

فالداعي إلى الله يحق هو الذى يأخذ نفسه بفضيلة القصد والإعتدال . ويروضها على تجنب الإسراف والإقتار المذمومين شرعا ، والرضى بالكفاف . فإن ما حل بالأقوام المسرفين والمقترين متعظ لكل ذي لب .

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد /٢٨ .
(٢) صحيح البخارى : كتاب الرقاق /١٨ .
(٣) ابن حجر العسقلاني : فتح البارى ١١/٢٩٨ .
(٤) انظر المناوى : فيض القدير ٥/٤٥٤ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الزكاه ٧/١٢٦ .
(٦) انظر المصدر السابق ٧/١٢٧ .

والخلاصة فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة من بعده سمة " القصد والاعتدال " نهجاً سلكوه في كل تصرفاتهم . والقناعة في الدنيا ، والرضى منها باليسير سمة من سماتهم . ولقد أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس ، واجتنب ما حرم الله تكن أورع الناس ".(١)

---

(١) مسند احمد ٣/ ٣١٠ .

المبحث الرابع : اجتناب الموبقات :-

الصفة الرابعة من الصفات السلوكيه الواجب توافرها في الداعية المسلم هي اجتناب الموبقات . وقد جاءت الإشارة إليها في سورة الفرقان في قوله عز وجل : " والذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر . ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا " .[1]

ذكرت هاتان الآيتان ثلاث صفات سلوكيه موبقه مهلكه . وهي وإن أغفلت غيرها إلا أنها أشارت إلى أشدها وأعظمها باعتبارها نماذج لغيرها . ولعل الشارع قصد بعدم ذكرها الإبهام ليكون الناس على وجل من الذنوب .[2] وهذه الصفات التي أشارت إليها الآيتان ، ويجب أن يتجنبها الدعاة إلى الله هي :

(١) الاشراك بالله :

قال ابن جرير الطبري " الذين لا يعبدون مع الله إلٰها آخر فيشركون في عبادتهم إياه . ولكنهم يخلصون له العبادة ، ويفردونه بالطاعة "[3] فهم إذن موحدون مجتنبون للشرك .

وقال الامام الرازي " إن من صفات الدعاة إلى الله من عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك .[4]

---

(١) الآياتان : ٦٨ - ٦٩ .
(٢) انظر ابن قدامه المقدسي : منهاج القاصدين ص ٢٦٨ .
(٣) جامع البيان ١٩/ ٢٥ والمراغي : التفسير ١٩/ ٤٠ .
(٤) التفسير الكبير ٢٤/ ١١٠ .

وقال العلامه الألوسي " أي لا يشركون به غيره سبحانه " [١]

هذه الأقوال لبعض أئمة المفسرين لا تخرج في مضمونها عن بيان أن من صفة الدعـــاة إلى الله مجانبة الشرك الذى يؤدى بالإنسان إلى الإنحراف في الدنيا والهـــــلاك في الآخرة . وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث مستفيضة عظم جريـــرة الشرك على الإنسان . فقد أخرج البخارى ومسلم بسندهما عن عبد الله بن مسعـــود رضي الله عنه أنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أكبر ؟ قـــال: " أن تجعل لله نداً وهو خلقك " الحديث[٢] .

ولهما أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال " اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يارسول الله وما هنّ ؟ قال: الشرك بالله . ." الحديث.[٣]

ولهما أيضا عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قـــــال : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنابلى يارسول الله قال " الإشراك بالله . . . " الحديث[٤] .

وروى الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم " الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة : ديوان لا يعبأ به اللـــــه ، وديوان لا يترك الله منه شيئا ، وديوان لا يغفره الله . فأما الديوان الذى لا يغفـــره الله تعالى فهو الشرك . قال الله تعالى " إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة "[٥] .

---

(١) روح المعاني ١٩/٤٧ .
(٢) الباب الأول - الفصل الأول ص ٥٧ .
(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى : كتاب الطب ٧/٢٩ . ومسلم: كتاب الايمان ٢/٨٢ .
(٤) متفق عليه واللفظ للبخارى : كتاب الأدب ٧/٧٨ ، ومسلم : كتاب الايمـــان ٢/٨١ .
(٥) مسند احمد ٦/٢٤٠ . والآية : ٧٢ من سورة المائدة .

من هذه الأقوال والأحاديث يتبين أنه يتحتم على الدعاة إلى الله الابتعاد عن الإشراك بالله . والتوجه بالعبادة خالصة لله . ومتى استقرت هذه الحقيقة في نفوسهم امتلأت قلوبهم إيمانا بالله وهانت عليهم كل قيم الحياة . فباتوا لله سجداً وقياماً خشيةً منه ، وابتغاءً لمرضاته .

هذا التوحيد ، وهذا الإفراد بالعبادة هو أساس عقيدة الداعي إلى الله ، كما هو عقيدة الإنسان المسلم . وهو مفارقة كبرى بين الإفراد والتعدد ، وبين الوضوح والبساطة . والالتواء والتعقيد الذي لا يقوم على أساسه نظام كامل شامل للحياة .[1]

(٢) قتل النفس بغير حق :

قال ابن جرير الطبري " إما بكفرٍ بعد اسلامها ، أو زناً بعد إحصانها . أو قتل نفس فتقتل بها "[2] .

وقال الإمام المراغي " أي ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بسبب حق جزيل لحرمتها وعصمتها كالكفر بعد الإيمان . والزنا بعد الإحصان ، وقتل النفس بغير حق "[3] .

وقال الإمام الرازي :" بالردة ، وبالزنا بعد الإحصان وبالقتل قوداً "[4]

وقال العلامه الألوسي " لا يقتلونها إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها كالزنا بعد الإحصان والكفر بعد الإيمان[5] " ولم يذكر القَوَد .

---

(١) انظر سيد قطب : الظلال ٥/٢٥٧٩ .
(٢) جامع البيان ١٩/٢٥ .
(٣) التفسير : المراغي ١٩/٣٨ .
(٤) التفسير الكبير ٢٤/١١١ .
(٥) روح المعاني ١٩/٤٧ .

هذه الأقوال لا تخرج في مضمونها عن أن السبب الموجب للقتل إما الكفر بعد الإيمان أو الزنا بعد الإحصان أو القود . أما الألوسي فإنه لم ينص على أن القود سبباً موجباً للقتل . ولعله سقط ذلك منه سهوا .

كذلك بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه في أحاديث مستفيضة عِظَم جريمة قتل النفس بغير حق، منها :

١ - حديث بن مسعود رضي الله عنه وفيه يجيب الرسول صلى الله عليه وسلم سائله فيما يجيب عنه " وأن تقتل ولدك خشية أن يُطعم معك " .(١)

٢ - حديث أبي هريره رضي الله عنه الذى حدد فيه صلى الله عليه وسلم السبع الموبقات . فقد جاء فيه " وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق " .(٢)

فهذه الأقوال والأحاديث تُبين أن قتل النفس بغير حق من الموبقات التي يتحتم على كل مسلم ، وخاصة الداعية ، أن يفر منها فراره من الردة بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان .

فالتحرج من قتل النفس إلا بالحق مفارقة أخرى بين الإنسان والحيوان ، بين المجتمعات الإنسانية الآمنة، وبين مجتمع الغابات التي لا أمن فيها إلا للأقوى . وحتى الأقوى لا يسلم من القلق والضجر نتيجة لفقده عناصر الإيمان بينما الإسلام يعصم الدم والمال . ومن هنا يشعر المسلم في المجتمع الإسلامي الذى يطبق أحكام الشريعة الإسلامية بالأمن والطمأنينة ، والحرية والراحة .

---

(١) متفق عليه وسبق تخريجه في الفصل الثاني من الباب الأول ص ٥٨ .
(٢) متفق عليه وسبق تخريجه في الفصل الثاني من الباب الأول . ص ٦٠ .

(٣) الزنـــا :

قال ابن جرير الطبرى " يأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج " .[١]

وقال العلامه الألوسي " ولا يطؤن فرجاً محرماً عليهم "[٢]

كذلك بَين الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأحاديث مستفيضة عِظَم جريرة الزنـــا وأثرها السيء على المجتمع .

١ - حديث ابن مسعود الذى سبق ذكره فقد جاء فيه " أن تزاني حليلة جارك " .

٢ - حديث أبي هريرة السابق فقد جاء فيه " وقذف المحصنات الغافلات " .

هذه الأقوال والأحاديث تبين أن جريمة الزنا من الموبقات التي يتحتم على كـل مسلمٍ فضلاً عن الدعاة أن يبتعد عنها ابتعاده عن الشرك والقتل . وهذه مفارقة أيضـا بين الحياة النظيفة التي يسودها الصفاء والنقاء والعفة والطهر ، وبين حياة الدنـس والتفسخ والعهر والمجون التي تسود المجتمعات غير الإسلامية ، ولا يرضى بها كثـير من المجتمعات الحيوانيه .

من مجموع هذه الأقوال يتبين أن اجتناب الموبقات من الصفات السلوكية الواجب على المسلمين فضلا عن الدعاة إلى الله أن يتحلوا بها . لأن هذه الجرائم لا يقتصـر فسادها على مقترفها بل تُلقي أثرها السيء على المجتمع كله . إذ تؤدي إلى اختـلاط الأنساب . وتفشي الأوبئة والأمراض .

---

(١) جامع البيان ١٩/٢٥ . المراغي : التفسير ١٩/٣٨ .
(٢) روح المعاني ١٩/٤٧ .

والخلاصة إن اجتناب الموبقات أثر للتربية الإسلامية الصحيحة الرامية إلى القضاء على الشرك والشذوذ والانحراف . وأن حظ الدعاة إلى الله عز وجل من هذه التربيـــة الإسلامية الرفيعة ينبغي أن يكون أوفى وأعظم . فالذي يرتقي بفكره وسلوكه إلى السمـــو والكمال ، والطهر والعفاف ، والاتصال بالملأ الاعلى ، ينفر بحسه وكيانه وذوقه مـــن الخلاعة والابتذال . وكل ما يشين سلوكه من نقائص ، سواء في ذلك صغيرها وكبيرها .

ولعظم هذه الموبقات الثلاث من الكبائر ، ولكون اجتنابها مكفر للصغائر ، ذكرها سبحانه وتعالى على رأس صفات عباده المؤمنين العاملين ، أرفع الخلق مكانةً ، وأكرمهم عنده منزلة . وعقب عليها بالتهديد والوعيد فقال جل من قائل " ومن يفعل ذلك يلـــق أثاما "[1] أي عذابا مؤلما يضاعفه له سبحانه مع خلوده في المهانة والذلة . وهـــــي أشد وأنكى .[2]

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٩ .
(٢) انظر المراغي : التفسير ١٩/٣٨ .

المبحث الخامس : المبادرة إلى التوبة :-

لما كان الدعاة إلى الله بشرا تعتورهم الأهواء ، ويتعرضون للوقوع في الأخطاء واجتراح بعض الآثام . فقد فتح الله سبحانه - تفضلاً منه وتكرماً - باب التوبة لهم ولغيرهم فقال تعالى "إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا " .(١)

يقول ابن جرير الطبرى في تفسير هاتين الآيتين "إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك وإنابته إلى ما يرضاه الله وآمن وصدق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وعمل بما أمره الله من الأعمال . وانتهى عما تنهاه عنه ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات " .(٢)

ويقول الإمام الرازى "اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر أن من صفات عباد الرحمن الإحتراز عن الشرك والقتل والزنا ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه الأشياء من العقاب ، ثم استثنى من جملتهم التائب وبين أن التوبة الأولى رجوع عن المعصية . والتوبة الثانية الرجوع إلى حكم الله تعالى وثوابه " .(٣)

ويقول الحافظ ابن كثير "أى أقلع عما وقع منه من المعاصي والذنوب القبيحة . فإن الله يتوب عليه " .(٤)

---

(١) سورة الفرقان آية : ٧٠- ٧١ .
(٢) جامع البيان ١٩/ ٢٩ .
(٣) التفسير الكبير ٢٤/ ١١٠ و ١١٣ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٢٧ .

ويقول ابن جزى الكلبي "إن قلنا الآية في الكفار فلا إشكال فيها . لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا ، وإن قلنا أنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح . واختلف هل تصح توبه المسلم في القتل ؟ أما التبديل ، قيل يوفقهم الله لفعل الحسنات بدلاً عما فعلوا من السيئات . وقيل إن هذا التبديل في الآخرة " .[1]

وقال العلامه الألوسي " يعفو سبحانه عن عقابهم ، ويتفضل بدله في الثواب"[2]

شرح هذه الأقوال ومناقشتها :-

نجد ابن جرير يستثني من العذاب المهين الذي هدد الله سبحانه به الطغاة والعصاة من عباده التائبين ويبين أن من رجع إلى الله وأناب إليه وآمن وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم فإن الله سيبدل سيئاتهم حسنات .

بينما الإمام الرازى يبين أن من صفات المؤمنين الاحتراز عن الموبقات ويبين حكم كل منها وبعد أن يستثني منها التائب يبين أن التوبة الأولى التي ذكرها الله سبحانه إنما هي لمن أقلع عن المعاصي والذنوب والآثام . وأن التوبة الثانية فإنها رجوع إلى حكم الله وثوابه . والذى أراه أن التوبة الثانية الذي ذكرها الله سبحانه وتعالى إنما هي بيان حقيقة التائب وإخلاصه في التوبة .

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٨٢ .
(٢) روح المعاني ١٩/٤٩ .

أما قول ابن كثير والألوسي فإنه واضح في أن من أقلع عن الذنوب والمعاصي فإن الله يتوب عليه .

أما ابن جزى الكلبي فإنه يفرق بين الكافر والمسلم . ويرى أنه لا إشكال على توبة الكافر أما توبة القاتل المسلم فيرى أنه مختلف في قبول التوبة منه . أما عن التبديل فإنه ينقل آراء البعض في ذلك .

ومن الواضح أن جميع ما عرضناه من أقوال المفسرين - عدا ابن جزى الكلبي - تبين حقيقة واحدة هو أن من أقلع عن اقتراف الموبقات وعمل الصالحات فإن الله يتوب عليه . ويبدل سيئاته حسنات . أما الإمام الرازى فإنه يضيف إلى ذلك التفريق بين التوبة الأولى والتوبة الثانية .

ولا بد لي من التنويه أن تقصي هذه الاقوال وبيان وجه الحقيقه فيها هو عمل المفسرين ، ويخرج عن نطاق بحثنا ، بيان صفة الداعي .

والذى يتبين من هذه الأقوال أن المبادرة إلى التوبه إن كانت من خلق وصفات عباده المؤمنين فإنها تكون أخص بالنسبة إلى الدعاة لدينه العاملين . وقد منحها الله جل ثناؤه بمحض رحمته وعظيم إحسانه . فهي واجبة بنص القرآن[1] ، وإجماع الأمة[2] ، وهي تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية وتنتهي بالعمل الصالح[3] ، ومتى استجمعت

---

(١) وفي ذلك يقول تعالى " ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا " سورة التحريم آية ٨ .

(٢) ابن قدامة المقدسي : منهاج القاصدين ص ٢٦٦ ط/٤ المكتب الاسلامي .

(٣) انظر سيد قطب الظلال : ٥/٢٥٨٠ .

التـــوبة قاعدتهـــا وشرطها كانت صحيحة ومقبولة ، وقد حث صلى الله عليـــه وسلم على التوبة وجعل بابها مفتوحة لا تغلق إلا بالغرغـــرة ، وفي ذلك يقـــول صلى الله عليه وسلم " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر "[1] وقال أيضـــا " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون "[2] وقال أيضا " والذي نفسي بيـــده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم[3] " .

فلا غرابة أن نجد سيد الدعاة وأسوتهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقـــول " والله إني لاستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة "[4] .

فعلى الدعاة إلى الله الذين سبقت أقدارهم أعمالهم ، ووقعوا في المعصيـــة ، ثم استيقظت قلوبهم لهول ما وقعوا فيه عليهم أن يقلعوا عن المعصية فوراً ، ويتبعـــوا رشدهم ، ويبادروا الأعمال الصالحة ويلوذوا بجناب الله متذللين متضرعين أن يقبلهـــم الله في عباده الصالحين . وينجيهم من العذاب الأليم ، وحاشا لله سبحانه وتعـــالى أن يرد عبدا أتاه تائبا ، فقد ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لَلَه أشد فرحا بتوبةعبده المؤمن من رجل في أرض دوية[5] مهلكةمعه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فنام فاستيقظ وقد ذهبـــت ، فطلبها حتى أدركه العطش ، ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حـــتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ وعنده راحلته ، عليها زاده وطعـــامه

---

(١) سنن الترمذي دعوات/٩٨ وابن ماجه في الزهد /٣٠ . وقال السيوطي : رواه أحمد والترمذي في الدعوات وابن ماجه في الزهد وابن حبان والحاكم في التوبة والبيهقي كلهم عن ابن عمر . وقال الترمذي حسن غريب " فيض القدير ٢/٣٠٦ .

(٢) سنن الترمذي : قيامه /٤٦ وابن ماجه بالزهد /٣٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : كتاب التوبه ١٧/٦٥ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ٧/١٤٥ واللفظ له . وابن ماجه كتاب الادب/٥٧ وفي الزوائد رواه النسائي .

(٥) الدويه : " الفلاه المستويه الواسعة البعيدة الاطراف " صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/٦٠ ، وابن قدامه المقدسي : منهاج القاصدين /٢٦٥ .

وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته "[1].

وقد جعل سبحانه وتعالى التوبة تجب ما قبلها فقد جاء في الحديث " التائب من الذنب كمن لا ذنب له "[2] وهذا رحمة من الله وتفضل منه ومنّة .

---

(١) صحيح البخارى : الدعوات ٧/١٤٦ ومسلم بشرح النووى ١٧/٦٠ متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد / ٣٠ وقال السندي رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب ورجاله ثقات . وذكره صاحب الزوائد في زوائده .

المبحث السادس : القدوة الحسنة :-

الصفة السلوكية السادسة التي ينبغي توافرها في الدعاة إلى الله هي أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم ، وقد جاء في سورة الفرقان ما يدل على ذلك . بقوله تعالى : " والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما " .(١)

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله " والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك ، وأن تجعلنا أئمةً يُقتدى بنا من بعدنا " .(٢)

ويقول الإمام الرازي " لا شبهة أن المراد أن يكون قرة أعين لهم في الدين لا في الأمور الدنيوية من المال والجمال . وأنهم سألوا أن يلحق الله أزواجهم وذريتهم بهم في الجنة ليتم سرورهم بهم كما سألوا ربهم أن يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار إليهم ويقتدى بهم " .(٣)

ويقول الحافظ ابن كثير " ومن صفاتهم أنهم يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له ، فتقرُّ به أعينهم في الدنيا والآخرة . . " واجعلنا للمتقين إماما " قال ابن عباس والحسن والسدي وقتاده والربيع بن أنس : أئمة يقتدى بنا في الخير ، وقال غيرهم : هداة مهتدين دعاة إلى الخير " .(٤)

---

(١) سورة الفرقان آية : ٧٤ .
(٢) جامع البيان ١٩/٣٣ .
(٣) التفسير الكبير ٢٤/١١٤ والنيسابوري : هامش جامع البيان ١٩/٤٠ والألوسي : روح المعاني ١٩/٥٢ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٣٠ .

ويقول العلامة الألوسي " بتوفيقهم للطاعة . . . . واجعلنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل " . .[1]

ويروى عن مجاهد أن إمام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ، والمعنى اجعلنا قاصدين للمتقين مقتدين بهم " ويقول الألوسي أن الرأي الأول أولى .[2]

هذه الأقوال لبعض أئمة التفسير وإن اختلفت في مبناها فان المعنى واحد وهو أن هؤلاء الصالحين رغبة في اتصال النسب . سألوا ربهم أن يخرج لهم من أزواجهم وأصلابهم ذرية حسنة يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئا تقربهم أعينهم وتسر أفئدتهم . وأن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير . إلا أن العلامه الألوسي يروي عن مجاهد رأيا آخر هو أن يجعلهم قاصدين للمتقين مقتدين بهم .

فالذى نستنتجه من هذين المطلبين أن الدعاة إلى الله رغبوا في أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة ذراريهم ، وأن يكون هداهم متعدياً إلى غيرهم ، هداة صالحين في أمر العقيدة والدين .

فقد روى ابن جرير الطبرى عن المقدادين الأسود قال " لقد بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة يُبعث عليها نبي من الأنبياء ، في فترة وجاهلية ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل وفرق بين

---

(١) روح المعاني ١٩/٥٢ - ٥٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٣ .

الوالد وولده حتى أن الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافراً ، وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام فيعلم أنه إن مات دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار " .(١)

كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به أو صدقة جارية " .(٢)

فلا غرابة إذا رأينا الدعاة إلى الله يسألون ربهم أن يهب لهم ذرية صالحة تصل أعمالهم بأعمال خلقهم ، ويتعدى هداهم إلى غيرهم فلا ينقطع أجرهم ، وليس في هذا الطلب أثرة ولا استعلاء ، فالركب كله يسير في الطريق إلى الله .

فقد كان صلى الله عليه وسلم - الداعية الأول - المثل الأعلى والقدوة الحسنة . إذ إليه يرجع الكمال في كل شيء ، ومنه يُعرف الكمال في كل شيء ، ولا كمال لأي داعية إلى الله إلا باتباعه ، والإقتداء به ، والتأسي منه .

فعلى الدعاة إلى الله أن يسيروا على هذا النهج في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يواجهون الجاهلية الحديثه . ويقارعون الطغاة . ويفندون الباطل ويدعون إلى الحق والعدل والدين غير هيابين ولا وجلين . يفاصلون بين قوى الخير وقوى الشر . وبهذا تسنى لسلفهم الصالح أن يشيدوا الممالك ، ويعمروا الأرض .

---

(١) جامع البيان ١٩/٣٣ .
(٢) كتاب الوصيه ١١/٨٥ وأبو داود في الوصايا /١٨ والترمذي في الاحكام /٣٦ والنسائي في الوصايا /٨ واحمد في مسنده ٢/٣١٦ .

ويقيمـــوا منـــارات الهدى في كل صقع . وما لم تتم المفاصلة الكامله في هذا العصر بين قوى الخير وقوى الشر لن يتحقق وعد الله بالنصر .

ولدى استقراء التاريخ الإسلامي نجد أن هذه المفاصلة لم تتحقق إلا بعد أن فاصل الدعاة إلى الله من عباد الرحمن أعداء الرحمن على أساس العقيدة ، فاختاروا الله وحده وكانوا هم حزب الله ، فلم يعتمدوا على أحد سوى الله ولم يجدوا لهـــــم ناصراً غير الله .

خـــــــاتمة

لقد سعيت على قدر جهدى وطاقتي أن أجلو في الصحائف السابقة طبيعة الدعـــــوة إلى الله في تقرير وجود الله ووحدانيته ، والدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر ، وتقرير رســالة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم مهمة وواجبات الداعية . والصفات الواجب تحققها فـــــي الدعاة إلى الله . كل ذلك في ضوء سورة الفرقان .

١ - ففي ميدان الدعوة إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، استطعت أن أبيـــــن استحالة أن يكون هذا الكون قائما بذاته أو وجد مصادفة ، أو أن الله من الأمـــور الغيبية ، أو أن الأمور الغيبية لا وجود لها ، بل إن العقل يقرر في اطمئنـــان أن هذا الكون يدار بحكمة وأن له بلا شك إلٰها مدبراً حكيماً .

٢ - ومن حيث الدعوة إلى وحدانية الله عز وجل ، ظهر لي بوضوح أن الوحدانية صفـــة كمال ، وأن التعدد نقص ، والنقص لا يجوز بحق الله . وأن هذا الكون الرحـــب المنظم إنما أبدعه إله واحد ، لا آلهةٌ متعددة ، لا تملك أن تنفع أو تضر نفسهـــا ، ناهيك أن تنفع أو تضر غيرها ، أو تسهم من بعيد أو قريب بإدارة وتنظيم هـــذا الكون .

٣ - وفي ميدان تنزيه الله عن الولد ، انتهى بي البحث إلى أن ادعاء البنوة مقتبـــس عن الوثنيات السابقه وليس من أصل النصرانية أو اليهودية اللتين جاءتا من لـــدن الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

أما تنزيه الله عن الشريك فقد تبين لي أن الشرك في حقيقته عبادة لمجموعة من السدنة والكهان توارت خلف معبودات مجسمة من الأصنام والأوثان . تُحَرِّمُ على عابديها الحـــلال وتحل لهم الحرام . لا تقدر على خلق شيء ، ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعا ولا يملكـــون

موتا ولا حياة ولا نشورا . فالعجب كل العجب من هؤلاء المشركين الذين انحرفوا عن منهج الحق وتركوا عبادة الخالق المالك المتصرف في كل شيء في هذا الوجود إيجاداً وعدما .

٤ - ومن حيث خصائص الألوهية ظهر لي بوضوح أن أهم الخصائص التي أثبتتها سورة الفرقان هي :

أ) خاصية الخلق : فقد قرر سبحانه وتعالى أنه هو خالق هذا الكون " هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعاً " . وأن ما عداه لا يستطيع أن يخلق ذرة . وليس ثمة حق من القول أو مأثور من العلم يدعي أو يزعم أنه خلق ذبابا .

ب) خاصية الملك : كما قرر أن المالك الحقيقي لهذا الوجود هو الله الخالق ، فهو ربه ومصدر رزقه ، وهو وحده المتصرف به ، والحاكم المشرع له ، وأن الإنسان مستخلف في هذه الأرض ، ليس له ملكية استقلالاً ، والله هو مالك الملك يؤتي ملكه من يشاء وينزعه عمن يشاء ، لا راد لما يعطى ، ولا معقب لحكمه .

جـ) خاصية النفع والضر : كذلك يقرر سبحانه وتعالى أنه هو وحده المتصرف في عباده نفعاً أو ضراً . وأنه لا يقع في هذا الوجود ، ضراً كان أو نفعا إلا بمشيئته تعالى ، وبمشيئته تعالى تنشىء الأفعال آثارها وتحقق نتائجها سلباً أو ايجاباً .

د) خاصية الإحياء والإماته وقد انتهيت إلى أن الموت والحياة بيد الله . وأن البشرية بمجموعها تظل أعجز من بث الحياة في خلية واحدة . أو إماتة خلية واحدة على وجه الحقيقه . والإنسان في ذلك لا يعدو أن يكون وسيلة لتقرير حقيقة أزلية .

٥ - ومن جهة الإيمان باليوم الآخر ، تجلى بوضوح أن الإيمان به أصل من أصـــــول العقيدة الإسلامية . وأي جحود لهذا الأصل يعتبر خللا في العقيدة يؤدي إلـى الكفر ، وهو أمر أجمعت الرسالات السماوية على تأكيده وإتيانه ، وما خلا نبي إلا حذر قومه منه . ولا يسود الخير والأمن في الدنيا إلا على اساس الايمان به . ولو لم يكـن ثمة بعث ولا حساب لأصبحت حياتنا عبثاً والله منزه عن العبث .

٦ - ومن حيث تفنيد شبه الجاحدين لليوم الآخر التي تتلخص في أن البعث كذب وافـتراء وأن هذه العظام الرميم لا يمكن إحياؤها بعد أن أرمت وبلت ، فندت هذه الشـبه ببيان قدرة الله على الإحياء وذلك :

أ) بالاستدلال بخلق الإنسان ابتداءً وهذا ما يسمى بدليل " الابداء " .

ب) بالاستدلال بأطوار الحياة في جنين الانسان والحيوان . وحياة النبات سجـــلا أوجه التشابه بين أبناء الحياة . وهذا ما يسمى بدليل النظام .

جـ) بالاستدلال باخراج الحي من الميت وإحياء الأرض بعد موتها وهذا ما يسمى بدليل الاعادة .

د) بخلق السموات والأرض ، والرياح والمطر .

هـ) باليقظة بعد النوم .

و) بانبات الزرع .

مدعماً ذلك بالشواهد والآيات القرآنية .

٧ - ومن حيث بيان أثر عقيدة اليوم الآخر في حياة الأمة المسلمة أوضحت بشـــــكل جلي أن لهذه العقيدة أثراً في حياة الأمة الاسلامية ، واستقامة سلوكها ، وأنهـــا سبب انتصارها على أعدائها . بما تبثه من روح جهادية بين أبنائها ، شعوراً منهـم أن الآجال بيد الله سبحانه .

٨ - وفي تقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بدا جليا أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وأنهما موحى بهما من قبل الله تعالى وأن محمدا رسول الله وبعوث السماء إلى الخليقة جمعاء . وأن عهد الرسالات القومية والمحلية قد انتهى . وأن رسالته صلى الله عليه وسلم عالمية وشاملة وهي فوق ذلك خاتمة ومحفوظة .

٩ - رد الشبهات التي أثارها الكفار ضد محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته :

فمن حيث شبهة الإفك والإفتراء تبين أن إطلاق أمثال هذه الأباطيل على رجل يعرفون صدقه وأمانته ، إنما كان من قبيل العناد واللجاج والخوف على مراكزهم الإجتماعية وسلطتهم الدينية على العرب .

ومن جهة إطلاق هذه المفتريات على الرسالة ، فإن القوم كانوا يرمون من وراء ذلك الى قطع الصله بين القرآن الكريم وبين الله جل ثناؤه . بأن يجعلوه من عند محمد وبذلك يجردون الشريعة الإسلامية من عناصر الخلود المستمدة من السماء .

ومن حيث شبهة الاساطير والأوهام ظهر لي بوضح أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد علم بالتواتر ، وباتفاق أهل المعرفة أنه لم يكن يعاني شيئا من الكتابة أو القراءة لا في أول عمره ولا في آخره . وقد تولى الله سبحانه رد هذه الفرية مبينا لهم أنه تنزيل من حكيم حميد . يعلم أسرار السموات والأرض ، وأنه لا صلة له بالبشرية إلا بمقدار كونه مصدر هدايتهم وأرشادهم .

ومن حيث شبهة بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم قادني البحث إلى أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا من الرسل ، بل سبقه في ذلك رسل كثير ، وأن النبوة هبةٌ إلٰهية يهبها الله لمن يشاء من عباده . لا تدرك بالجد والتعب وكثرة

الطاعات ، بل بالاصطفاء والتخيير ، وأن الله أعلم حيث يجعل رسالته .وأن حكمته البالغة اقتضت أن يرسل للبشرية رسلا من أنفسهم يكون لهم القيادة والتوجيه والإنذار والتبشير . والاعتراض على بشرية الرسول جهل بهذه الحكمة وجهل بتكريم الله للإنسان واستخلافه على هذه الأرض .

ومن حيث شبهة السحر فقد انتهى بي البحث إلى أن هذه المقولة الظالمة من مشركي مكة إنما أريد بها الاستهانة بشخص الرسول الكريم والتنقيص من قدره .

ومن حيث شبهة طلب إنزال الملائكة أو رؤية الله عز وجل فقد فند سبحانه وتعالى هذه الأقوال الباطلة ، وبين أن مصدر هذا التطاول على مقام الألوهية ، كونهم مشركين لا يوقنون بمعاد ، ولا يخافون عقاب ، عَظُمَ شأنهم في أنفسهم ، فاستكبروا وطغوا طغياناً كبيرا حتى ظنوا أنهم أهل لنزول الملائكة عليهم أو رؤية ربهم ، ونسوا مع ما هم عليه من قوة أنهم لا يساوون الهباء إلى جانب العظيم الجبار . ثم عقب سبحانه على هذا الرد الإلهي ببيان أن رؤية الملائكة أمر مرتبط باليوم الآخر ، الذي لا أمل فيه لمشرك في إيمان ، ولا فرصة لمجرم في غفران .

ومن حيث شبهة نزول القرآن الكريم جملةً واحدة فقد أوضح سبحانه وتعالى بجلاء أن الحكمة من نزول القرآن بعضه إثر بعض هو تثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومراعاة مدى استعداد الناس للتلقي ، وليسهل حفظه وفهمه . وعليه فإن التدرج في التشريع هو الأنسب والأفضل لرعاية المجتمع الإسلامي والأخذ بيده برفق نحو الهداية والرشاد .

١٠- وفي نطاق بيان مهمة الداعية والصفات الواجب تحققها . فإن الصفات التي نصت السورة على أهمها تكفي لأن تكون نموذجاً لأهم ما ينبغي أن يتوافر في الدعاة

من صفات ذاتية فُطِرُوا عليها وصفات سلوكية درجوا على التحلي بها :

١- فمن حيث مهمة الداعية وواجباته انتهيت إلى أن البلاغ بوسيلتي التبشير والإنذار وتحمل الأذى هي أهم الواجبات التي ينبغي على الداعية أن يحققها فيه .

٢- ومن حيث الصفات الذاتية أرشدني الله إلى تقرير :

أ) أن الإلتجاء إلى الله والتوكل عليه واجب على الداعية المسلم في كل الأمور ، وأن التوكل لا ينافي الاكتساب والأخذ بالأسباب . وأن الأسباب لا تأتي بالنتائج بل الذي يأتي بالنتائج هو قدر الله سبحانه . وأن الأخذ بالأسباب أمر إلهي أوجبه الله على عباده لئلا يؤثروا الراحة ، ويتعللوا بالتوكل .

ب) وأن الصبر على الابتلاء ضرورة دنيوية وأخروية ، وخصوصية إنسانية ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا به ، فمن صبر ظفر ، ومن جزع خسر ، وهو واجب بإجماع الأمة الإسلامية . وهو في حدود طاقة الإنسان وامكاناته الذاتية .

جـ) وأن الفطنة ونفاذ البصيرة من الصفات الذاتية للدعاة إلى الله حيث مداركهم منفتحة . وأسماعهم واعية ، وافئدتهم راعية ، لما في عقيدتهم حق ، وما في آيات الله صدق .

د) وأن الخوف من الله إن كان صفة ذاتية فإنه فطرة إلهية ، فُطِرَ الله عباده المؤمنين عليه . وهو على مقامين : خوف من الله وهو خوف العارفين ، وخوف من عذابه . وهو خوف عموم المؤمنين . وهو يحرر المؤمن من كل خوف سوى الله عز وجل .

٣- ومن حيث الصفات السلوكية هداني الله إلى اعتبار :

أ) أن التواضع هو الخشوع لله وخفض الجانب تذللا للمؤمنين ، ولين الجانب لعامة الناس، وقبول الحق ممن قاله أياً كان. وهو فوق ذلك من الأخلاق الفاضلة والصفات العالية ، به يتحقق التآلف والود ، وأن الدعاة إلى الله هم أحوج الناس إلى خلق التواضع .

ب) وأن الترفع عن اللغو ومجانبة مجالسه من السمات السلوكية للداعي الناجح . وهو من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان فضلاً عن الدعاة إلى الله . وهو دليل على قوة الشخصية ، ومظهر من مظاهر الرشد واكتمال العقل ، وثمرة من ثمار التدين الصحيح ، وهو في مواطن الغضب ضبط للنفس ، وسيادة عليها .

جـ) وأن القصد والاعتدال في النفقة من السمات السلوكية للدعاة إلى الله ، فلا ينفقون نفقة مهما قلت في معصية الله ، ولا يمسكون أيديهم عن الإنفاق مهما عظم في طاعة الله ، وهو بهذا التعبير ينافي الإسراف ولكنه لا ينافي السخاء . وأن الداعي إلى الله الناجح هو الذي يأخذ نفسه بفضيلة القصد والاعتدال ، ويروضها على تجنب الاسراف والاقتار المذمومين شرعا ، والرضى بالكفاف .

د) وأن اجتناب الموبقات من الصفات السلوكية الواجبة على المسلمين فضلا عن الدعاة الى الله . العاملين في سبيل نشر دين الله . لأن هذه الجرائم لا يقتصر فسادها على مقترفيها فحسب بل تلقي أثرها السيء على المجتمع كله .

هـ) واجتناب الموبقات أثر للتربية الإسلامية الصحيحة الرامية إلى القضاء على الشرك والشذوذ والانحراف . فالذي يرتقي بفكره وسلوكه إلى السمو والكمال ، والطهر والعفاف . والاتصال بالملأ الأعلى . ينفر بحسه وكيانه وذوقه من الخلاعة والابتذال ، والآثام .

و) وأن المبادرة إلى التوبة ، وإن كانت من خلق وصفات عباد الله المؤمنين ، فهي أخص بالنسبة إلى الدعاة لدينه العاملين ، وقد منحها الله جل ثناؤه بمحض رحمته وعظيم إحسانه ، لمن آب الى ربه ، والتزم بجنابه ، وأراد أن يطهر نفسه من رجس الآثام .

وهي واجبة بنص القرآن الكريم ، وإجماع الامة ، تبدأ بالندم ، والإقلاع عن المعصية ، وتنتهي بالعمل الصالح ، ومتى استجمعت التوبة شرطها وقاعدتها كانت صحيحه ومقبوله إن شاء الله .

وأخيراً فإن القدوة الحسنة هي من الصفات السلوكية التي ينبغي ان تتوافر في الدعاة إلى الله . ولا يضير الداعية الحق أن يتأسى بغيره وأن يكون اسوة لغيره . فلا غرابة أن يسأل هؤلاء الدعاة الصالحين ربهم رغبةً في اتصال النسب أن يرزقهم ذرية صالحة وبذلك تكون عبادتهم متصله بعبادة ذراريهم . وهداهم متعدياً إلى هداية غيرهم .

هذه هي في تقديري المنطلقات الأساسيه . والقضايا الكبرى التي دعا إليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ودعا اليها خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم . ونص عليها القرآن الكريم لا في سورة الفرقان فحسب بل في معظم سور القرآن الكريم وخاصة المكي منه .

فعلى الدعاة إلى الله مراعاتها في دعوتهم ، فهي الأساس في البناء العقدى للمجتمع الاسلامي .

وبعد فقد كان باعثي على الكتابه في هذا الموضوع ، شعور بالداء الذي استحكم في هذه الأمة الإسلاميه . ورغبةً في تلمس الدواء . فإن وفقت لما أصبوا اليه ، فبتوفيق من الله جل ثناؤه ، وان عجزت عن الوفاء بما يبلغ بي الغاية ، فحسبي أن أضع للسالكين على درب الدعوة إلى الله هذا البحث ليكون لهم معلما على طريق دعوتهم اللاحب .

وأرجو من الله العلي القدير أن يجعلني في عداد من قال الله فيهم " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين " .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . فانه خير مأمول وأكرم مسؤول .

انتهت ١٥ شعبان سنة ١٤٠١هـ . محمد بن سعيد البارودي
الموافق ١٧ ايار سنة ١٩٨١م .

ثبت المراجـــع

أولا - القرآن الكريم .

ثانيا - كتب الحديث القديمه :

البخارى : ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيره بن برذ وبـــــه البخارى الجعفي (ت ٢٥٦هـ) .

١ - جامع الصحيح للبخارى طبع عام ١٩٧٩م الناشر: المكتبة الاسلامي - استامبـــــول بتركيا .

٢ - جامع الصحيح للبخارى

الإمام مسلم : أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسا بورى (ت٢٦١هـ)

٣ - صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . نشر وتوزيع رئاسه إدارات البحوث العلميه والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .

أبو داود : سليمان بن الاشعث السجستاني الأزدى (ت ٢٧٥هـ)

٤ - سنن أبو داوود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار إحيـــاء السنه النبويه .

الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذى (ت ٢٩٧هـ) .

٥ - جامع الصحيح للترمذى - سنن الترمذى - تحقيق ابراهيم عطوه ، ومحمد فـــــؤاد عبد الباقي .

النسائي : أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بـــــن دينا - النسائي (ت ٣٠٣هـ) .

٦ - سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السنـــــدى طبعة أولى . الناشر : دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع بيروت .

ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) .

٧ - سنن ابن ماجه : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار احياء التراث العربي الامام مالك ابن أنس رضي الله عنه (ت ١٧٩هـ) .

٨ - الموطأ : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر : دار احياء الكتب العربيه - بيروت .

الامام أحمد : بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) .

٩ - مسند الامام أحمد . الناشر : المكتب الاسلامي للطباعة والنشر - بيروت ، كتب الحديث الحديثه .

ابن الأثير : مجد الدين ابي السعادات المبارك بن الاثير الجزرى (ت ٦٠٦هـ)

١٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق عبد القادر ارناؤوط . الناشر : مكتبة الحلواني .

السيوطي : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) .

١١- الجامع الصغير : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر : المكتبة التجاريه الكبرى بمصر العجلوني : اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١١٦٢هـ) .

١٢- كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ، طبعة ثالثه الناشر : دار احياء التراث العربي - بيروت .

أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الاصبهاني (٤٣٠هـ)هـ .

١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت .

ثالثا - كتب علوم القـــرآن والفهارس

الباقلاني : القاضي أبو بكر الباقلاني

١٤- اعجاز القرآن - مخطوطه برقم ١١٩٩ لدى المكتبه المركزيه بجامعه الامام محمد بـــن سعود الاسلاميـــة .

الراغب الاصفهاني : أبي القاسم الحسين بن محمد . المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)

١٥- المفردات في غريب القرآن الناشر : دار المعرفه للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

السيوطي : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

١٦- الاتقان في علوم القرآن . الناشر: المكتبه الثقافيه بيروت ١٩٧٣م

عبد الباقي : محمد فؤاد عبد الباقي .

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الناشر : دار احياء التراث العربي بيروت .

قطان : مناع قطان

١٨- مباحث في علوم القرآن . الطبعه الرابعه ، الناشر : مؤسسة الرساله .

مخلوف : حسنين محمد مخلوف

١٩- كلمات القرآن تفسير وبيان . طبعه ثامنه عام ١٣٩٠هـ .

رابعا : أ) كتب التفاسير القديمه

ابن جرير : ابن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ)

٢٠- جامع البيان عن تأويل آى القرآن . الناشر : المطبعه الكبرى الاميريه بمصـــــــــر المحمديه عام ١٣٢٤هـ .

٢١- تفسير الطبرى : تحقيق محمود شاكر . الناشر : دار المعارف بمصر

ابن جزى : محمد بن أحمد بن جزى الكلبي (ت٧٤١هـ)

٢٢- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل . طبعه ثانيه . الناشر : دار الكتاب العربي بيروت .

الرازى : أبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الشافعي الطبرستاني . الملقب بفخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ)

٢٣- التفسير الكبير ، الطبعة الثانيه . الناشر : دار الكتب العلميه - طهران

الزمخشرى : محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ)

٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل طبع عام ١٣٦٧هـ .

القرطبي : ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، الانصارى الخزرجي الاندلسي (ت٦٧١هـ) .

٢٥- الجامع لأحكام القرآن . طبعة دار الكتب المصريه عام ١٣٦٩هـ .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) .

٢٦- تفسير القرآن العظيم طبعه ثالثه ، الناشر : مطبعة الاستقامه بالقاهرة .

النيسابورى : نظام الدين ابن الحسن ابن الحسين الخراساني النيسبورى . (تاريخ الوفاه غير معروف) .

٢٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، هامش جامع البيان - تفسير ابن جرير الطبرى -

ب) كتب التفسير الحديثة :

الألوسي : شهاب الدين محمود الالوسي (ت ١٢٧٠هـ)

٢٨- روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .الناشر : دار احياء التراث العربي . بيروت .

البهي : الدكتور محمد البهي .

٢٩- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم . تفسير سورة الفرقان . الناشر: مكتبة وهبه . القاهرة .

الجلالين : جلال الدين المحلي (ت٨٦٤ هـ) وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) .

٣٠- تفسير الامامين الجلالين . مطبوعات دار مروان - دار العربيه

الشوكاني : محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)

٣١- فتح القدير : الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

الجمل : سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل(ت١٢٠٤هـ)

٣٢- الفتوحات الالهيه . طبع دار احياء الكتب العربيه بمصر .

سيد قطب (ت ١٩٦٦م)

٣٣- في ظلال القرآن . طبعه رابعه . الناشر : دار الشروق

المراغي : احمد مصطفى المراغي (ت ١٩٤٥م).

٣٤- تفسير المراغي . طبعه ثانيه عام ١٣٨٢هـ الناشر : مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .

خامسا - كتب الحديث وشروحه

الاثرى : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني الشافعي الاثرى

٣٥- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنه الناس من الحديث . الناشر : دار الكتاب العربي بيروت

ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

٣٦- فتح البارى بشرح صحيح البخارى . تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز . نشر : دار الفكر للطباعه والنشر .

المناوى : محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوى

٣٧- فيض القدير بشرح الجامع الصغير . الناشر : دار المعرفه للطباعة والنشر - بيروت

النووى : محي الدين ابو زكريا يحي بن شرف بن مرى الجزامي الحوارى الشافعي

٣٨- المنهاج : صحيح مسلم بشرح النووى . الناشر : دار الفكر

سادسا - كتب الأطراف والفهارس

مجموعة من المستشرقين باشراف الاتحاد الاحمي للمجامع العلميه .

٣٩- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى . الناشر : مكتبه بريل في مدينة ليـــدن سنه ١٩٣٦م

التوقادى : محمد الشريف بن مصطفى التوقادى

٤٠- مفتاح الصحيحين . الناشر : دار الكتب العلميه - بيروت .

ابن صديق : عبد العزيز بن محمد بن صديق

٤١- البغيه في ترتيب أحاديث الحليه . الناشر : دار القرآن - بيروت .

سابعا - كتب اللغـــه

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور . (ت ٧١١هـ)

٤٢- لسان العرب : طبعة بولاق . الناشر : الدار المصريه سنه ١٣٠٣هـ .

الفيروزأبادى : محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازى الفيروزابادى (ت ٨١٧هـ)

٤٣- القاموس المحيط . الناشر : المطبعة الحسينيه المصريه سنة ١٣٤٤هـ . طبعة ثانيه .

ثامنا ـ كتب متنوعة

الأشقر : عمر سليمان الاشقر

٤٤- العقيده في الله ، الناشر : مكتبة الفلاح ـ الكويت .

الألمعي : الدكتور زاهر عواض الألمعي

٤٥- مناهج الجدل في القرآن ـ مطبعة الفرزدق التجارية

الألوسي : محمود شكرى الألوسي

٤٦- بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ، تحقيق محمد بهجت الاثرى

البوطي : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٤٧- منهج تربوى فريد ، طبعة ثانية ـ الناشر : مكتبة الفارابي

ابن تيميه : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميه الشـــــرى الحراني (ت ٧٢٨هـ)

٤٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . الناشر : مطبعة المدني ، المؤسســة السعودية بمصر

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت (١٥٥هـ)

٤٩- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون طبعه ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .

الجارم : محمد نعمان الجارم

٥٠- أديان العرب في الجاهليه ، طبعه أولى . الناشر : مطبعة السعاده بمصـــــر سنة ١٣٤١هـ .

الجزائرى : أبو بكر جابر الجزائرى

٥١- منهاج المسلم : الناشر : دار الفتح ودار الفكر . طبعه ثانيه ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

الجسر : نديم الجسر مفتى طرابلس

٥٢- قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ـ الطبعه الثالثه ـ الناشر : المكتـــب الاسلامي .

ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن جعفر الجوزى (ت٥٩٧هـ)

٥٣- صفة الصفوه ، تحقيق محمود فاخورى ، الناشر : دار المعرفه للطباعة والنشر ، بيروت .

٥٤- صيد الخاطر . طبعة ثانيه ، الناشر : دار الفكر - دمشق .

حبنكه : عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني

٥٥- صراع مع الملاحده . طبعه ثانيه ١٤٠٠هـ الناشر : دار القلم - دمشق .

٥٦- العقيده الاسلاميه . طبعه ثانيه ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . الناشر ، دار القلم - دمشق .

حنفي : حنفي عبد الله حنفي ، ومحمد محرم المصرى

٥٧- النصوص الأدبيه ، سنه ثانيه متوسطه ، مقررات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه طبع عام ١٤٠٠هـ.

ابو حنيفه : النعمان بن ثابت بن زوطي (ت ١٥٠هـ)

٥٨- رسالة في علم التوحيد . ضمن كتاب مجموع في التوحيد ، مخطوطه رقم ٥٧٦ وعليها شرح للشيخ ابي المنتهى .

حوى : سعيد حوّى

٥٩- الرسول صلى الله عليه وسلم . الطبعه الاولى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

٦٠- الله جل جلاله ، طبعه ثانيه ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م . الناشر : دار القلم بيروت

خان : صديق حسن خان (ت١٣٠٧هـ)

٦١- فتح البيان في مقاصد القرآن . طبع ١٩٦٥م الناشر : مطبعة العاصمه بالقاهرة .

خان : وحيد الدين خان

٦٢- الاسلام يتحدى ترجمه ظفر الاسلام خان . طبعه سابعه الناشر : المختار الاسلامي ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٦٣- الشريعه الاسلاميه وتحديات العصر . سلسلة نحو وعي اسلامي ترجمة ظفر الله خان . طبعه سابعه ، الناشر : المختار الاسلامي عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

خطيب : عبد الكريم الخطيب

٦٤- النبي محمد صلى الله عليه وسلم . الطبعه الثانيه ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م . الناشر دار المعرفه للطباعه والنشر - بيروت .

ابو خليل : شوقي ابو خليل

٦٥- الانسان بين العلم والدين . الناشر : مطبعة الانشاء - دمشق

دراز : الدكتور عبد الله دراز

٦٦- النبأ العظيم . الناشر : دار القلم الكويت

أبو زهره : محمد أبو زهره

٦٧- محاضرات في النصرانيه . طبعه خامسه . الناشر: دار الفكر العربي

الزوزني : القاضي المحقق أبي عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني

٦٨- شرح المعلقات السبع . الناشر : دار الكتب العلميه . بيروت طبع عام ١٣٩٨هـ

زيدان : الدكتور عبد الكريم زيدان

٦٩- اصول الدعوه ، طبعه ثالثه - الناشر : جمعية الأماني عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

سابق : السيد سابق

٧٠- دعوة الاسلام : الناشر : دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

سالم : الدكتور رشاد سالم

٧١- المدخل للثقافه الاسلاميه .

السامرائي : الدكتور فاضل صالح السامرائي

٧٢- نبوة محمد صلى الله عليه وسلم طبعه أولى عام ١٣٩٨هـ ، الناشر : مكتبه القدس - بغداد .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى المكنى بأبي عبد الله (ت٠ ٢٣٠هـ) .

٧٣- الطبقات الكبرى : الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٣٨٠هـ

ابن سيد الناس : ابو الفتح محمد بن محمد ... بن يحي بن سيد النـــاس (ت ٧٣٤هـ)

٧٤- عيون الاثر : تحقيق لجنة احياء التراث العربي . ط/ دار الآفاق الجديـــد ، بيروت . ط/ ثانيه .

شـديد : محمد شديد

٧٥- منهج القرآن في التربية . الناشر : دار الأرقم - بيروت

شعراوى : متولى شعراوى

٧٦- الاسراء والمعراج طبعه ثانيه . الناشر : دار الشروق

شلبي : متولي يوسف شلبي

٧٧- اضواء على المسيحيه ، طبعه أولى ، الناشر : الدار الكويتيه .

شلبي : رؤوف شلبي

٧٨- الدعوة الاسلاميه في عهدها المكي طبع ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م٠ الناشر : مجمـــع البحوث الاسلامية .

شمس الدين المقدسي : ابو عبد الله المقدسي الحنبلي (ت هـ)

٧٩- الآداب الشرعيه . الناشر : مكتبه الرياض الحديثه ، الرياض عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م٠

الصابوني : محمد علي الصابوني

٨٠- النبوة والانبياء ، الناشر : دار الارشاد - طبعه ثانيه عام ١٤٠٠هـ .

٨١- ايجاز البيان ، الناشر : مكتبه الغزالي

طياره : عفيف طياره

٨٢- مع الانبياء ، طبعه سابعه . الناشر : دار العلم للملايين

عثمان : الدكتور عبد الكريم عثمان (ت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)

٨٣- معالم الثقافة الاسلاميه طبعه ثالثه . الناشر : مؤسسة الأنوار

ابن أبي العز الحنفي : علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢هـ)

٨٤- شرح الطحاويه ، تحقيق احمد شاكر طبع كلية الشريعة - بالرياض

الغزالى : أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)

٨٥- احياء علوم الدين : الناشر : دار المعرفه للطباعه والنشر - بيروت .

الغزالي : محمد الغزالي

٨٦- مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة . الناشر : مطبعة السعاده بمصر

غُلُوش : الدكتور أحمد غلوش

٨٧- الدعوة الاسلاميه : الناشر : دار الكتاب المصرى

ابن قدامه : أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي

٨٨- مختصر منهاج القاصدين ، طبعه رابعة ، الناشر : المكتب الاسلامي الناشر: المكتب الاسلامي طبعة رابعة ١٣٩٤هـ .

القرضاوى : الدكتور يوسف القرضاوى .

٨٩- الصبرفي القرآن ، طبعة أولى عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، الناشر : مكتبه وهبه - مصر .

قطب : سيد قطب (ت ٢٩/٨/١٩٦٦م)

٩٠- التصوير الفني في القرآن ، الناشر : دار الشروق .

٩١- مشاهد القيامه في القرآن . طبعه خامسه . الناشر : دار المعارف بمصر .

قطب : محمد قطب

٩٢- دراسات قرآنيه : الناشر : دار الشروق

ابن القيم : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقـــــي (ت٧٥١هـ)

٩٣- زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق شعيب أرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرساله طبعة أولى ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

٩٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، طبع مؤسسة مكه للطباعه .

كريسي موريسون : أ. كريسي موريسون

٩٥- العلم يدعو للايمان . ترجمة محمود صالح فلكي طبعة خاسة ، الناشر : النهضة المصرية عام ١٩٦٥م .

الماوردى : علي بن محمد بن حبيب . ابو الحسن الماوردى (ت٤٥٠هـ)

٩٦- اعلام النبوه . مراجعه طه عبد الرؤوف سعد . طبع عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، الناشر : مكتبة الطلبات الازهريه ،

محفوظ : علي محفـــوظ

٩٧- هداية المرشدين ، طبع ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، الناشر : مجمع البحوث الاسلاميه .

الندوة العالمية : منظمة الندوه العالميه للشباب الاسلامي

٩٨- قضايا الفكر الاسلامي المعاصر طبعه ثانيه عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

ابن هشام : ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميرى البصرى المصـــــرى
(ت ٢١٨هـ)

٩٩- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد . الناشر: دار الفكر .

الندوى : أبو الحسن علي الحسني الندوى

١٠٠-السيره النبويه : الناشر : دار الشروق . طبعه ثانيه عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

١٠١-العهد الجديد والعهد القديم .

١٠٢-التـــــوراة .

مجموعه من الاساتذة

١٠٣-اطلس العالم . الناشر : مكتبه لبنان

١٠٤-خارطه طبعت في Swetzeland

" فهرس الموضوعات "

رقم الصفحة

المقدمه ... ... ١ - ١٠

التمهيد ... ... ١١ - ١٣

الباب الأول : الدعوة في ضوء سورة الفرقان ... ...

الفصل الأول : الدعوة الى الايمان بوجود الله عز وجل ... ١٥-٤٥

المبحث الأول : وجود الله تعالى ١٦-٢٥

المبحث الثاني : الإستدلال على الألوهيه بالظواهر الكونية ٢٦-٤٥

الفصل الثاني : الدعوة إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى ٤٦-٩٤

المبحث الأول : وحدانية الله تعالى ٤٧-٥٠

المبحث الثاني : تنزيه الله عن الولد والشريك ٥١-٦٣

المبحث الثالث : خصائص الاله الواحد ٦٤-٨٩

المبحث الرابع : أثر القصة في الدلالة على وحدانية الله ٩٠-٩٤

الفصل الثالث : الدعوة الى الايمان باليوم الآخر ٩٥-١٢٢

المبحث الأول : تقرير الايمان باليوم الآخر ٩٦-١٠٥

المبحث الثاني : رد شبه الجاحدين لليوم الآخر ١٠٦-١١٨

المبحث الثالث: الوعيد الشديد لمنكرى البعث ١١٩-١٢٢

الفصل الرابع : تقرير رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ١٢٣-١٧٤

المبحث الأول : الحكمة من ارسال الرسل ١٢٤-١٢٧

المبحث الثاني : أدلة اثبات الرسالة المحمدية وعالميتها ١٢٨-١٥٥

المبحث الثالث: شبهات منكرى الرساله والرد عليها ١٥٦-١٧٤

رقم الصفحة

الباب الثاني : الداعية في ضوء سورة الفرقان ١٧٥-٢٤٠

الفصل الأول : مهمة الداعية وواجباته ١٧٦-١٨١

المبحث الأول : البلاغ بأسلوب التبشير والانذار ١٧٦-١٧٧

المبحث الثاني : تحمل الأذى في سبيل المبدأ ١٧٨-١٨١

الفصل الثاني : الصفات الذاتيه للداعية ١٨٢-٢٠٩

المبحث الأول : الالتجاء الى الله والتوكل عليه ١٨٣-١٨٩

المبحث الثاني : الصبر على الابتلاء ١٩٠-١٩٨

المبحث الثالث : الخوف من الله ١٩٩-٢٠٤

المبحث الرابع : الفطنة ونفاذ البصيرة ٢٠٥-٢٠٩

الفصل الثالث : الصفات السلوكيه للداعية ٢١٠-٢٤٠

المبحث الأول : التواضع ٢١١-٢١٤

المبحث الثاني : الترفع عن اللغو ٢١٥-٢١٨

المبحث الثالث : القصد والاعتدال ٢١٩-٢٢٥

المبحث الرابع : اجتناب المويقات ٢٢٦-٢٣١

المبحث الخامس : المبادرة الى التوبة ٢٣٢-٢٣٦

المبحث السادس : القدوة الحسنه ٢٣٧-٢٤٠

الخاتمـــــة ... ...

ثبت المراجع ... ...

فهرس الموضوعات ... ...

فهرس الآيات ... ...

فهرس الأحاديث ... ...

فهرس الآيـــــات

الآيـــة		الصفحة
١ -	أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض	٢٠
٢ -	اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم	١٢٨
٣ -	أدع الى سبيل ربك بالحكمه والموعظة الحسنه	١٥٥ : ١
٤ -	إذا رأتهم من مكان بعيد	١٢٠ : ١٠٤
٥ -	أرأيت من اتخذ إلهه هواه	٧٨ : ٥٩
٦ -	أفأمنوا مكر الله	٢٠١
٧ -	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا	٩٨
٨ -	أفعيينا بالخلق الأول	١١٢
٩ -	ألم يكونوا يرونها	٩٣
١٠-	إلا من تاب وآمن وعمل صالحا	٢٣٢
١١-	الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب	١٢٩
١٢-	الذى أحسن كل شيء خلقه	٥٥
١٣-	الذى خلق السموات والأرض وما بينهما	٦٩
١٤-	الذى خلق الموت والحياة	٨٨
١٥-	الذى له ملك السموات والأرض	٧٤
١٦-	الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه	١٤٥
١٧-	الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم	١٠٠
١٨-	ألربك البنات ولهم البنون	٥٢
١٩-	الر كتاب أنزلناه إليك	١٢٩

الآيـــة	الصفحة
٢٠- الله أعلم حيث يجعل رسالته	١٢٥
٢١- الله يبدأ الخلق ثم يعيده	٣٤
٢٢- الله يتوفى الأنفس حين موتها	١١٣
٢٣- الله يصطفي من الملائكة رسلا	١٢٦
٢٤- ألم تر إلى ربك كيف مد الظل	٢٦ : ٥٨
٢٥- ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات	١٢٤
٢٦- ألم غلبت الروم في أدنى الأرض	١٤٠
٢٧- الملك يومئذ الحق للرحمن	٦٩
٢٨- ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آياتي	
٢٩- ألم يك نطفةً من مني يُمنى	٦٧
٣٠- النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم	١٤٥
٣١- أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون	٤٧
٣٢- أم خلقوا من غير شيء	١٩
٣٣- إنا أنزلناه في ليلة القدر	١٦٨
٣٤- إنا أنزلناه في ليلة مباركة	١٦٨
٣٥- إنا أنزلناه قرآنا عربيا	١٢٩
٣٦- إن أتبع إلا ما يوحى إليّ	١٢٨ : ١٣٠ : ١٣١
٣٧- إن الذين يخشون ربهم بالغيب	٢٣
٣٨- إن الله ثالث ثلاثة	٧٣ : ٧٨
٣٩- إن الله فقير ونحن اغنياء	٧٣
٤٠- إن الله لا يغفر أن يشرك به	٥٩

الآيـــة		الصفحة
٤١-	ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين	٢٢١
٤٢-	إن الله هو المسيح ابن مريم	٧٣
٤٣-	إن الله يغفر الذنوب جميعا	١٦٠
٤٤-	أنظر كيف ضربوا لك الأمثال	١٥٩ : ١٦٤
٤٥-	إنا فتحنا لك فتحا مبينا	٢٠٩
٤٦-	إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون	٢٠٣
٤٧-	إن كاد ليضلنا عن آلهتنا	١٨٠
٤٨-	إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله	٢٥٥
٤٩-	إنما يخشى الله من عباده	٢٠٠
٥٠-	إنما يوفى الصابرون أجورهم	١٩٦
٥١-	إن مثل عيسى عند الله	٥٤
٥٢-	إن هم إلا كالأنعام	٤٧ : ٥٩
٥٣-	إنه من يشرك بالله فقد حرم	٢٢٧
٥٤-	إن هي الا حياتنا الدنيا	٨٧
٥٥-	أولئك يجزون الغرفة بما صبروا	١٠٠
٥٦-	أولم يروا أن الله الذى خلق السموات	١١٢
٥٧-	أولم يكفهم أنا انزلنا عليك الكتاب	١٥٢
٥٨-	أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه	٩٨
٥٩-	بديع السموات والأرض	٥٤
٦٠-	بل جاء بالحق وصدق المرسلين	١٣٢
٦١-	بل كذبوا بالساعة	٩٩ : ١٠٤ : ١١٩ : ١٢٠

الآيـــة		الصفحة
٦٢-	تبارك الذى إن شاء جعل لك	١٦٥ : ١٧٦
٦٣-	تبارك الذى جعل في السماء بروجا	١٦ : ٢٦ : ٢٩ : ٣٩
٦٤-	تبارك الذى نزل الفرقان	١٢٨
٦٥-	تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك	١٣٨
٦٦-	تولج الليل في النهار وتولج النهار	٤٤
٦٧-	ثم استوى إلى السماء وهي دخان	٧١
٦٨-	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين	٦٧
٦٩-	خذ العفو وأمر بالعرف	٢١٧
٧٠-	ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك	١٣٨
٧١-	رسلا مبشرين ومنذرين	١٢٦
٧٢-	سنريهم آياتنا في الآفاق	١٦
٧٣-	شهر رمضان الذى أنزل	١٦٨
٧٤-	عالم الغيب فلا يعزب عنه مثقال حبة	٨١
٧٥-	فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله	٧١
٧٦-	فإذا سويته ونفخت فيه من روحي	٥٥
٧٧-	فأقم وجهك للدين حنيفا	
٧٨-	فإنهم لا يكذبونك	١٥٧
٧٩-	فقالوا أرنا الله جهرة	٢٣
٨٠-	فقد جاءوا ظلما وزورا	١٥٧
٨١-	فقد كذبوكم بما تقولون	٦١
٨٢-	فلبث فيهم ألف سنة إلا	١٣٧

الآيـــة	الصفحة
٨٣- فليأتوا بحديث مثله إن	١٣٦
٨٤- قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا	٦٠
٨٥- قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق	٤٦
٨٦- قل أذلك خير أم جنة الخلد	١٠٤ : ١٢١
٨٧- قل أرأيتم ما تدعون من دون الله	٤٨ : ٧٤
٨٨- قل اللهم مالك الملك	٧٧
٨٩- قل أنزله الذى يعلم السر	١٧٣
٩٠- قل فأتوا بسورة مثله	١٣٦
٩١- قل لئن اجتمعت الإنس والجن	١٣٦
٩٢- قل ما كنت بدعاً من الرسل	١٣٠
٩٣- قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله	٢ : ٤٧
٩٤- قل ياأيها الناس إني رسول الله	١٤٣
٩٥- قل يحيها الذى أنشأها أول مرة	١٠٨
٩٦- كانوا قليلا من الليل ما يهجعون	١٨٤
٩٧- كذلك الخـــروج	٣٣
٩٨- كذلك لنثبت به فؤادك	١٧٤
٩٩- كل نفس ذائقة الموت	٨٩
١٠٠- كن فيكون	١٠٨ : ١٧٤
١٠١- لا تحرك به لسانك لتعجل به	١٤٠ : ١٧١
١٠٢- لعلك باخع نفسك على آثارهم	١٦٨
١٠٣- لقد استكبروا في أنفسهم	١٧٤
١٠٤- لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جائني	٦٤ : ١٢١

الآيـــة	الصفحة
١٠٥- لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة	٥٥ :
١٠٦- لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا	٤٩
١٠٧- ليس كمثله شيء وهو السميع العليم	٥١
١٠٨- ليعلم الله من يخافه بالغيب	٢٣
١٠٩- ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلٰه	٤٩ : ٥١
١١٠- ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله	١٩١ :
١١١- ما خلقكم ولا بعثكم	٨٥
١١٢- ما كان محمد أبا أحد من رجالكم	١٤٣
١١٣- ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي	١٤٥
١١٤- محمد رسول الله والذين معه اشداء	١٤٣
١١٥- من الذين هادوا يحرفون الكلم	١٢٨
١١٦- منها خلقناكم وفيها نعيدكم	٨٥
١١٧- نحن نقص عليك أحسن القصص	١٣٠
١١٨- هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب	٢٣
١١٩- هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون	
١٢٠- هو الذي بعث في الأميين رسولا	١٤٣
١٢١- هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا	٧٤
١٢٢- هو الذي يسيركم في البر والبحر	٣٢
١٢٣- واتخذ قوم موسى من بعده من حُليّهم	٥٥
١٢٤- واتخذوا من دونه آلهة	٨٠ : ٩٩
١٢٥- وآتوهم من مال الله الذى	٧٨

الآيـــة	الصفحة
١٢٦- وإذا أردنا أن نهلك قرية	٢٢٢
١٢٧- وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا	١٠٤ : ١٢٠
١٢٨- وإذا خاطبهم الجاهلون	٢١٥
١٢٩- وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم	٦٤
١٣٠- وإذا رأوك ان يتخذونك إلا	١٧٨ : ١٩٣
١٣١- وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه	٢١٧
١٣٢- وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن	٢١١
١٣٣- وإذ قال ربك للملائكة	٧٥
١٣٤- وإذ قال عيسى ابن مريم يابني	١٤١ : ١٤٦
١٣٥- وارزق أهله من الثمرات	٩٧
١٣٦- واصبر على ما أصابك	١٩٥
١٣٧- واصبر وما صبرك إلا بالله	
١٣٨- والذى اطمع ان يغفر لي خطيئتي	١٠٦
١٣٩- والذى جاء بالصدق وصدق به	١٣١
١٤٠- والذين اذا انفقوا لم يسرفوا	٢١٩
١٤١- والذين اذا ذكروا بآيات ربهم	٥٩ : ٢٠٥
١٤٢- والذين كفروا يتمتعون ويأكلون	٧٨ :
١٤٣- والذين لا يدعون مع الله اله آخر	٢٢٦
١٤٤- والذين لا يشهدون الزور	٢١٠
١٤٥- والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما	١٩٩
١٤٦- والذين يقولون ربنا اصرف عنا	١٩٩

الآيـــة	الصفحة
١٤٧- والذين يقولون ربنا هب لنا من	٢٣٩
١٤٨- والسماء بنيناها بأيد	٢٥
١٤٩- والصابرين في البأساء والضراء	١٩٠
١٥٠- وان أحد من المشركين استجارك	١٥٢
١٥١- وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس	١٣٥ : ١٤٠
١٥٢- وأنزلنا من السماء ماء طهورا	٢٦ : ٣٣ : ١١٦
١٥٣- وأنفقوا مما جعلناكم مستخلفين	٧٥ :
١٥٤- وأن ليس للانسان إلا ما سعى	٧٦ : ٨١
١٥٥- وإنه لحب الخير لشديد	٧٥ :
١٥٦- وان يمسسك الله بضـــر	٨٢ : ٨٣
١٥٧- وأوحي إليّ هذا القرآن	١٣١
١٥٨- وترى الأرض هامدة	١١٧
١٥٩- وتوكل على الحي الذى لا يموت	٥٩ : ١٨٣
١٦٠- وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم	١٥٧
١٦١- وجعلنا الليل والنهار آيتين	١٧
١٦٢- وجعلنا بعضكم لبعض فتنة	١٩١
١٦٣- وجعلنا من الماء كل شيء حي	١١٠
١٦٤- وخلق كل شيء فقدره تقديرا	٤٩ : ٦٥
١٦٥- وسع كرسيه السموات والأرض	١٨ : ٢٥
١٦٦- وعاد وثمود وأصحاب الرس	٩٢
١٦٧- وعباد الرحمن الذين يمشون	٣ : ٢١١

الآيـــة	الصفحة
١٦٨- وعد الله الذين آمنوا منكم	٧٦
١٦٩- وفي الأرض آيات للموقنين	٤٣
١٧٠- وفي ذلكم بلاء من ربك عظيم	١٩٠
١٧١- وقال الذين كفروا إن هذا	١٥٦ : ١٧٣ : ١٩٣
١٧٢- وقال الذين لا يرجون لقاءنا	٩٩ : ١٦٥ : ١٧٤
١٧٣- وقال الذين كفروا لولا نزل	١٦٧ : ١٧٤
١٧٤- وقال الظالمون إن تتبعون	١٦٠ : ١٦٤ : ١٧٤ : ١٩٣
١٧٥- وقالت اليهود عزيز ابن الله	٥١
١٧٦- وقالوا اتخذ الرحمن ولدا	٥٤
١٧٧- وقالوا أساطير الأولين	١٥٨ : ١٧٣ : ١٧٨ : ١٩٣
١٧٨- وقالوا لولا أنزل عليه ملك	١٦٢
١٧٩- وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام	١٦٠ : ١٧٣
١٨٠- وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا	٦٤
١٨١- وقد كان فريقا منهم يسمعون	١٢٨
١٨٢- وقدمنا إلى ما عملوا من عمل	٦١
١٨٣- وقوم نوح لما كذبوا الرسل	٩٢
١٨٤- وكذلك أوحينا إليك قرآنا	١٣٠
١٨٥- وكذلك تخرجون	١١١
١٨٦- وكذلك جعلناكم أمة وسطا	١٤٣
١٨٧- وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	١٩١
١٨٨- وكلا نقص عليك من أنباء الرسل	٩٣

الآيـــة	الصفحة
١٨٩- وكل في فلك يسبحون	٢٥
١٩٠- ولا تجعل يدك مغلولة	
١٩١- ولا تدع مع الله الها آخر	٢١٢
١٩٢- ولا تقف ما ليس لك به علم	٤
١٩٣- ولا يملكون موتا ولا حياة	٨٤
١٩٤- ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن	٧٢
١٩٥- ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر	٧٢
١٩٦- ولقد أتو على القريه التي امطرت	١٠٠
١٩٧- ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه	٩١
١٩٨- ولقد صرفناه بينهم ليذ كروا	١١٢ : ٣٥
١٩٩- ولقد كرمنا بني آدم وجعلناهم	١٢٤
٢٠٠- ولكم في الا رض مســـتقر	١٠٦
٢٠١- ولما جاءهم رسول من عند الله	١٤٨
٢٠٢- ولما جاءهم كتاب من عند الله	١٤٧ : ١٤١
٢٠٣- ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك	٥٣ : ٥١
٢٠٤- ولو أن أهل القرى آمنوا	٩٧
٢٠٥- ولو جعلناه ملكاً لجلعلناه رجلا	١٦٢
٢٠٦- ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت	٨١
٢٠٧- وليأخذ وا أسلحتهم	١٨٩
٢٠٨- وما أتاكم الرسول فخذ وه	١٣٤
٢٠٩- وما أدراك ما سقر	١٣٩

الآيـــة	الصفحة
٢١٠- وما أرسلنا قبلك من المرســلين	١٦١ : ١٧٣
٢١١- وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا	١٤٣ : ١٧٦
٢١٢- وما أرسلنا من قبلك من رسول	٤٧ : ١٥٣
٢١٣- وما جعلنا عدتهم الا فتنة	١٣٩
٢١٤- وما قدروا الله حق قــدره	٦٦
٢١٥- وما كان هذا القرآن أن يفترى	١٣٤
٢١٦- وما يتذكر إلا من ينيب	٢٠٣
٢١٧- وما ينطق عن الهوى	١٢٩
٢١٨- ومبشرا برسول يأتي من بعدى	١٤٧
٢١٩- ومريم ابنة عمران التي أحصنت	٥٥
٢٢٠- ومن الناس من يجادل في الله	١٢٤
٢٢١- ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم	٣٨
٢٢٢- ومن تاب وعمل صالحــا	٢٣٢
٢٢٣- ومن يظلم منكم	١٢٢
٢٢٤- ومن يفعل ذلك يلق أثاما	١٣١
٢٢٥- ومن يوق شح نفسه	٢٢٢
٢٢٦- ونبلوكم بالشر والخير	١٧ : ٢٦ : ٣١
٢٢٧- وهو الذى أرسل الرياح بشرا	١٥ : ١٧ : ٢٦ : ٣٢ : ١١٢
٢٢٨- وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة	٢٦ : ٤٠ : ١٠٠
٢٢٩- وهو الذى جعل لكم الليل لباسا	٥٨
٢٣٠- وهو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا	٤٨

الآيـــة	الصفحة
٢٣١- وهو الذى مرج البحرين	١٧ : ٢٦ : ٣٦
٢٣٢- وهو الذى يبدأ الخلق	١٠٨
٢٣٣- وهو الذى يتوفاكم بالليل	١١٣
٢٣٤- وهو الذى يرسل الرياح بشرا	١٧ : ٣٢ : ٣٣
٢٣٥- ويا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم	٩٧
٢٣٦- ويا قوم اني أخاف عليكم	١٠٦
٢٣٧- ويعبدون من دون الله	٨٢
٢٣٨- ويوم تشقق السماء بالغمام	١٠٠
٢٣٩- ويوم يحشرهم وما يعبدون	٦٠ : ٩٩
٢٤٠- ويوم يعض الظالم على يديه	٦٢ : ١٢١
٢٤١- ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله	٢٣٤
٢٤٢- ياأيها الناس إن كنتم في ريب	١٠٩
٢٤٣- يادااوود إنا جعلناك في الأرض	٧٦
٢٤٤- ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	٤٧
٢٤٥- يانار كوني بردا وسلاما	٨٠
٢٤٦- ياويلتنا ليتني لم اتخذ فلانا	٦٢ : ١٢١
٢٤٧- ياويلنا من بعثنا من مرقدنا	٣٤
٢٤٨- يخرج الحي من الميت	١١١
٢٤٩- يد الله مغلولة	٧٣

الآيـــة	الصفحة
٢٥٠- يضاعف له العذاب يوم	٦٠ : ١٠٠ : ٢٢٦
٢٥١- يضاهئون قول الذين كفـــروا	٥٢
٢٥٢- يومئذ تعرضون لا تخفى	٩٧
٢٥٣- يوم نقول لجهنم	١٢٠
٢٥٤- يوم يرون الملائكة لا بشرى	١٦٢

فهرس الأحـــــاديث

الصفحة

١ - اتقوا النار ولو بشق تمره ٢٠٢

٢ - أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء ١٥١

٣ - اجتنبوا السبع الموبقات ٦٠ : ٢٢٧

٤ - أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ١٣٤

٥ - أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال ٨٩

٦ - أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال ٧٠

٧ - إذا اقشعر جلد العبد من مخافة الله ٢٠١

٨ - إذا صار أهل الجنه إلى الجنه وأهل النار إلى النار ٨٩

٩ - اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ٨٨ : ٢٣٩

١٠ - إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ١٥١

١١ - ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ٢٢٥

١٢ - اشتكت النار إلى ربها فقالت: ١٢٠

١٣ - أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل ١٩٢

١٤ - أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ١٣٢

١٥ - اعقلها وتوكل ١٨٥

١٦ - اعملوا فكل ميسر لما خلق له ٧٤ : ٨٦

١٧ - ألا أخبركم بأهل النار ٢١٣

١٨ - ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى ٢٨ : ٢٢٧

١٩ - ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ١٣١

الصفحة

٢٠- التائب من الذنب كمن لا ذنب له ٢٣٦

٢١- الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا ٣١

٢٢- الدواوبين عند الله ثلاث ٢٢٧

٢٣- الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل ٢٤

٢٤- الكبر بطر الحق وغمط الناس ٢١٢ : ٣٧

٢٥- ألله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن ٢٣٥

٢٦- اللهم إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي ١٨٧

٢٧- اللهم إني أسألك العفو والعافيه ١٩٧

٢٨- اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والجبن والبخل ٢٢٣

٢٩- اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ١٩٤

٣٠- أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا ١٧٤

٣١- أنا أغنى الشركاء عن الشرك ٦١

٣٢- أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ١٤٣

٣٣- إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ٦٧

٣٤- إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسترشده ١٦٣

٣٥- إن الله أوحى لي أن تواضعوا ٢١٣

٣٦- إن الله زوى لي الأرض ١٥٠

٣٧- إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ١٠٦ : ٤٤

٣٨- إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرز ٢٣٥

٣٩- إن الناس اذا ماتوا في النفخة الأولى ٣٤

٤٠- أن تجعل لله ندا وهو خلقك ٢٢٧ : ٥٨

الصفحة

٤١-	إن خلق أحدكم يجمع في بطن امه أربعين يوما	٥٥
٤٢-	أنت رسول الله وخاتم الأنبياء	١٤٤
٤٣-	أن تزاني حليلة جارك	٢٣٠
٤٤-	أن رجلا قال يانبي الله يحشر الكافر على وجهه	٦٢
٤٥-	إن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء	١٩١
٤٦-	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	١٤٤
٤٧-	إن منزلة الصبر من الايمان	١٩٥
٤٨-	اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي	١٤٩
٤٩-	أول من يلبس حلة من النار إبليس عليه لعنة الله	١٢١
٥٠-	باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه	١١٦
٥١-	بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا	
٥٢-	بُعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب	١٦٣
٥٣-	بُلينا بالضراء فصبرنا	١٩٠
٥٤-	بينما النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ذات يوم في المسجد	١٧٨ : ١٩٤
٥٥-	بينما نحن جلوس عند رسول الله طلع علينا رجل	١٠١
٥٦-	تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس	١٥٠
٥٧-	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة	٢١٢
٥٨-	ثم يبقى شراء الناس عليهم تقوم الساعة	١٠٢
٥٩-	جبلت القلوب على حب من أحسن اليها	٨٥
٦٠-	خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير	٢٠٣
٦١-	رأس الحكمة مخافة الله	٢٠١

الصفحة

٦٢- سددوا وقاربوا ٢٢٤

٦٣- شر ما في الرجل شح هالع ٢٢٣

٦٤- طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ١٠١

٦٥- فوالله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية ٢٠٠

٦٦- كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر ١٥١

٦٧- كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ١٨٨

٦٨- كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ٧٧

٦٩- كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ١٤٥

٧٠- كان يجلس على الأرض ٢١٤

٧١- كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الانبياء ١٧٩

٧٢- كذبتم أنتم متأكلون ١٨٨

٧٣- كل ابن آدم خطّاء ٢٣٥

٧٤- كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ١١٨

٧٥- كلكم يدخل الجنة إلا من أبى ١٤٤

٧٦- كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر" حديث صفيه " ١٤٥

٧٧- لا تتمنوا لقاء العدو ١٩٧

٧٨- لا تزال طائفه من أمتي ظاهرين ١٥٥

٧٩- لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين ١٣٢

٨٠- لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات ١٠١

٨١- لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ١٠١

٨٢- لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ٢١٨

الصفحة

٨٣- لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل ٢٢٣

٨٤- لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ١٩٤

٨٥- لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بعث عليها نبي . ٥١

٨٦- لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ٢١٣

٨٧- لو أنكم توكلتكم على الله حق توكله ١٨٨

٨٨- ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ١٨

٨٩- ما بين النفختين أربعون ٣٤

٩٠- ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ٣٥

٩١- ما تواضع أحد إلا رفعه الله ٢١٢

٩٢- ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين ٢٠٧

٩٣- ما عال من اقتصد ٢٢٣

٩٤- ما عام بأمطر من عام ٣٥

٩٥- ما من عبد يصلي الخمس ويجتنب الكبائر ٦٠

٩٦- ما من مولود إلا يولد على الفطره ٧٢

٩٧- ما من نبي من الأنبياء الا نبياء إلا وقد أوتي ١٣٤

٩٨- ما من يوم يصبح العباد فيه ٢٢٣

٩٩- ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ١٩٧

١٠٠- من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار ٤٤

١٠١- من قال في القرآن برأيه ٤

١٠٢- من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنه ٥٩

الصفحة

١٠٣- هل كنتم تتهمونه بالكذب ١٣٢

١٠٤- هو الطهور ماؤه الحل ميتته ٩٥

١٠٥- هون عليك انما أنا ابن امرأة من قريش ٢١٣

١٠٦- وأرسلت إلى الخلق كافة ١٤٥

١٠٧- والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم ١٤٤

١٠٨- والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا ٢٣٥

١٠٩- والله إني لأستغفر الله واتوب ٢٣٥

١١٠- والله لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ١٧٩

١١١- والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط ٢٠٧ : ٢١٧

١١٢- وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني ٢٥ : ١٠٨

١١٣- واما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولدا ٥٤

١١٤- وإن الأمة لتأخذ بيده صلى الله عليه وسلم ٢١٣

١١٥- وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ٢١٣

١١٦- وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدى خوفين ٢٠١

١١٧- وقذف المحصنات الغافلات ٢٣٠

١١٨- وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ٢٢٩

١١٩- ولقد وضعوا النار على ظهرى ١٧٩

١٢٠- وما كانت تغلق دونه الأبواب ٢١٣

١٢١- ياابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ٢٢٤

١٢٢- ياأيها الناس عليكم بالقصد ٢٢٤

١٢٣- ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ١٤٦

الصفحة

١٢٤ - يا غلام ألا أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك	٢٠٤
١٢٥ - يا محمد إن الله يمسك السموات على اصبع	٦٥
١٢٦ -- يجعلون له ولدا وهو يرزقهم	٥٤
١٢٧ - يحشر الكافر على وجهه يوم القيامه	٣٨ : ٩٩
١٢٨ - يرفع ثوبه ، ويخصف نعله، ويقم بيته	٢١٣
١٢٩ - يقبض الله الأرض يوم القيامه	٧٩
١٣٠ - يظل يومه يلتوى ما يجد د قلا يملأ بطنه	

استدراك على فهرس الآيـــــات

	الصفحة
١ - اذا رأتهم من مكان بعيد	١٢٠
٢ - اعبدوا الله ما لكم من اله	٤٧
٣ - ألا انهم من افكهم ليقولون	٥٢
٤ - الف سنة الا خمسين عاما	١٣٧
٥ - أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما	١٨٠
٦ - أم خلقنا الملائكة اناثا	٥٢
٧ - أم يقولون افتراه	١٣٦
٨ - انا أنزلناه في ليلة القدر	١٦٨
٩ - انا أنزلناه في ليلة مباركة	١٦٨
١٠- انا أنزلناه قرآنا عربيا	١٢٩
١١- انا فتحنا لك فتحا مبينا	٢٠٩
١٢- أولم يكفهم أنا انزلنا عليك	١٥٢
١٣- أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة	١٦٠
١٤- بلى قادرين على أن نسوى بنانه	٩٨
١٥- ثم يعيدكم فيها ويخرجكم	١٠٦
١٦- خلق من ماء دافق	٦٦
١٧- سبحانك ما كان ينبغى لنا	٦٠
١٨- فأبى أكثر الناس الا كفورا	١١٢
١٩- فقلنا اذهبا الى القوم	٩١
٢٠- فمن زحزح عن النار	٨٩
٢١- قل ما يعبأ بكم ربي	١٣
٢٢- لسليمان الريح	٣٢
٢٣- لقد جئتم شيئا إدا	٥٤
٢٤- لكي لا يعلم بعد علم شيئا	١١٠

	الصفحة
٢٥- لنحي به بلدة ميتا	١٧ : ٢٦ : ٣٣ : ٥٨ : ١١٢
٢٦- لهم فيها ما يشاؤون خالدين	١٠٤
٢٧- واذا القوا منها مكانا ضيقا	١٢٠
٢٨- والله أنبتكم من الأرض	١٠٦
٢٩- وجرين بهم بريح طيبة	٣٢
٣٠- وقالوا لولا أنزل عليه آية	١٥٢
٣١- وكلا ضربنا له الأمثال	٩٢
٣٢- ومن آياته انك ترى الأرض	١١٧
٣٣- وهو الذى خلق من الماء بشرا	٥٥ : ٢٦
٣٤- ويا قوم اني اخاف عليكم	١٠٦

استدراك على فهرس الأحاديث

	الصفحة
١ - الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل	١٩٢
٢ - العفو والعافيه	١٩٧
٣ - ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسير على بعير له ذلول	١٨٩
٤ - انما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل	١٧٢
٥ - بلينا بالضراء فصبرنا	١٩٠
٦ - بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبه	١٧٨
٧ - تعلموا القرآن خمس آيات	١٧١
٨ - تفكر ساعه خير من قيام ليله	٢٠٣
٩ - حدثني عن يوم القيامه متي يكون	٩٧
١٠- فقلت اخبرني عن صفة رسول الله في التوراة	١٤٦
١١- كان لنا جار يهودى " حديث سلمه بن سلام بن وقش	١٤٧
١٢- لا يصلح آخر هذه الأمه الا بما	٢
١٣- من حوسب يوم القيامه عذب	٩٧
١٤- وأما شتمه فقوله أن لي ولدا	٥٤
١٥- واتقوا الشح فان الشح	٢٢٢